علم
مناهج التربية
من المنظور الإسلامي

أ.د. فؤاد محمد موسى

الألوكة
www.alukah.net

تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة
www.alukah.net

الباب الأول

حاجة المعلم لدراسة المناهج

مفهوم المنهج

حاجة المعلم لدراسة المناهج

إن المعلم في ممارسته لمهنته ليس ناقلا للمعرفة، وإنما هو مرب للتلميذ - كشخصية إنسانية- من جميع جوانب حياته كخليفة لله في الأرض (قائد مكلف من الله بقيادة الحياة في الأرض بمنهج الله ولله)، لذلك فالمعلم حجر الزاوية في العملية التعليمية، وعليه يقع العبء الأكبر في نجاحها؛ وإن أى نقد أو هجوم يوجه إلي العملية التعليمية يوجه عادة إلي المعلم بالدرجة الأولى، كما أنه يعد الركيزة الأساسية لنجاح تنفيذ أي منهج، لذلك فهذا المعلم في حاجة ماسة إلي دراسة المناهج حيث يقع على عاتقه العديد من المسئوليات المتعلقة بالمنهج، وتبرز هذه الحاجة للأسباب التالية:

1- إن المعلم في سعيه لتنفيذ المنهج مع تلاميذه بكفاءة يجب عليه إن يكون مدركا لأهمية كل عنصر من عناصر المنهج من الأهداف، والمحتوى، والطرق، والوسائل والأنشطة التعليمية، والتقويم ودور كل منها في المنهج وكيفية تفعيل كل عنصر من العناصر وعلاقته بالعناصر الأخرى من أجل إتمام عملية التنفيذ بالشكل الذي يحقق الأهداف المرجوة، وهذا يتطلب من المعلم دراسة كل هذا في علم المناهج في ضوء التوجه الفكري الذي يقوم عليه المنهج.
2- لما كان بناء المنهج يعتمد على عدة أسس هي التلميذ والمجتمع والمعرفة والكون الذي نعيش فيه وقبل كل هذا وبعده هُدى الله الذي ينظم العلاقة بين كل هذه العناصر بعضها وبعض ويبين الحكمة من وجودها، لذلك فعلى المعلم إن يكون على وعي وبصيرة بأبعاد ومغزى كل ذلك وقادر على تمثله، والسلوك بمقتضاه في المواقف التعليمية. ولذلك يحتاج المعلم لدراسة ذلك دراسة واعية من خلال دراسته لعلم المناهج.
3- قيام المعلم بتنفيذ المناهج الدراسية يترتب عليه إن يكون أشد إحساسا من غيره بالمشكلات المترتبة على الممارسة والتنفيذ للمناهج، ولكنه لا يستطيع إن يرد هذه المشكلات وما يلمسه من تخبط وارتجال في تنفيذ المنهج إلى أصول ذلك أو تحديد الأسباب الكامنة خلفها، إلا إذا كان دارسا لعلم المناهج، وعلى دراية بماهيته وأسسه وكيفية تخطيطه.
4- المعلم باعتباره منفذا للمنهج لا بد من إن يكون له رأي في سلبيات التنفيذ ومقترحات لعلاجها والعمل على تطوير هذا العمل، أليس من حق المعلم إن يقول وجهة نظره في المنهج؟ وما يعترضه من مشكلات؟ وما

يواجهه تلاميذه من صعوبات في أثناء تنفيذ المنهج؟ أليس من حق المعلم نقد المنهج الذي يقوم بتدريسه من أجل إصلاحه وتطويره؟

بلى من حق المعلم كل هـذا، ولكن يُشـترط إن يكـون المعلم على درايـة كاملة بمفهوم المنهج ومكوناته والتوجه الفكري القـائم على أساسـه؛ كي يكون رأي المعلم قائماً على أدلة علمية ومعايير يبـني عليهـا نقـده، وكـل هذا لن يتيسر له إلا بدراسة المناهج دراسة واعية عميقة.

5- نتيجة الاقتناع المتزايد بأهمية اشـتراك المعلمين في تخطيـط المنـاهج وتطويرها، شُكّلت اللجان وعقدت الجلسات التخصصية لإعداد أو تخطيـط أو تطوير المناهج، ومُثل فيهـا المعلمـون تمـثيلا جيـدا وهـذا الاشـتراك لن يكون له تأثير فعال إلا إذا كان المعلمون على وعي كامل بالفكر الـتربوي ونوع نظرية المنهج التي يجب إن يبدأ العمل منها وينتهي إليهـا إلي جـانب خبرة المعلمين في الميدان التنفيذي.

مفهوم المنهج

إن القــارئ في مجــال المنــاهج يســتطيع إن يلمس بوضــوح من خلال استعراضـه لمـا كتب عن مفهـوم المنهج إن هنـاك تأرجحـاً بين مفهـومين للمنهج:

الأول:

يطلق عليه المفهـوم القـديم أو التقليـدي أو الضـيق... إلي غـير ذلـك من المصطلحات والذي يشـير إلي إن المنهج عبـارة عن المـواد الدراسـية أو المقررات أو المعلومات والحقائق والمفاهيم الـتي تعمـل المدرسـة على إكسابها للتلاميذ، وقد أدى هذا المفهوم إلي إهمال معظم جوانب العمليـة التعليمية ولذلك وجهت إليه الكثير من الانتقادات، ورغم ذلك- وبكل أسف فإن هـذا المفهـوم التقليـدي للمنهج مـازال مسـتخدما حـتى الآن رغم إن مفهوم الإنتاج قد تغير تغيرا جوهريا.

الثاني:

يطلق عليه المفهوم الواسع أو الحديث أو التقدمي... وإلي غـير ذلـك من المصطلحات، والذي يشير إلي إن المنهج هـو مجمـوع الخـبرات التربويـة التي تهيئوها المدرسة للتلاميذ بقصد مسـاعدتهم على النمـو الشـامل، أي النمو في جميـع الجـوانب (العقليـة، والثقافيـة، والاجتماعيـة، والجسـمية، والنفسية، والفنية) نمـوا يـؤدي إلي تعـديل سـلوكهم ويعمـل على تحقيـق الأهداف التربوية المنشودة.

وعلى الرغم من إن هذا التعريف للمنهج بصورته الحديثة أكـثر دلالـة منـه بصـورته القديمـة أو التقليديـة. حيث أشـار إلي إن المنهج مجموعـة من الخبرات التربوية التي تعنى تفاعل التلميذ في المواقـف التعليميـة، إلا إن الأهداف التربوية المنشودة التي ينادي هذا المفهوم بتحقيقهـا تختلـف من فرد إلي فـرد ومن مجتمـع إلي آخـر طبقـا لأهـواء البشـر فمـا قـد يكـون منشودا عند فرد يكون ممقوتاً عند آخر وما يكون محمودا في مجتمـع قـد يكـون مـذموما في آخـر، فتـبرج النسـاء وعـريهن يُعـد هـدفا منشـودا في الدول غير الإسلامية بل وتقام له المسابقات وتـوزع فيـه الجـوائز وتحـدد فيه الفائزة الأولى باسم ملكة جمـال العـالم ويشـاد بهـا في كـل وسـائل الإعلام، ولكن هذا يعد محرما في الدول الإسلامية لحرمته في شرع الله،

كما إن فصل البنين عن البنات وعدم اختلاطهم من السلوكيات الاجتماعية المحمودة في الدول الإسلامية، ولكن ذلك يعد تخلفا وجهلا في نظر الغرب وتوصف الدول الإسلامية بالتخلف من أجل ذلك، وتطالبها دول الغرب بتطبيق حرية الاختلاط تحت مسمى التقدم والحرية والأمثلة كثيرة لمثل ذلك، لذلك يجب تحديد المعيار الذي على أساسه تكون هذه الأهداف منشودة في هذا التعريف حتى لا يختلط الأمر.

كما إن النمو الشامل الذي يزعمه أصحاب هذا المفهوم (التقدميون) فى نظرهم ليس فى حقيقة الأمر شاملا حيث ينقصه أهم جوانب تربية الإنسان وهو الجانب الإيمانى، فيعتقد هؤلاء التقدميون إن التقدم لا يتأتى إلا بتحرر الإنسان من سلطان العقيدة الدينية التى تقيد العقل البشرى كما يزعمون، وأن هذا العقل البشرى هو الذي يحكم على ما هو منشود لتطوير الحياة ورفاهيتها. وهذا هو الفكر العلمانى الذي يشيد به هؤلاء التقدميون ويزعمون أنه تطور وتحضر.

ولكن لماذا خلق الإنسان؟ وما وظيفته في هذا الوجود؟ ومن الذي يحدد هذه الوظيفة؟ ! الخالق، أم المخلوق !! ألم يحدد الله الغاية من خلق الإنسان قبل إن يخلقه فى قوله تعالى:) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ([البقرة: 30]، فالإنسان خلق ليكون خليفة الله فى الأرض، أى مستخلفا فيها.

كما قال سبحانه) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ([الذريات: 56] فيجب إن تكون كل أعمال الإنسان على هذه الأرض عبادة لله، فهو يعمرها ويطور الحياة عليها وفق هدى الله) قُلْ إِن صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ([الأنعام: 162].

وبناء على ما سبق يمكن تحديد تعريف المنهج الدراسي بأنه"منظومة الخبرات التربوية التي تهيؤها المؤسسة التربوية لتلاميذها لمساعدتهم على النمو الشامل المتكامل المتوازن(إيمانيا، وخلقيا، وجسميا، وعقليا، ونفسيا، وجنسيا، واجتماعيا) بما يحقق خلافتهم لله في الأرض وفق هُدى الله".

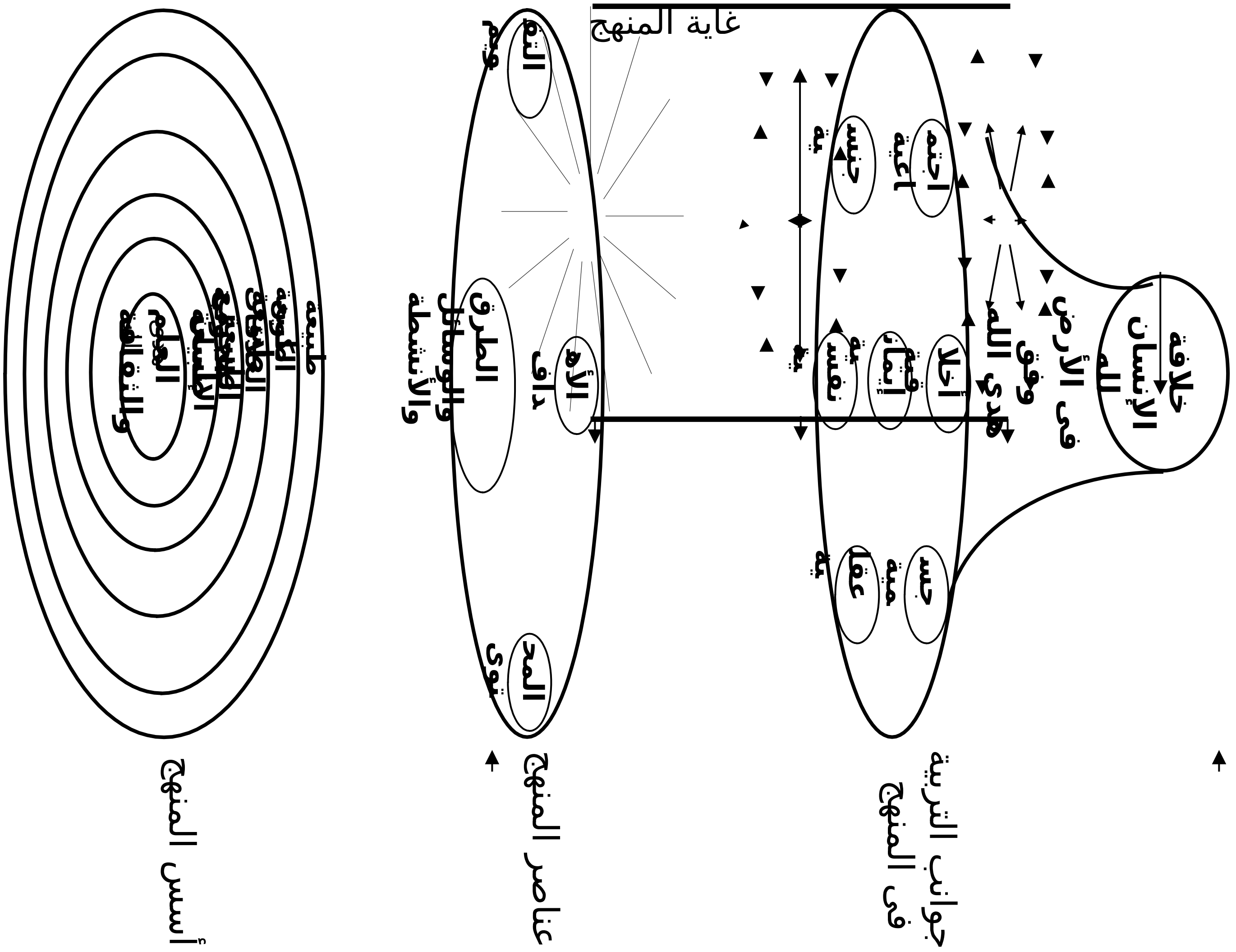

شكل (1)

يوضح منظومة المنهج

ومن هذا التعريف تتضح لنا الغاية النهائية لهذا المنهج وهو الناتج النهائي المنشود من التربية ألا وهو الإنسان الذي يحقق خلافة الله في الأرض وفق هدى الله، فكل المدخلات والتفاعلات والأهداف الفرعية لا بد إن تكون محققة لهذه الغاية ولا تخرج عنها.

على أننا يجب إن ندرك إن هذا المنهج وسيلة وليس غاية في ذاته، فهو وسيلة لتحقيق أهداف محددة منشودة تسهم في تكوين شخصية خليفة الله في الأرض الذي يعمرها ويطور الحياة فيها على منهج الله ويبتغي في ذلك مرضاة الله، فهذا المنهج هو الذي يتيح للفرد إن تتشكل شخصيته على هذا الشكل ؛ شخصية واعية للغاية التي خلقت من أجلها، شخصية فاعلة في تحقيق عمارة الأرض وتطوير الحياة عليها، شخصية إيجابية تسعد نفسها وغيرها على السواء بما يُرضى ربها وخالقها.

ولكي يحقق هذا المنهج الغاية منه فلا بد إن تكون هناك جهة مسئولة لديها الخبرات والإمكانات البشرية والمادية وتستطيع إن تخطط لهذا المنهج وتنفذه وفق خطة علمية تربوية عامة، فتخطيط المنهج يحتاج إلى العديد من الخبراء في مجالات: المناهج، وعلم النفس، والتربية، والاجتماع والإدارة والمواد العلمية المختلفة، كما يحتاج لتنفيذه إلي معلمين أكفاء وهيئات إدارية مدربة فهذه مسئولية ضخمة أمام الله عز وجل ينتج عنها وحدة الأمة وتماسكها وقوتها وريادتها للعالم بما يحقق شرع الله وليست الشرعية الدولية المزعومة من أولياء الشيطان التي يريدون فرضها علينا.

على أننا لكي ندرك مفهوم المنهج الذي عرفناه سابقا فهما صحيحا فإنه يجب علينا بيان بعض المفاهيم التي وردت في هذا التعريف وتوضيح المقصود بها؛ حتى لا تكون مصطلحات جوفاء لا معنى لها، وحتى لا تفهم فهما مخالفا للمقصود منها.

المنهج كنظام:

فالنظام عبارة عن تركيب من مجموعة عناصر ترتبط فيما بينها بشكل وظيفي تكاملي وتعمل وفق نسق معين لتحقيق أهداف محددة، وعليه إذا حدث خلل في أي عنصر من عناصر النظام أثر ذلك على كل النظام بأسره، وأي نظام يعتبر عنصراً في نظام أكبر يشمل عدة نظم فرعية.

فالكون هو المنظومة الكبرى التي خلقها الله، والحياة على كوكب الأرض منظومة فرعية من هذا الكون، وحياتنا في مصر الحبيبة منظومة أيضا متفرعة من منظومة الحياة على كوكب الأرض، كما إن هذه المنظومة تتفرع إلي نظم عديدة: نظام اقتصادي، ونظام اجتماعي، ونظام سياسي،

ونظـام تعليمي، ... والمنـاهج الدراسـية هي جـزء من النظـام التعليمي وهكذا.

والمنهج كنظام يؤثر ويتأثر بباقى النظم الأخرى، لـذلك فـإن بنـاء المنـاهج التربوية يستلزم إن يؤسس على مجموعـة من الأسـس الـتى هى بمثابـة الركائز التى يؤسس عليها بنيان المناهج، وتتكون هذه الأسس من: هـدى الله، وطبيعة العلم والثقافة، وطبيعة الإنسان، وطبيعة المجتمـع، وطبيعـة العلاقات الدولية، وطبيعة الكون. وهذه الأسس فى ذاتهـا منظومـة تتـأثر عناصرها بعضها ببعض، فهدى الله هـو الأسـاس الأول، وفى نفس الـوقت هو أساس كل الأسس، ولذلك فقد تم وضعه فى نمـوذج منظومـة المنهج فى قلب هذه الأسس، كما هو فى شكل (1) ويشع منه أشـعة تعـبر عن الهدى الذي يضئ كل الأسس التى تتسع فى شمولها لبعضها بعد ذلك كما هو موضح بالشـكل، وسـوف نتنـاول دراسـة هـذه الأسـس بالتفصـيل فى الباب الثانى من هذا الكتاب إن شاء الله.

والمنهج كنظام أيضا يتكون من مجموعة عناصر: أهداف، ومحتوى وطرق ووسائل وأنشطة تعليمية، وتقويم. وهـذه العناصـر يـؤثر بعضـها في بعض وبينها علاقات تنظيمية تجعلها في تفاعـل مسـتمر بعضـها مـع بعض فعلى ضـوء أهـداف المنهج يتم اختيـار المحتـوى، وفى ضـوء الأهـداف وطبيعـة المحتـوى يتم تحديـد الطـرق والوسـائل والأنشـطة التعليميـة الـتي عن طريقها يتم تحقيق الأهداف، ثم يأتي دور التقويم من أجل التأكد من مدى تحقيق الأهداف المرجوة من المنهج ودور كـل عنصـر من عناصـر المنهج في تحقيـق هـذه الأهـداف، ومن ثم يتم تطويرهـا مـرة أخـرى في دورة جديدة للوصول إلي نتائج أفضل.. وهكـذا فهي دورات متواليـة من التـأثير والتأثر من أجل تحقيق الأفضل الـذي لا ينتهي مـداه؛ لأن العمـل البشـرى لن يصل إلي الكمال ولكنه ينمو في هذا الاتجاه.

والأهداف، والمحتوى، والطرق، والوسائل، والأنشطة التعليمية، والتقـويم تعتبر مدخلات النظام، وبحدوث التفاعل بينها تتكـون لـدينا مخرجـات هـذا النظام وهي الخـبرات التربويـة والـتي تشـكل فيمـا بينهـا نظامـاً متكـاملاً ومتناسقاً ومتوازناً وشاملاً لكل جوانب تربية الفـرد: الإيمانيـة، والأخلاقيـة، والجسـمية، والعقليـة، والنفسـية، والجنسـية، والاجتماعيـة. حيث إن كـل جانب من هذه الجوانب يؤثر ويتأثر بباقي الجوانب وباكتساب الفرد لهـذه الخـبرات تتشـكل لـدينا شخصـية الإنسـان الـتي ننشـدها (خليفـة لله في الأرض) وهذا الإنسان يعتبر الناتج النهـائي لهـذه المنظومـة والـذي بـدوره

سيقود مسيرة الحياة البشرية في كل النظم على وجه هذه الأرض كخليفة استخلفه الله في هذه الأرض، وسيؤثر في باقي النظم غير البشرية على وجه الأرض؛ لأنه سيد كل المخلوقات عليها.

ومن هنا ندرك أهمية هذا النظام (المناهج) في إعداد هذه الشخصية فهي التي لها اليد الطولي في التأثير على باقي النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية... فذلك النظام(المناهج) الذي يختص بإعداد الإنسان لهذا الدور الفاعل والقيادي على وجه هذه الأرض يكون هو أهم نظام في النظم جميعها وإن كان هو فرعاً من فروع نظام أكبر منه.

المنهج كمنظومة خبرات مربية:

كي نفهم مفهوم الخبرة، نتصور إن طفلا رأى شمعة مضيئة أمامه لأول مرة فمن الطبيعي إن يسعى هذا الطفل لاستكشاف هذا الشئ، وسيحاول مد يده لتناول الشمعة وبخاصة الجزء المضيء منها، وعندما يشعر بحرارة نار الشمعة وهي تحرق يده فإنه سيبتعد عنها فورا، ولن يحاول مرة أخرى إن يفعل ذلك، هنا نقول إن الطفل قد اكتسب خبرة نتيجة هذا الموقف، وبتحليل هذا الموقف نجد أنه يتكون من:

1- شمعة مضيئة ذات بريق أثارت انتباه الطفل، فهي مثير جذاب حرك مشاعر الطفل وحب استطلاعه.
2- طفل عنده رغبة ودافعية لحب الاستطلاع فقد جُبل الإنسان في تكوينه الفطري على حب الاستطلاع، وهذه هبة من الله للإنسان فطره عليها.
3- فعل ورد فعل متكرر من جانب الشمعة والطفل أي إن هناك تفاعلاً بين الجانبين وتأثيراً وتأثراُ لكل منهما في الآخر.

تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة
www.alukah.net

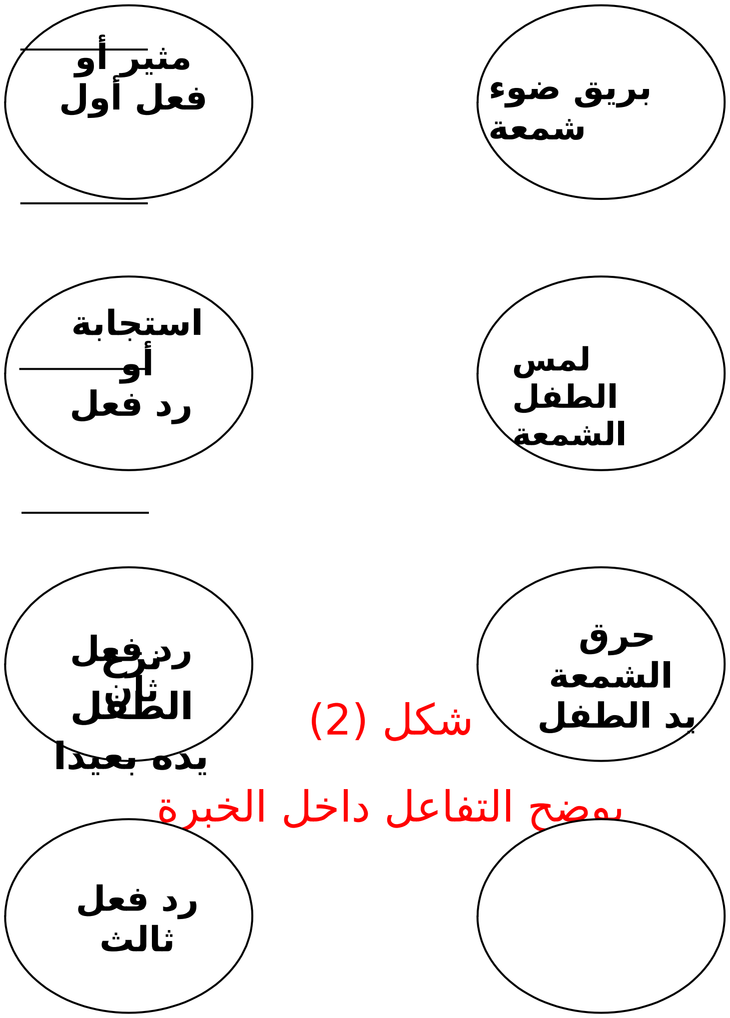

شكل (2)

يوضح التفاعل داخل الخبرة

4- توقف الطفل عن لمس نار الشمعة مرة أخرى وابتعاده عنها في كل مرة يرى فيها الشمعة أي إن الطفل أدرك إن نار الشمعة قد أحرقت يده وسببت له ألما، وبمعنى آخر ربط الطفل بين السبب(النار) والنتيجة(حرق يده) أي أدرك إن من خصائص النار أنها تحرق وهذه هي المعلومات التي تعلمها الطفل من هذا الموقف.

أما إذا كرر الطفل وضع يده على النار فإن ذلك يُفَسر على أنه لم يربط بين السبب والنتيجة إما لوجود ضعف فعلى عنده(أبله مثلا)، أو أنه ربط بين النتيجة وسبب أخر يمكن إن يكون قد وقع أثناء لمسه للشمعة كحدوث صوت خارجي، وبالتالي لا يمكن إن نقول إن الطفل اكتسب خبرة بدون الربط بين السبب الحقيقي والنتيجة التي شعر بها الطفل.

وعليه يمكن القول بأن الخبرة لا تتحقق إلا بشروط:

1- موقف مثير.
2- رغبة ودافعية من جانب التلميذ.
3- تفاعل التلميذ مع الموقف وتأثيره وتأثره بالموقف.
4- إدراك التلميذ للعلاقة بين السبب والنتيجة(الوصول إلى المعلومة المعرفية).
5- توظيف هذه المعلومة في المواقف المشابهة، أي يكون هناك تعديل في سلوك التلميذ وهذا التعديل يصبح جزءاً في شخصية التلميذ.

ولقد كانت أول خبرة مباشرة تعلمها الإنسان قبل إن يهبط على سطح الأرض عندما أمر الله عَزَّ وجل آدم بأن يسكن في الجنة التي أعدها الله له قبل نزوله على الأرض حيث أبيحت له كل ثمار الجنة إلا شجرة واحدة. ولكن الشيطان زين لآدم الأكل من الشجرة على أساس أنها شجرة الخلود في الجنة، وأقسم له أنه له ناصح أمين- فأكل آدم من الشجرة هو وزوجه، فبدت لهما سوآتهما، وكانا من قبل يأكلان من الجنة ولا يحدث لهما إخراج من سوآتهما. هنا أدرك آدم الخطيئة وندم على ما فعل، وهنا عاتبه ربه على ذلك ثم تاب عليه. وبذلك أصبح آدم لديه الخبرة في إن له عدواً، وتعلم كيف يتعامل معه بعد ذلك، وأصبح مدربا على هذه المواجهة مع الشياطين التي سيتعرض لمثلها طويلا في معركته الدائمة هو وذريته إلي يوم القيامة.

﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِين فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[البقرة: 35-37].

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا إن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنْ النَّاصِحِينَ﴾ [الاعراف: 20-21]

في هذه التجربة الواقعية تتضح أركان الخبرة وجوانبها المختلفة.

1- هذا هو الموقف الذي هيئه الله بين آدم والشيطان، فالشيطان يزين لآدم الأكل من الشجرة ويقسم له أنها شجرة الخلد وأنه له ناصح أمين. فهذا موقف إثارة لآدم.

2- تحركت رغبة آدم وحبه لأن يكون له الخلد، واندفع تحت تأثير هذه الغواية وأكل من الشجرة برغبته ودافعيته.

3- التفاعل الذي حدث بين آدم والشيطان في هذا الموقف حيث التأثير من جانب الشيطان بإلحاحه المستمر وتزينه وقسمه، والتأثر من جانب آدم وتحرك الرغبة لدية وقيامه بالفعل وأكله من الشجرة، ثم إحساس آدم وزوجته بسوآتهما التي بدت لهما نتيجة الإخراج، ثم الندم والحسرة على الفعل والإحساس بالذنب الكبير، ثم معاتبة الله لهما على ذلك، ثم طلب آدم العفو من الله فعلمه كيف يستغفر فغفر له.

4- إدراك آدم العلاقة بين النتيجة التي آل إليها والسبب الذي سبب له ذلك وهو غواية الشيطان له.

5-بعد هذا الموقف أصبح آدم مهيئاً لهذه المواجهة بينه وبين الشيطان على الأرض، فهذه التجربة هي تجربة البشر المتجددة المكرورة فلقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق إن يهبط إلي مقر خلافته مزودا بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلا، استعدادا للمعركة الدائمة بينه وبين الشياطين الذين يتربصون بالمؤمنين فى كل وقت وحين وفى كل اتجاه

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الاعراف: 16-17]

ولا يشترط إن يكتسب الفرد كل خبراته بطريقة مباشرة فهناك الكثير من الخبرات التي يكتسبها الفرد بطريقة غير مباشرة، حيث يتلقى الفرد المعلومات من غيره كأن يسمعها أو يقرأها من مصدر ما ولكنه يقتنع بها ويتأثر بها وينفذها في حياته وتصبح جزءا من سلوكياته. فعندما نزلت الآيات تحرم شرب الخمر:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ إِن يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾. [المائدة: 90-91]

سمعها عمر بن الخطاب قال "انتهينا. انتهينا" ولم يتطلب الأمر إلي أكثر من مناد في نوادي المدينة " ألا أيها القوم.إن الخمر قد حرمت" فمن كان في يده كأس حطمها ومن كان في فمه جرعة مجها، وشقت زقاق الخمر وكسرت قنانيه، وانتهى الأمر كأن لم يكن سكر ولا خمر.

فالخبرة فيها اكتساب معلومات، واقتناع بها، والعمل بمقتضاها برغبة ودافعية فهي ما وقر في القلب وصدقه العمل، وما أكثر هذا في حياتنا سواء كان اكتسابها بطريق مباشر أو غير مباشر.

ولكن ليست كل الخبرات مرغوباً فيها، فهناك من الخبرات ما يكون ضاراً بالفرد والمجتمع ولذلك فخبرات المنهج هي خبرات مربية تهدف إلي خير الفرد والمجتمع وتُرضى رب العزة لذلك فالخبرات المربية لها شروط.

شروط الخبرات المربية

1- إن تكون هذه الخبرات هادفة:

فيجب إن تحقق هذه الخبرات الغاية من خلق الإنسان ووجوده على هـذه الأرض.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30]

فالإنسان خليفة لله فى الأرض بهدف تعبيدها وتعميرها بما يحقق الغاية من خلقه.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. [الذاريات: 56]

وأن تكون الحاكمية لله وحدة في هذه الأرض وليس لأحد سواه

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. [الأنعام: 162-163]

فأي خبرة لا تحقق ذلك فهي خبرة غير هادفة وليست تربوية والعبادة هنا ليست كما يفهم البعض أنها الصلاة والصوم والزكاة والحج ولكن كل عمل يبغي فيه الإنسان وجه الله وعلى منهج الله فهو عبادة، فالباحث في مراكز الأبحاث، والصانع في مصنعه، والطبيب في عيادته عندما يقوم بعمله مخلصا لله بهدف تحقيق السعادة والتقدم للإنسان وحل مشاكله وتطوير حياته بغية مرضاة الله وتحقيقا لمنهج الله فهو في عباده.

وهناك من الخبرات غير التربوية التي يكون الهدف منها هو ظلم الآخرين واستبعادُهم وفرض سيطرة بعض الدول على العالم كصناعة الأسلحة الجرثومية والبيولوجية والتي تضر البشرية جمعاء فانتشار مرض فقد المناعة (الإيدز) قد ظهر أصلا نتيجة هذه الخبرات المؤلمة التي تفتك بالبشرية، وكذلك ما نواجهه الآن من محاولة البعض استخدام الهندسة الوراثية وعمليات الاستنساخ بما يخالف شرع الله والتي قد تجلب للإنسان ويلات لا يعرف منتهاها كل هذه الخبرات لا تعتبر خبرات تربوية لأن هدفها مضر بالإنسانية ويخالف هدى الله.

تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة
www.alukah.net

2- إن تحقق الخبرات مبدأ الاستمرارية والتتابع:

وهذا يعنى إن أية خبرة يكتسبها الفرد يجب إن تستمر في حياته وتصبح جزءا من شخصيته، كما أنها تكون امتدادا لخبراته السابقة وتمهد لخبراته اللاحقة فتعود الإنسان على أداء الصلاة في المساجد واستمراره في ذلك مثل حقيقي لاستمرار خبرة الصلاة عند هذا الإنسان، وهذا ما نلحظه في حديث رسول الله (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان) (سنن الترمذى)، وقوله(ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكارة. وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط) (سنن الترمذى)

وهنا نلحظ الألفاظ التي بالحديثين الدالة على استمرار الخبرات في حياة الفرد: يعتاد، كثرة الخطا، انتظار الصلاة بعد الصلاة. إنها لتعبر تعبيرا صادقا على دوام الفعل وتكراره في حياته، كما إن هذه الخبرة قد تعدت إلى غيرها من الخبرات حيث كونت لدى الإنسان خبرة أعمق وأكثر تعقيدا منها وهي خبرة الإيمان وهذا ما يؤكده قول الله تعالى: اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَقِمْ الصَّلاَةَ إن الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ. [العنكبوت: 45]

وهذه الخاصية للخبرات المربية تمثل الترابط الرأسي للخبرات ونموها بمرور الوقت، وعلى مر التاريخ فالحياة البشرية على كوكب الأرض ما هي إلا مثال واضح لهذه الخاصية فكل فرد يسهم بخبراته في تطوير الحياة ثم تأتى الأجيال من بعده تبنى خبراتها على هذه الخبرات وهكذا تتطور الحياة وتستمر إلى ما شاء الله.

وهذا الترابط الرأسي يستلزم من واضعي المناهج إن تكون خبرات المراحل التعليمية المتوالية مبنية بعضها على بعض فخبرات المرحلة الإعدادية تبنى على خبرات المرحلة الإبتدائية، وخبرات المرحلة الثانوية تبنى على خبرات المرحلة الإعدادية وهكذا، وفى داخل المرحلة الواحدة يجب إن تبنى خبرات الصف الثاني على خبرات الصف الأول أو خبرات الصف الثالث على خبرات الصف الثاني ... وهكذا.

3- إن تتكامل الخبرات فيما بينها:

وهذا يعنى إن تتكامل الخبرات التعليمية بعضها مع بعض في الوقت نفسه بحيث تحقق وحدة الموضوع، فالخبرات المختلفة للمواد الدراسية في نفس السنة الدراسية يجب إن تكون مترابطة فيما بينها، فما يدرسه التلميذ في الرياضيات يكون مرتبطا في وحدة الموضوع مع ما يدرسه في العلوم، وما يدرسه في موضوعات اللغة العربية، وهكذا لأن حياة الإنسان في الواقع ليست مجزءة بهذا الشكل ولكن خبرات الحياة وحدة متكاملة يواجهها الإنسان بكلياتها؛ ولذلك فهو في حاجة إن يتعلمها بهذه الوحدة حتى يستطيع إدراكها وفهمها ومن ثم يستطيع ممارستها في واقع الحياة.

4- إن تكون الخبرات في مجموعها شاملة لكل جوانب حياة الفرد والمجتمع.

وهذا يعنى تنوع الخبرات بحيث تشمل جوانب حياة الفرد الإيمانية والأخلاقية والجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية لأن أي ضعف في أي جانب من هذه الجوانب يؤدي إلي ضعف عام وخلل في شخصية الفرد المتوازن المتكامل، فمن الخطأ الكبير إن نركز مثلا على الجانب العقلي في التربية مهملين الجوانب الإيمانية والأخلاقية معتقدين إن تقدم الأمم قائم فقط على التفوق العقلي والعلمي للإنسان، فها نحن نجد إن أعظم دول العالم تسقط وتتهاوى وتتلاشى في بضع سنين وأصبحت أثراً بعد إن كانت قوة عظمى مثل الاتحاد السوفيتي الذي كان يحارب تعليم الجوانب الإيمانية والأخلاقية ويدعى إن الدين أفيون الشعوب، وسيكون الأمر هكذا أيضا بالنسبة للدول الغربية التي تمنع دراسة هذه الجوانب في مناهجها تاركة إياها للمؤسسات الأهلية ؛ مما جعل الجريمة تنتشر في هذه الدول بشكل لا يستطيع الفرد إن يخرج من بيته بعد الساعة العاشرة مساء خوفا على حياته كما يحدث في لندن وواشنطن ونيويورك.

لذلك يجب إن تأخذ هذه الجوانب نفس درجة الاهتمام نفسها في تعليمنا مثلها مثل الجوانب العقلية حتى لا نقع فيما وقع فيه غيرنا، ويجب إن تكون درجات تقويم الطلاب في هذه الجوانب ضمن مجموع درجات الطالب في الشهادات المختلفة حتى يكون هناك اهتمام من جانب الطلاب والمعلمين بتعلمها.

كما يجب إن تكون الشمولية في الخبرات أيضا لجوانب الحياة في المجتمع: اقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا، وسياسيا.. والزراعة والصناعة والتجارة.....

كما يجب إن تشمل كل التطورات المعاصرة التي يشهدها العصر مثل استخدامات الحاسبات والإنترنت وعلوم الفضاء... وما إلي ذلك.

5- إن تعمل هذه الخبرات على اكتشاف خبرات جديدة:

يجب ألا يكون الاهتمام في المناهج مقصوراً على الخبرات المنقولة عن الآخرين فحسب، بل يجب إكساب الفرد الخبرات التي تدفعه إلي الاكتشاف والبحث عن خبرات جديدة ويبادر بالبحث عنها واستخدامها لتطور الحياة ويكون له السبق في هذه الاكتشافات، وهذا لن يتأتى إلا بتزويد الفرد بخبرات البحث العلمي وأساليبه، وأن تكون لديه القوة الدافعة لهذا البحث والاكتشاف.

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 6-8]

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: 17-19]

فهذه دعوة من الله للإنسان بالبحث والاكتشاف ومعرفة مكنونات هذه المخلوقات والاستفادة بها بل إن الله قد دعا الإنسان للنظر في ذاته واكتشاف ما بها إلى جانب بحثه في الأرض.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾. [الزاريات: 20-21]

فكيف يكون لدينا هذه التوجيهات الربانية ولا يكون لنا السبق في الاكتشافات ومعرفة الكون واستغلاله في خدمة البشرية.

6- تحقيق التوازن بين الفرد والمجتمع

لكي تكون الخبرة مربية لابد إن تحقق السعادة لكل من الفرد والمجتمع في إن واحد فلا تركز على حاجات الفرد دون اعتبار لحاجات المجتمع كما

هـو الحـال في المجتمعـات الغربيـة الـتي تـولى حاجـات الفـرد ورغباتـه الأولويـة على حسـاب المجتمـع فـالفرد في الغـرب يـرتكب من الجـرم أقصاه، وقد يصل إلي إزهاق أرواح الآخـرين حيث انتشـرت جـرائم القتـل والاغتصاب أقصاها ولا يعاقب عليها القانون الغربي العقاب المناسـب بمـا يردع عصابات الإجرام والمافيا من النهب والإفساد فالمجرم القاتل مهمـا قتـل وأزهـق من أرواح لا يقتـل بحجـة حقـوق الإنسـان، فلجـان حقـوق الإنسان تسارع للدفاع عن المجرمين بحجة حقوق الإنسان، فهؤلاء القتلة مجرمو الحرب ومرتكبو مذابح القتل الجماعي في البوسنة والهرسك قــد يصل عقابهم فقط إلي السجن بضع سنين.

بل إن مناهج تعليمهم تكسب التلاميذ الخبرات التي بها يحـق لـه اغتصـاب حقوق الآخرين ونهب أمـوالهم واسـتعمار أراضـيهم وتسـخيرهم من أجـل تحقيق رغباتهم، فلقـد أبـاد الأوربيـون المواطـنين الهنـود الحمـر أصـحاب الأرض الحقيقـيين في الأمريكـتين، كمـا اسـتعمر الأوربيـون دول أفريقيـا ونهبوا خـيراتهم. والآن تمـارس الولايـات المتحـدة الأمريكيـة نفس الـدور لنهب ثروات العالم تحت مسـمى أنهـا حاميـة حمى حقـوق الإنسـان على الأرض.

أمـا في دول المعسـكر الشـرقي في الـدول الشـيوعية كـانت حاجـات المجتمع مقدمة على حقوق الفرد فالفرد يُسخر من أجل الإنتـاج وتحقيـق أهداف المجتمع فهو ترس في آلة الإنتاج، وهـذا يتعـارض مـع تكـريم اللـه للإنسان وسر وجوده في هذا الكون كما يتعارض مع طبيعة الإنسان الفرد فالمجتمع وسيلة لتحقيق هذا التكـريم للإنسـان وبالتـالي يجب المحافظـة على الاثنين معا لتحقيق هذه الغاية.

فيجب إن تحقق الخبرات التي تقدمها المدرسة لأبنائها هـذا التـوازن كـأن يحب الفرد للآخرين ما يحب لنفسـه، وخـبرات الـدين الإسـلامي هي خـير مثال لتحقيق هذا الشرط فالإسلام دين الوسطية فنجد الكثـير من الآيـات القرآنية والأحاديث الشريفة تحثنا على تحقيق ذلك.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُـوا اللَّهَ إن اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: 2]

وقول رسول الله ﷺ(لا يؤمن أحـدكم حـتى يحب لأخيـه مـا يحب لنفسـه) (البخارى) وقوله (المسلم أخو المسلم لا يظلمـه، ولا يسـلمه، ومن كـان

في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربه فـرج اللـه عنه كربه من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) (البخـــارى)
وقوله (وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما) (سنن الترمزى)

المنهج ونوع الخبرات

ذكرنا فيما سبق إن الخبرات إما إن تكون مباشرة أو غير مباشرة والخبرات المباشرة هي الخبرات التي يكتشفها الفرد نتيجة قيامه بعمل ما بنشاط ودافعية في الموقف الذي مر به وتوصل إلي نتائجه نتيجة هذا النشاط الذاتي، أما الخبرة غير المباشرة فهي خبرات الآخرين يكتسبها الفرد من خلال مصادر التعلم المقروءة (الكتب والمجلات والمسموعة، والدروس، والمحاضرات، والندوات، والإذاعة غير المرئية، والمرئية مثل(الأفلام والمسرحيات).

لذلك لكل نوع من الخبرات خصائصه التي تميزه، ولكي نحدد إلي أي مدى يمكن إن يشمل المنهج أياً من هذه الخبرات ولماذا نستعرض أولا مميزات وعيوب كل نوع.

مميزات الخبرات المباشرة:

1- إن ما يتعلمه التلميذ من خلال الخبرات المباشرة يكون ذا معنى فالمعلومات التي توصل إليها في موقف الخبرة هي من إدراكه وفهمه وبذلك نقضي على اللفظية التي تشيع بين التلاميذ حيث يكرر التلاميذ الألفاظ دون إدراك معناها، وقد يعتقد بعض المعلمين إن مجرد ذكر التلميذ للألفاظ يعنى أنه يدرك ما يقول.
2- ونتيجة لأن ما توصل إليه التلميذ من نتائج يكون من نشاطه الذاتي وله معنى في عقله، لذلك يكون هذا التعلم أبقى أثرا في ذهن التلميذ لأزمنة كبيرة.
3- كما إن نشاط التلميذ وقيامه بالفعل برغبة ودافعية يجعله أكثر إيجابية في عملية التعلم وأكثر نشاطا واهتماما بما يتعلمه.
4- نتيجة توصل التلميذ للنتائج بنفسه ونشاطه الذاتي يجعله أكثر ثقة بنفسه وهذا بدوره ينعكس على شخصيته التي تشعر بذاتها وتنمو بشكل صحي بدون عقد نفسية ومثيرات عصبية.
5- كما إن هذا النشاط والتفاعل في مواقف الخبرات المباشرة يحبب التلميذ في عملية التعلم وتقلل من الإحساس بالملل والضجر.
6- ونتيجة تفاعل التلميذ وإيجابيته وحبه لعملية التعلم يتكون لديه خبرة التعلم الذاتي والتعلم المستمر، وهذا من أفضل ما تصبو إليه من تربية الفرد.

7- والتعلم عن طريق الخبرات المباشرة تكسب التلميذ مهارات التفكير والبحث العلمي، وحل المشكلات، ومهارات العمل وهذا ما سينعكس بدوره على إن يكون هذا التلميذ فاعلا في المجتمع وفي الحياة العلمية، بل سيكون من هؤلاء التلاميذ الباحثون والمفكرون والعلماء.
8- كما إن التعلم عن طريق الخبرات المباشرة يساعد على تكوين الاتجاهات الإيجابية المختلفة نحو العمل والبحث والاكتشاف.
9- وعن طريق التعلم بالخبرات المباشرة نستطيع مواجهة خاصية الفروق الفردية ونعمل على تنمية قدرات كل تلميذ حسب ما وهبه الله من استعدادات وإمكانات عقلية وجسمية.
10- يسهم التعلم عن طريق الخبرات المباشرة في انتقال أثر التعلم لمواقف الحياة الحقيقية وبذلك يسهل تطبيق وتوظيف ما تم تعلمه في الحياة ومن ثمَّ لا يشعر التلميذ بعد تخرجه وعمله بعد ذلك في الحياة إن هناك فجوة بين ما تعلمه وما سيمارسه في الحياة العملية.

ورغم كل هذه المميزات للخبرات المباشرة إلا إن استخدامها في عملية التعليم والتعلم يشوبه الكثير من الصعاب والعقبات والمشكلات نذكر منها:

1- أن عملية التعلم باستخدام الخبرات المباشرة يستغرق من الوقت الكثير وعمر الإنسان قصير لا يكفي إن يتعلم كل هذه الخبرات المباشرة خلال سنين حياته، كما إن كم الخبرات البشرية يتزايد بسرعة هائلة يصعب على الفرد الإلمام بكل هذه الخبرات ولو في فرع واحد من فروع العلم وبذلك يصعب على مخططي المناهج إن يجعلوا عملية تعلم كل الخبرات بطريقة مباشرة.
2- كما إن التعلم عن طريق الخبرات المباشرة يجعل الأجيال الحالية لا تستفيد بخبرات من سبقها من الأجيال الماضية، وبهذا كلما جاء جيل من البشر يبدأ تعلمه وكشفه للخبرات من البداية ومن هنا لن يحدث تطور في حياة البشر ولا تقدم.
3- والتعلم عن طريق الخبرات المباشرة يحتاج من التمويل المادي الكثير مما يجعل التعلم مكلف وغير اقتصادي، فالمعامل والأدوات والأجهزة تكلف الكثير ولا تستطيع أي دولة من دول العالم مهما كان غناها إن تجعل ما يتعلمه تلاميذها عن طريق الخبرات المباشرة.
4- كما إن هناك مواقف قد يستحيل بها الإنسان إن يتعلم عن طريق الخبرات المباشرة لأسباب عدة:

أ- صعوبة الوصول إلي أماكن وجود هذه المواقف للبعد المكاني كالذهاب إلي الكواكب الأخرى أو المجرات والنجوم فى السماء. أو في أعماق البحار أو في قاع الأرض، بل حتى سطح الأرض في أماكن بعيدة مثل القطب الشمالي أو الجنوبي.

ب- هناك من المواقف التي تكون خطرة على الإنسان إن يمر بها فقد تذهب بحياته كمشاهدة الانفجارات النووية أو الحروب بالأسلحة الفتاكة أو المرور بمواقف غير أخلاقية كتناول المخدرات وما إلي ذلك، فكل هذا يضر بالفرد أيما ضرر.

ح- كما إن الأحداث التاريخية الماضية يستحيل إرجاعها مرة أخرى حتى يتمكن التلميذ من المرور بخبراتها، فعجلة التاريخ لا تدور إلى الوراء.

د-كما إن هناك من الأشياء الضخمة التي لا يمكن للإنسان إن يشاهدها بكلياتها ؛ فهذا الكون الفسيح الضخم بل إن المجتمعات والقارات لا يستطيع الإنسان إن يشاهدها بنظرة مباشرة مرة واحدة وعلى النقيض من هذا فالأشياء الدقيقة التي يستحيل على الإنسان مشاهدتها مباشرة كالخلايا الدقيقة وكرات الدم والجراثيم والتي تحتاج إلي أجهزة مكبرة جداً لمشاهدتها.

ه- كما إن هناك من الغيبيات التي ليست في العالم المشهود لنا والتي يجب إن تكون ضمن خبراتنا وإيماننا والتي لا نعلم عنها شيئا إلا عن طريق الوحي كالملائكة والجنة والنار والعرش والصراط... والإيمان بها شرط من شروط الإيمان، بل هو أول شرط من شروط الإيمان كما توضح الآيات التالية.

﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾. [البقرة: 1-3]

مما سبق ندرك أنه من المستحيل الاعتماد فقط على الخبرات المباشرة في عملية التعليم والتعلم، وعليه فلا مفر من الاستعانة بالخبرات غير المباشرة، أي الخبرات البديلة حين يستحيل أو يصعب استخدام الخبرات المباشرة للأسباب سابقة الذكر وعليه يمكن إن نبين ما تمتاز به الخبرات غير المباشرة.

مميزات الخبرات غير المباشرة:

1- الاستفادة من خبرات السابقين في جميع النواحي والمجالات، فكل ما توصلت إليه الأجيال السابقة يعتبر ثروة عظيمة للبشرية، ولذلك نجد الدول المتقدمة الآن قد أنشأت ما يسمونه بنوك المعلومات وسجلت فيها كل الخبرات البشرية واحتفظت بها في هذه البنوك للاستفادة بها، فهناك من الخبرات ما تم التوصل إليه بعد بحوث استمرت لعشرات السنين واشترك فيها العديد من الفرق البحثية وانفقت عليها ملايين الدولارات مثل الأبحاث الخاصة بخريطة الجينات البشرية، فليس من المعقول عندما نريد الاستفادة من مثل هذه الخبرات إن تجرى نفس التجارب التي أدت إلى التوصل إلى هذه الخبرات وننفق الملايين، بل يجب علينا إن نأخذ هذه الخبرات الجاهزة ونبني عليها ونستفيد منها ونطورها.

2- الاستفادة من الخبرات التي جاء بها الوحي والتي يستحيل إن يصل إليها الإنسان بعقله ولو اجتمعت الإنس والجن.

﴿ وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ.﴾[البقرة: 23-24]

﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى إن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. [الإسراء: 88]

فمن العبث ترك الخبرات التي جاءت عن طريق الوحي من الله كي تكون للناس هداية ودستور حياة ثم نبحث ونجرب عن خبرات البشر في هذا المجال، فكل الخبرات الخاصة بالشرع والقوانين الشرعية والقيم والأخلاق والآداب والسلوك والعبادات والمعاملات كل هذه الخبرات فيها الخير كل الخير لسعادة البشرية. فكل ما تعانيه البشرية الآن من سوء أخلاقيات وفساد وظلم وويلات الحروب وتسلط الظلمة والجبابرة ودول الكفر وبغي البغاة كل ذلك نتيجة بعد البشرية عن كتاب ربها وهديه ونوره الذي أنزله للناس كافة وبعث به نبيه محمداً ﷺ.وكل هذه الخبرات ما هي إلا خبرات غير مباشرة.

وهنا يجب إن لا نُخدع بما يسمى بالفلسفة التقدمية التي لا تؤمن إلا بما يأتي عن طريق التجريب أو العقل، ويدعوا أصحاب هذه الفلسفة إلي انتقال الاهتمام بالعالم الذي نعيش فيه ونحس فيه الآلام ونستمتع فيه بالأفراح، بدلا من التركيز على عالم آخر ودنيا أخرى، وأن العقل البشري

لديه القدرة على التفكير والتنظيم والتحليل والنقد، بما يحق له انتقاد المبادئ والسلطات والأوامر والمعتقدات، والحكم على مدى اتصالها بالحياة وعلى مقدار إسهامها في حل المشكلات وعلى مقدار قبول العقل والمنطق لها.وهذا يعني إن هؤلاء التقدميين يجعلون العقل البشرى يحكم على ما أنزله الله وعلى مدى صلاحيته.

إن هؤلاء مفسدون قد ضلوا وأضلوا من سار على نهجهم لاتباعهم هوى أنفسهم وتعاليهم على الله عز وجل بما وهبهم الله من عقل.

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إن اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]

3- كثيرا ما يلجأ المعلمون إلي الخبرات غير المباشرة في تدريسهم من أجل التمهيد لتدريس الخبرات المباشرة. فعند تدريس إحدى التجارب يقوم المعلم أولا بتزويد التلاميذ ببعض البيانات والملاحظات وخطوات إجراء التجربة، وما يجب على التلميذ ملاحظته أثناء التجربة. وكل هذه المعلومات ما هي إلا خبرات غير مباشرة، كما إن الباحث عندما تواجهه مشكلة ويحاول حلها فإنه يقوم بالقراءة حول موضوع هذه المشكلة لمعرفة ما كتب حول هذه القضية والتعرف على نتائج الأبحاث السابقة التي تتعلق بمشكلة بحثه للاستفادة بها في إجراء تجاربه وكيفية حل مشكلة البحث وهذا يؤكد أهمية الخبرات غير المباشرة في التعلم عن طريق الخبرات المباشرة.

4- إن الخبرات غير المباشرة قد تكون هي السبيل الوحيد للتعلم في حالة استحالة استخدام الخبرات المباشرة للأسباب سابقة الذكر التي تتمثل في الاستحالة أو عدم القدرة على التوصل إلى المعلومات، والخبرات، وفي حالة البعد المكاني أو الزماني أو لخطورة الخبرات المباشرة.

5- كما إن التعلم عن طريق الخبرات غير المباشرة يوفر الجهد والوقت والمال لسهولة الحصول عليها من المصادر المختلفة.

عيوب التعلم عن طريق الخبرات غير المباشرة:

1- قد يكون التلميذ غير إيجابي ويكون دوره سلبياً في عملية التعلم إذ قد يقتصر دوره على التلقي فقط.

2- عدم إثارة دافعية التلميذ وحماسه وإحساسه بالملل وفقدانه النشـاط والحيوية في التعلم.
3- سرعة نسيان ما يتعلمه التلميذ.
4- عدم فهم التلميذ لما يتعلمه ومن ثم تقتصر عملية التعلم على الحفظ والاستظهار مما يجعل التعلم غير ذي معنى.
5- تحول التعلم إلى الجانب النظري البحت وإهمال الجانب التطبيقي مما يفصل التعلم عن الواقع الحياتي، ويفقده وظيفته في الحياة.
6- قد يؤدي هذا النوع من التعلم إلى عدم تنمية مهارات العمل والتفكـير والاكتشاف والبحث.

ولكن كيف يمكن التغلب على مثل هذه العيوب:

1- استخدام الوسائل التعليمية المختلفة مثل الأفلام والنماذج والصور والمجسمات.. التي تسهم في جعل التعلم ذا معنى وتجذب التلاميذ وتغير اهتمامهم ودافعيتهم.
2- إكساب التلاميذ مهارات استخدام مصادر التعلم المختلفة من الكتب والإنترنت.
3- تزويد التلاميذ بمهارات القراءة الصحيحة، والقدرة على الفهم والتحليل وكيفية إبداء الرأي والنقد واستخدام أساليب النقاش والحوار وإبداء الرأى أثناء عملية التدريس.
4- زيادة مشاركة التلاميذ في الحصول على الخبرات غير المباشرة بتكليفهم بالبحث عنها وتجميعها وتحليلها ونقدها، مما يسهم في تنمية قدرة التلاميذ على التعلم الذاتي والتعلم المستمر.

من كل ما سبق يتضح أهمية استخدام كل من الخبرات المباشرة وغير المباشرة في تنظيم خبرات المنهج طبقا لطبيعة كل خبرة وما تتسم به مميزات وما يعترض استخدامها من صعوبات، لذلك فالمناهج يجب إن تشمل كلاً من النوعين طبقا لما تمتاز به في نفس الموقف عن غيرها إلى جانب أنه يجب إن تتشبع المناهج في المراحل الأولى من التعليم بالخبرات المباشرة لمناسبتها لخصائص التلاميذ في هذه المرحلة، ثم تزداد جرعة الخبرات غير المباشرة كلما علت المرحلة التعليمية حتى تصبح في المراحل الأعلى متشبعة بالخبرات غير المباشرة فيما عدا الخبرات التي تكون لها تطبيقات عملية ويحتاج الأمر فيها إلى اكتساب التلاميذ مهارات آدائية، فإن ذلك يحتاج بالطبع إلى خبرات مباشرة لتنميتها.

الباب الثاني

أسس بناء المنهج

الفصل الأول: الأساس الأول
هُدى الله

الفصل الثاني: الأساس الثاني
طبيعة العلم والثقافة

الفصل الثالث: الأساس الثالث
طبيعة الإنسان

الفصل الرابع: جوانب تربية الإنسان

الفصل الخامس: الأساس الرابع
طبيعة المجتمع

الفصل السادس: الأساس الخامس
طبيعة العلاقات الدولية

الفصل السابع: الأساس السادس
طبيعة الكون

الفصل الأول

مقدمة.

الأساس الأول: هُدَى الله.

الفصل الأول

مقدمة

إن المتأمل في معظم كتب المناهج يجد إن الغالبية العظمى قد حددت أسس بناء المناهج بطبيعة التلميذ، وطبيعة المجتمع، وفلسفة المجتمع وأحيانا بمسميات أخرى مثل: الأساس النفسي، والأساس الاجتماعي والأساس الفلسفي، ومنطلقاتهم في تحديد ذلك هو تصوراتهم الفكرية التي يتصورونها دون الرجوع إلي الهدف من وجود الإنسان والمجتمع والاهتداء بهدى من خلقهم. فنتيجة عدم الاعتراف بهدى الله من القرآن والسنة لم تكن هناك ثوابت فكرية يستند إليها المفكرون في تفكيرهم، ومن هنا ظهر ما يسمى بالفلسفات المختلفة التي تبحث عن هذه الثوابت الفكرية أو ما يسمى بالمنطلقات الفكرية أو الفلسفة، ولذلك كان الأساس الفلسفي أحد أسس بناء المنهج.

ولكن لماذا هذا الضياع الفكري وأمامنا هذه المنطلقات الفكرية التي وضعها الخالق عز وجل لنا لتكون هي الأساس الأول، بل أساس كل الأسس وهو هدى الله المتمثل في القرآن والسنة النبوية المطهرة.

وقبل الخوض في أسس بناء المنهج من هذا المنظور، ولكي ندرك طبيعة هذه الأسس كان لا بد لنا من معرفة الخالق لكل شئ، والمدبر لشئون هذا الكون ونحن منه؛ من أجل إن نكون على بينه من هذه الأسس، وعليه نستطيع إن نؤسس لمناهجنا التربوية.

فالله عز وجل هو الذي ينفرد بالخلق، فهو خالق كل شئ بلا منازع إذ ليس هناك في الوجود من ادعى خلق هذه العوالم وإيجادها، كما إن العقل البشرى يحيل وجود شئ بلا موجد، ومن المسلم به لدى كل البشر إن الخلق والإبداع لله رب العالمين.

 وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا إن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ [الأعراف: 172]

وحتى عبده الأصنام والمشركين يشهدون بذلك ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾. [المؤمنون: 86-87]

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: 61]

فالله عز وجل هو خالق كل شئ: الكون، والإنسان، والمجتمع، والبيئة، ووضع القوانين التي تسيرها وحدد العلاقة بينها جميعاً.

والله عز وجل هو الرزاق وينفرد بالرزق، إذ ما من حيوان سارح في الغبراء أو سابح في الماء أو مستكين في الأحشاء، إلا والله تعالى خالق رزقه وهاديه إلي معرفة الحصول عليه وكيفية تناوله والانتفاع به، فالكل مفتقر إلى الله عز وجل في وجوده وتكوينه، وفى غذائه ورزقه، والله وحده موجده

ومكونه ومغذيه ورازقه وهاهي آيات كتابه تقرر هذه الحقيقة وتثبتها ناصعة كما هي. قال تعالى:

﴿ فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا* ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا* فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا* وَعِنَبًا وَقَضْبًا* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا* وَحَدَائِقَ غُلْبًا* وَفَاكِهَةً وَأَبًّا* مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾. [عبس: 24-32]

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. [هود: 6]

والله عز وجل ينفرد وحده بالملك لكل شئ، إذ من المسلم به لدى كافة البشر إن الإنسان كغيره من الكائنات الحية في هذا الوجود لا يملك في الحقيقة شيئا، بدليل أنه يخرج أول ما يخرج إلى هذا الوجود عاري الجسم حاسر الرأس، حافي القدمين، ثم يخرج من الدنيا مفارقا لها ليس معه شئ سوى كفن يوارى به جسده، فكيف إذا يصح إن يقال إن الإنسان مالك لشئ على الحقيقة في هذا الوجود؟. ويقول عز من قائل: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُون ﴾. [الحشر: 23]

وكما إن الله عز وجل خالق كل شئ ومليكه ورازقه، فهو الذي يدبر شئون هذه المخلوقات ويتصرف فيها كيف يشاء. قال تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.[يونس: 31-32]

وإذا بَطَل إن يكون الإنسان – وهو أشرف هذه الكائنات- مالكا لشئ منها، فمن المالك إذن؟ المالك هو الله والله وحده-وبدون جدل- ولا ريب. وما نقوله ونسلم به في الملكية نقوله ونسلم به في التصرف والتدبير لكل شأن من شؤون هذه الحياة، ولعمر الله إذا لهى صفات الربوبية (الخلق، والرزق، والملك، والتصرف، والتدبير).

وعلى ذلك فإن ربوبية الله عز وجل الثابتة دون جدل مستلزمة لألوهيته وموجبة لها، فالرب الذي يحيى ويميت، ويعطي ويمنع، وينفع ويضر هو المستحق لعبادة الخلق، والمستوجب لتأليههم له بالطاعة والمحبة والتعظيم، والتقديس، والرغبة إليه والرهبة منه.

كما إن اتصاف الله عز وجل دون غيره بصفات الكمال المطلق، ككونه تعالى قويا قديرا، عليا كبيرا، سميعا بصيرا، رؤوفا رحيما، لطيفا خبيرا، فإن ذلك يوجب تأله قلوب عباده له بمحبته وتعظيمه وتأليه جوارحهم له بالطاعة والانقياد.

ولقد أخبرنا الله عز وجل بنفسه عن أسمائه وصفاته، إذ قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180]

كما وصف نفسه بأنه سميع بصير، وعليم حكيم، وقوى عزيز، ولطيف خبير، وشكور حليم، وغفور رحيم، وأنه كلم موسى تكليما، وأنه استوى على العرش، وأنه خلق بيديه، وأنه يحب المحسنين، ورضى عن المؤمنين، إلى غير ذلك من الصفات الذاتية والفعلية كمجيئه تعالى ونزوله وإتيانه، مما أنزله في كتابه، ونطق به رسوله ﷺ.

والمسلم يؤمن بما لله تعالى من أسماء حسنى، وصفات عليا، ولا يشـرك غيره تعالى فيها، فلا يتأولها ولا يعطلها ولا يمثلها بالمخلوقين، على مذهب السلف من غـير عيب للخلـف، ولا يشـبهها بصـفات المحـدثين فيكفيهـا أو يمثلها. فنحن نؤمن بأن الله تعالى ينزل ويرى، وهو فـوق عرشـه اسـتوى ولكن لا نعلم كيفية الـنزول ولا الرؤيـة ولا الاسـتواء، ولا المعـنى الحقيقي لذلك. بل نفوض الأمر في علم ذلـك إلى اللـه ولا نصـف اللـه بـأكثر ممـا وصف به نفسه ووصفه به الرسول، ونحن نعلم إن الله ليس كمثلـه شـئ وهو السميع البصير.

وبناء على كل ما سبق يكون تصورنا عن الأسس التي ينبني عليهـا المنهج متمثلة في الأسس التالية:

الأساس الأول: هُدَى الله.

الأساس الثانى: طبيعة العلم والثقافة

الأساس الثالث: طبيعة الإنسان.

الأساس الرابع: طبيعة المجتمع.

الأساس الخامس: طبيعة العلاقات الدولية.

الأساس السادس: طبيعة الكون.

حيث إن منطلقاتنا الفكرية تكون من هدى الله وأن الإنسـان هـو موضـوع التربية وأن المجتمع هو الإناء الذي يعيش فيه التلميذ وأن مجموع الأفـراد سيتكون منهم المجتمع، وأن المجتمع هو جزء من المجموعة الدولية على الكرة الأرضية والتى هى جزء من هذا الكون، وأن العلم هو وسـيلة تربيـة الفرد وتشكيل شخصيته لتحقيق الهدف من وجوده خليفة للــه في الأرض يعمرها وفق هُدَى الله.

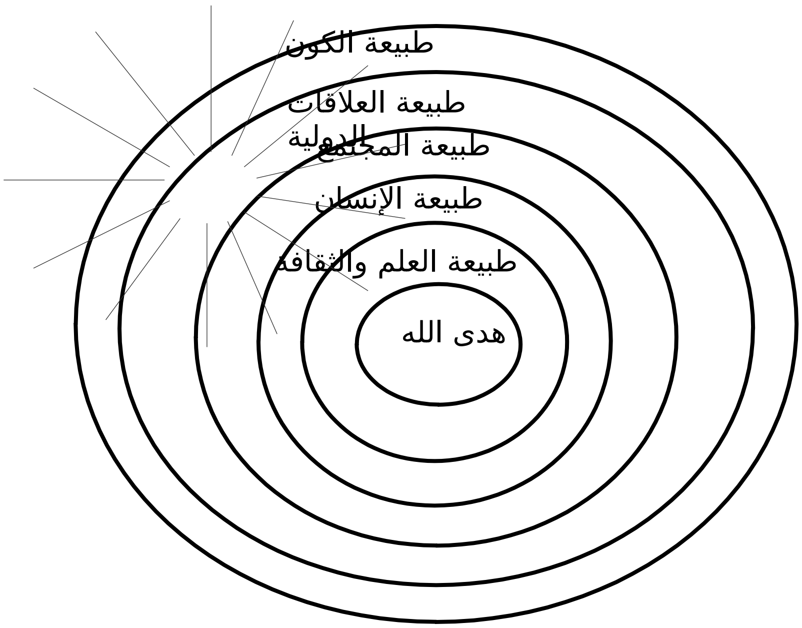

شكل (3)

يوضح أسس المنهج

الأساس الأول

"هُدَى اللَّه"

إن هدى الله المتمثل في القـرآن والسـنة النبويـة هـو الأسـاس الأول من أسس بناء المنهج بل هو أساس كل الأسس، ففي القرآن والسنة النبويـة كل الهدى لكل البشرية.﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُـودُ وَلَا النَّصَـارَى حَتَّى تَتَّبِـعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إن هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُـدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْـوَاءَهُمْ بَعْـدَ الَّذِي جَـاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. [البقرة: 120]

كما أكد ذلك رسول الله ﷺ بقوله (إن أحسن الحديث كتاب اللـه، وأحسـن الهدى هدى محمد) (البخاري)، وقوله (تركت فيكم أمـرين لن تضـلوا مـا تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه) (موطأ مالك)

فمن فضل الله على الإنسان أنه لم يتركه في الحياة يستهدى بمـا أودعـه الله فيه من فطرة سليمة تقوده إلي الخـير، وترشـده إلي الـبر فحسـب، بل بعث إليه بين فترة وأخرى رسولا يحمل من الله كتابا يدعو إلي عبـادة الله وحده، ويبشر وينذر لتقوم عليه الحجة.

﴿ رُسُـلًا مُبَشِّـرِينَ وَمُنـذِرِينَ لِئَلَّا يَكُـونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْـدَ الرُّسُـلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165]

وظلت الإنسانية في تطورها ورقيها الفكري والوحي يعاودها بما يناسـبها ويحل مشاكلها الوقتية في نطاق قوم كـل رسـول، حـتى اكتمـل نضـجها، وأراد الله لرسالة محمد صلى الله عليـه وسـلم إن تشـرق على الوجـود، فبعثـه على فـترة من الرسـل ليكمـل صـرح إخوانـه الرسـل السـابقين بشريعته العامة الخالدة، وكتابه المنزل عليه، وهو القـرآن الكـريم " مثلى ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بني بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنـة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون منه، ويقولون: لولا هذه اللبنة، فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين" (متفق عليه)

القرآن المصدر الأول لهدى الله:

القرآن رسالة الله إلى الإنسانية كافية، وقد تواترت النصوص الدالـة على ذلك في الكتاب والسنة.﴿ قُـلْ يَاأَيُّهَـا النَّاسُ إِنِّي رَسُـولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًـا الَّذِي لَـهُ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَـآمِنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾. [الأعراف: 158]

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا(1)﴾. [الفرقان: 1]

" وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة" (البخارى) ولن تأتي بعده رسالة أخرى.

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40]

فلا غرو إن يأتي القرآن وافيا بكل مطالب الحياة الإنسانية على الأسس الأولى للأديان السماوية

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى: 13]

﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾ [الأنعام: 38]

والقرآن بتلك الخصائص يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مواقف الحياة الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجا حكيما؛ لأنه تنزيل الحكيم العليم، ويضع لكل مشكلة بلمسها الشافي في أسس عامة تترسم الإنسانية خطاها، وتبني عليها في كل عصر ما يلائمها، فاكتسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان، فهو دين الخلود ومن أروع ما قيل في هذا: " الإسلام نظام شامل، يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دولة ووطن، أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء".

والقرآن الكريم هو المصدر الأول لهدى الله، فكل تعاليم الإسلام يجب إن ترجع في أصولها إلى القرآن: العقائد والمفاهيم والقيم والموازين

والعبادات والشعائر والأخلاق والآداب والقوانين والشرائع كل هذه قد وضع القرآن أسسها وأرسى دعائمها.

وقد حوى القرآن من حقائق الغيب، وحقائق النفس، وحقائق الحياة، وحقائق الاجتماع الإنساني، وبين سنن الله تعالى، ومن آياته في النفس والآيات مالا يستغنى بشر عن معرفته، والاهتداء به.

وقد صاغ ذلك كله في أسلوب معجز هو نور من الكلام أو كلام من نور لا يوصف إلا بأنه:

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1]

وصفه سبحانه بأنه نور، والنور من طبيعته بين بذاته ويضئ ويهدي

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [النساء: 174].

كما وصفه بأنه روح، والروح من طبيعتها أنها تتحرك وتحيى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾. [الشورى: 52]

ولهذا كان شأن المؤمنين المهتدين بالقرآن إن يوصفوا بالحياة وبالنورانية معا، انتصروا على الموت وعلى الظلام جميعا بقوله تعالى:

﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 122]

والإنسانية المعذبة اليوم في ضميرها، المضطربة في أنظمتها المتداعية في أخلاقها، لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا القرآن.

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 123-124]

السنة النبوية المصدر الثاني لهدى الله:

والمصدر الثاني لهدى الله هو السنة النبوية، فهي الشارحة للقرآن والمبينة له، والمفصلة لما أجمل، وفيها يتمثل التفسير النظري، والتطبيق العملي لكتاب الله. قال الله تعالى يخاطب رسوله.

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 44]

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾. [النحل: 64]

وتشمل السنة: أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وأوصافه، فهي

سجل حافل لحياته، وجهاده عليه الصلاة والسلام في سبيل دعوته حوت من جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وكنوز المعرفة، وأسرار الدين، وحقائق الوجود، ومكارم الأخلاق، وروائع التشريع، وخوالد التوجيه، ودقائق التربية، وشوامخ المواقف، وآيات البلاغة، ثروة طائلة هائلة لا تنفد على كثرة النفاد ولا تبلى جدتها بكرة الغداة ومر العشى، وجاءت آيات القرآن الكريم موجبة على المسلمين اتباعها والعمل بها.قال تعالى:

﴿ مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾. [النساء: 80]

﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إن اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب ﴾ [الحشر: 7]

إلى آخر ذلك من الآيات المظهرة لأهمية السنة المطهرة والموجبة للعمل بها.

وقد صور النبي ﷺ ما بعثه الله به من الهدى والعلم وموقف الناس من الاستفادة منه والإفادة به تصويرا بليغا معبرا فقال " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعمل وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" (البخارى)

دور المناهج فيما يخص هدى الله:

1- التأكيد فيما يدرسه التلاميذ على معانى الربوبية والألوهية لله وحده.
2- تعريف التلاميذ بأوجه هدى الله للبشرية وأهمية ذلك لإخراجها من ظلمات الظلم والتخبط والحروب والتنافر إلى حياة سعيدة يملؤها الحب والتعاون.
3- تعريف التلاميذ بأن المسلمين هم وحدهم الذين يحملون المشعل وسط دياجير النظم والمبادئ الأخرى، فحرى بهم إن ينفضوا أيديهم من كل بهرج زائف، وأن يقودوا الإنسانية الحائرة بالقرآن الكريم والهدى النبوي الشريف حتى يأخذوا بيدها إلى شاطئ السلام، وكما كانت لهم الدولة بالقرآن في الماضي، فإنها كذلك لن تكون إلا به في الحاضر.
4- دراسة التلاميذ للتاريخ الإسلامي الأول في عهد رسول الله والخلفاء الراشدين وبيان ما كان فيه العالم تحت راية الإسلام من خير وسعادة لكل من كان تحت راية هذه الدولة سواء كان مسلماً أو ذميا كان يتمتع بالأمن والسعادة والرخاء، وتوضيح إن كل هذا كان ناتجا من تطبيق هدى الله على واقع الأرض.
5- أن تكون كل المنطلقات والأسس الأخرى في بناء المناهج منطلقة من هُدَى الله الذي هو نبراس لكل واضع منهج، والابتعاد عن كل الفلسفات الخرافية التي يدعيها من يسمون أنفسهم فلاسفة أو مفكرين حيث إن هؤلاء لا فكر لهم إلا فكر الشيطان فهم يريدون إن يسلك الإنسان مسلك الحيوانات لا هدف لهم إلا الجنس والمتعة الحيوانية بالأكل والشرب ومن أمثالهم فرويد.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾. [محمد: 12]

6- إن تنطلق غاية التربية لتلاميذنا من هدى الله، فلقد خلق الإنسان ليكون خليفة لله في الأرض يعمرها ويُعّبدها لله وعلى هدى الله.

7-ربط العلوم المختلفة بما جاء فى القرآن، وبقدرة الله.

الفصل الثانى

الأساس الثانى

طبيعة العلم والثقافة

الأساس الثانى

أولا: طبيعة العلم

تعد طبيعة العلم أحد أسس بناء المنهج الدراسي، شأنها في ذلك شأن باقي أسس بناء المنهج الدراسي: هدى الله، طبيعة المتعلم، طبيعة المجتمع، طبيعة الكون ....، وفى هذا الفصل سوف نتناول طبيعة العلم بالتوضيح من أجل أخذ هذه الطبيعة أساسا يجب الاستفادة به في بناء المنهج الدراسي.

ماهية العلم:

هناك اختلاف في وجهات النظر إلي طبيعة العلم حتى بين العلماء أنفسهم فهناك من يؤكد الجانب المعرفي للعلم وينظر إلى العلم على أنه نظام من المعرفة العلمية المنظمة لهذا الكون وما به من أشياء وأحداث وظواهر، حيث نظم العلماء ما توصلوا إليه من معرفة المفاهيم والقوانين ونظريات وتصميمات في نظام معرفي معين.

وفى ضوء هذه النظرة يعتبر العلم بمثابة معرفة فقط، وعلى ذلك نُظمت مناهج التعليم في صورة مقررات لمواد دراسية، وتم التركيز فيها على عمليات الحفظ والفهم - إن وجد – ولم تتعداها إلى عمليات العقل العليا من النشاط الفكري القائم على التفكير السليم والتقصي العقلي والخيال الخصب ومهارات واتجاهات التفكير العلمي وحل المشكلات.

وقد ترتب على هذه النظرة المحدودة آثار تربوية سيئة منها التركيز على تدريس المعلومات كما لو كان إكتساب المعلومات وتعلمها هو الهدف الوحيد لعمليات التربية، وبذلك أصبح دور المعلم في العملية التربوية هو تلقين المعلومات وتبسيطها لتوصيلها بكل السبل إلى أذهان التلاميذ، وما على التلاميذ إلا تلقى هذه المعلومات وحفظها.

وهناك من نظر إلى العلم على أنه طريقة للتفكير والبحث والنظر وهذه النظرة تؤكد على أهمية أساليب الملاحظة الدقيقة وفرض الفروض والتحقق من صحتها عن طريق التجريب واستنباط القوانين، وهو ما يسمى بالمنهج التجريبي في العلم، وهذه النظرة تهمل المعرفة وتركز على طريقة الوصول إلى المعرفة عن طريق الحواس البشرية.

تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهناك وجهة نظر ثالثة تجمع بين وجهتي النظر السابقتين حيث تعتبر إن العلم يشتمل على:

1- نسق أو بناء من المعارف منظمة منسقة عن مادة الكون وطاقته وأحيائه وجماده، تشتمل على حقائق أمكن التوصل إليها من خلال الملاحظة المقصودة المضبوطة، وعلاقات تربط بين هذه الحقائق ونظريات يعتمد عليها العلماء في التوصل إلى حقائق وعلاقات وتجارب ونظريات جديدة.
2- طريقة للبحث تقوم على الاستطلاع، وفرض الفروض، والملاحظة، والتجريب، والتفكير المنطقي الموضوعي، وتبعد ما أمكن عن تأثير العاطفة والرغبات الشخصية والعقائد السائدة.

إلا إن هذه الوجهة الأخيرة ينتابها أيضا القصور فهي وجهة نظر بشرية، حيث أنها تقصر العلم على ما توصل إليه الإنسان نتيجة تفكيره وتدبره في كتاب الكون المفتوح وفى علوم الكون والحياة وكل ما يتصل بأحوال الناس المادية وشئونهم المعيشية، كما إن ما يتوصل إليه الإنسان ليس في كل الأحوال يعتبر صحيحا علميا، فكم من نظريات علمية ثبت عدم صحتها.

إن كل وجهات النظر السابقة لماهية العلم التي ابتدعها البعض وضلوا بها وأضلوا الآخرين من ورائهم هي وجهات نظر قاصرة وضالة ومضلة وذلك لابتعاد معتنقها عن المصدر الأساسي لكل علم، فالعلم كله من عند الله، فكيف والحال هكذا وهناك من العلوم مالا يستطيع الإنسان إدراكها بعقله رغم أنها أمامه ويعمل الكون بها - بما فيه هو نفسه - ناهيك عن علوم الغيب وما وراء المادة، ومنها علوم الوحي التي ما كان للإنسان إن يدركها إلا عن طريق الوحي.

أما العلم من المنظور الإسلامي الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو قسمان:

علوم الوحى:

وهي العلوم المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى والتي تؤسس حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، وتبين صلته بربه وبنفسه وبأخيه الإنسان

وبمجتمعه المحلى بما في ذلك الأسرة، وبالمجتمع الإسلامي على وجه العموم وباقي المجتمعات الأخرى، وبالحياة والكون أجمع.

وعلوم الوحي تزود الإنسان بالمعرفة التي لا يستطيع إن يكتشفها بنفسه ولا يدركها بعقله وحواسه وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [البقرة: 23-24].

فكانت رحمة الله به إن أنزلها الله للإنسان مباشرة عن طريق الوحي حتى تستقيم حياته في الأرض ويكون قادرا على تحمل الأمانة التي كلفه الله بها، وتحقيق خلافته لله في الأرض وتعميرها، فكان المنهج الرباني الذي يهتدي به الإنسان والنور الذي يضئ له الطريق في كل وقت وحين منزلا عن طريق الوحي.

ويتكون هذا القسم من:

القرآن الكريم:

وهو كلام الله " المنزل على محمد المتعبد بتلاوته، وقد تلقاه النبي عن طريق الوحي بواسطة جبريل بلفظه، وكان الرسول يبلغه لأصحابه وفق ما تلقاه دون تبديل أو تعديل فيكتبونه ويحفظونه.

والقرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخا في الإعجاز، أنزله الله على رسولنا محمد ليخرج الناس من الظلمات إلي النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، فكان صلوات الله وسلامه عليه يبلغه لصحابته – وهم عرب خُلَّصُ– فيفهمونه بسليقتهم، وإذا التبس عليهم فهم من الآيات سألوا رسول الله عنها.

السنة:

وهي الشق الثاني من الوحي وهو قسمان:

أ- الحديث النبوي:

وهو ما أضيف إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو وصفه وهو وحي – بالمعنى ولفظه من الرسول

تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة
www.alukah.net

ب- الحديث القدسي:

وهو ما يضيفه النبي إلى الله تعالى، أي إن النبي يرويه على أنه من كلام الله، فالرسول راوٍ لكلام الله بلفظ من عنده وإذا رواه أحد رواه عن رسول الله مسندا إلى الله عز وجل، فيقول " قال رسول الله فيما يرويه عن ربه عز وجل ...." أو يقول " قال رسول الله : قال الله تعالى – أو يقول الله تعالى ...)

العلوم المكتشفة (العقلية)

هي المخزون المعرفي الذي يكشف عنه الإنسان نتيجة تفاعله مع معطيات حياته، وما ينتقل إليه من الغير، وطرق البحث المختلفة التي يستخدمها الإنسان في حل مشكلاته وتطوير حياته وفق منهج الله مما يساعده على عمارة الأرض وتسخيرها لخدمة البشرية، مستخدما في ذلك عقله وجميع حواسه من سمع وبصر وغيرها التي منحها الله له تحقيقا لهذه الغاية.

وتلك العلوم – على عكس علوم الوحي – يستطيع الإنسان بما وهبه الله من عقل وحواس إلى استكشافها إذا سعى للوصول إليها، فتأتى مشيئة الله عز وجل لاكتشافها عن طريق الإنسان رغم أنها موجودة ويعمل بها الكون فيستطيع استخدامها طبقا لحاجاته لها.

ومن هذه العلوم:

أ) العلوم الطبيعية: كالفيزياء، والكيمياء، والفلك، والأحياء، والجولوجيا.
ب) العلوم التطبيقية: كالصناعة، والهندسة، والزراعة، ومختلف تطبيقات التكنولوجيا..

ج) العلوم الإنسانية: كالسياسة، التاريخ، والاقتصاد، الأدب، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلوم اللغة ...

د) العلوم البحتة: كالرياضيات والمنطق.

ه) العلوم التابعة للدين بخلاف علوم الوحي: مثل علم الفقه، علم الحديث، علم التفسير...

تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة
www.alukah.net

طبيعة العلم

1- العلم كله من عند الله:

إن العلم بقسميه: علوم الوحي، والعلوم المكتشفة كلها من عند الله. فعلوم الوحي منزلة من عند الله مباشرة عن طريق الوحي، والعلوم المكتشفة (العقلية) أيضا من عند الله فهي موجودة في الأصل يعمل بها هذا الكون بكل مشتملاته.

وقد خُلق الإنسان وهو لا يدرى عن هذه العلوم شيئا رغم وجودها ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. [النحل: 87]

ولكنه زوده بوسائل الإدراك والبحث عن هذه العلوم من سمع وبصر وأفئدة، فما يكتشفه الإنسان من أسرار هذا الكون، هو ما يوفقه الله عز وجل إلي اكتشافه بمشيئته وإذنه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.[البقرة: 255]

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: 26-27]

فحقائق الكون لا يبتكرها الإنسان، وإنما كانت مستورة عنه، واكتشافه لها– بإذن الله وتوفيقه –جعله ينتفع بها في دائرة أوسع لأنها كانت تؤدى دورها ومهمتها قبل إن يكتشفها فالموجات الكهربية والمغناطيسية كانت موجودة قبل معرفة الإنسان لها، وعندما شاء الله إن يعرفها الإنسان تم استخدامه لها في مجالات عديدة لخدمة حياته﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76].

وعلى ذلك يجب إن نعي تماما إن الله عز وجل يساعد الإنسان على كشف ما يشاء من المستور عليه في هذا الكون، والإنسان بهذا الكشف لا يخلق ولكن يستنبط ويستقرئ ما هو مستور عن عقله، وعليه فإن ما لم يدركه الإنسان بعقله ليس معدوما، بل هو كائن، ولكن لم يشأ الله بعدُ إن يكشف عنه للإنسان حتى يحين الوقت الذي يشاء الله فيه إن يظهره له.

تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة
www.alukah.net

2- لا حدود لمدى العلم واتساعه بالنسبة للإنسان:

حيث إن العلم كله من عند الله، فإن العلم لا حدود له عمقا واتساعا وتنوعا بالنسبة للإنسان، فكل يوم تطالعنا وسائل الإعلام بالكشف عن جديد في نواحي العلم المختلفة بل وكشف علوم جديدة لم يكن للإنسان علم بها. بل إن وتيرة هذه الاكتشافات تتزايد يوما بعد يوم بسرعة مذهلة، ورغم ذلك وبمرور السنون ومع هذه السرعة في الاكتشافات البشرية فإن مخزون العلم من الضخامة والاتساع بما لا يمكن لإنسان إن يحيط به﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 85]

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ إن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف: 109]

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: 27]

2- إن سعي الإنسان لاكتشاف العلم شرط ضروري للوصول إلى المعرفة:

فالمعرفة أصلا موجودة ويعمل بها الكون ولكن لا يكتشفها الإنسان إلا بعد سعيه وبحثه عنها، وهذا لا يتأتى إلا بعد شعور الإنسان لحاجته إلى الوصول إلى هذه المعرفة، فالحاجة كما يقال – أم الاكتشاف. فالحاجة تدفع الإنسان للعمل والبحث لحل مشكلاته، وهنا تأتى مشيئة الله عز وجل لكشف المستور لإشباع حاجة الإنسان وحل مشاكله﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾.[آل عمران: 145].

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى* فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل 4-10].

وكما نلحظ من الآيات فإن اكتشاف العلم لا يخص الله به المؤمن فقط، بل يعم به غير المسلم أيضا، ولكن كل حسب رغبته في سعيه للدنيا أم للآخرة، فغير المؤمن عندما يسعى للحصول على العلم من أجل الدنيا

يِيَسَّر الله له ذلك، وليس له في الآخرة من ثواب أما المؤمن الذي يسعى ويتقي الله فإنه ينال الدنيا والآخرة معا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ [البقرة: 200-2002].

ومن هنا كان على المؤمن إلى جانب سعيه وبحثه عن المعرفة من أجل تعمير الأرض لعبادة الله إن يكون ذلك مصحوبا بتقوى الله عز وجل.

قال الله عز وجل: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا [الطلاق: 2]
وقال: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً [الطلاق: 4]
ومن قوله أيضا: " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة: 282]
ولقد حرصت دول العالم على إنشاء مراكز الأبحاث وخصصت لها الكثير من مواردها المالية والبشرية وأصبح هناك المتخصصون في هذه المراكز، حيث شغلهم الشاغل هو البحث العلمي، كما أولت الدول اهتماما كثيرا بتعليم أبنائها وسائل البحث العلمي ومهاراته.

4- لا تعارض بين حقائق الوحي والحقائق الكونية التي يكتشفها الإنسان

إذا كان كل العلم من عند الله عز وجل سواء ما أوحى به الله للبشرية عن طريق الوحي أو العلم الذي يسير به الكون ويعمل به ويكشفه الله لهم، لذلك لا يكون هناك تعارض بينهما ولكن ما يكتشفه الإنسان يجب إن يطابق ما جاء به الوحي، وإذا كان هناك من شبهة تعارض فإن ذلك لا يكون راجعا إلى تعارض بين الحقيقة الكونية وحقيقة الوحي ولكن يكون التعارض في فهم الإنسان سواء فهمه لحقيقة الوحي أو فهمه لحقيقة الكون، فإما إن يكون ما توصل إليه الإنسان عن الكون غير صواب، أو إن تفسير الإنسان لما جاء به الوحي تفسيرا غير صحيحا.

5- غاية العلم هي تطبيق منهج الله في الحياة.

فالعلم كل العلم غايته بالنسبة للإنسان هو تحقيق خلافة الإنسان لله في الأرض وتعميرها على منهج الله، وبذلك يكون كل عمل الإنسان ما هو إلا عبادة لله، فالعبادة لا تقتصر على شعائر التعبد به فحسب، ولكن تشمل جميع جوانب سلوك الإنسان في جميع جوانب حياته، وتحيط بجميع

نشاطات الإنسان في الاعتقاد والمعاملات والأخلاق ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾. [الذاريات: 56].

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: 162-163]

فالعلم غايته تطبيق منهج الله في كل مكان وكل زمان وكل الأمور لخدمة كل الناس، فالإنسان في بحثه يزداد معرفة بربه، فيعبده حق عبادته، اعتقادا بوحدانيته، عملا بالشريعة والتزاما بمنهجه، كما إن العلم يؤهل الإنسان للارتقاء بالحياة وفق معطيات العصر، ويكون هذا موجها نحو تحقيق سعادة الإنسان ذاته وجميع بني جنسه على وجه الأرض، فالمسلم لا يعيش في معزل ولا يعمل لذاته فقط، بل هو عنصر في جماعة المسلمين، وعضو في المجتمع الإنساني كله﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾. [إبراهيم: 1]

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 151]

والمتدبر للآيات السابقة يدرك إن الأمة الإسلامية مكلفة من الله عز وجل لقيادة العالم لإخراجها مما هي فيه من ضلال وعبودية الطواغيت وإخراج العباد من عبادة العباد إلي عبادة رب العباد، وأن تكون الحاكمية لله وحده وليست للشرعية الدولية التي تقودها الدول غير الإسلامية للسيطرة على العالم وتسخيره لمجموعة من الجبابرة الطغاة.

إن هذه الأمة الإسلامية بما لديها من العلم الذي أنزله الله عليها باللغة العربية هي أكثر فهما لما أنزله الله وأقدر على قيادة العالم وإخراجه مما فيه من ضلال وفوضى وظلم كما فعل المسلمون الأوائل في عهد الخلفاء الراشدين حيث أخرج المسلمون الفرس والرومان من ظلم وبطش حكامهم الكفرة إلى نور الإيمان حيث عاشوا في ظل الإسلام حياة كريمة عزيزة.

6- طلب العلم فريضة على كل مسلم:

إذا كان العلم هو وسيلة الإنسان في تعمير الأرض وخلافة الإنسان لله في الأرض فقد جعل الله طلب العلم فريضة على المسلم يجب القيام

به، كما إن طلب العلم عبادة لله عز وجل، فحقائق العلم هي آيـات اللـه، والتأمل في آيات الله عبادة، والانتفاع بهـا في عمـارة الأرض هـو وظيفـة الإنسان والغاية من خلقه.

فطلب العلم فريضة كما بين رسول الله ﷺ " طلب العلم فريضة على كل مسلم " كما كان أول ما نزل على الرسول من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَـقَ * خَلَـقَ الْإِنسَـانَ مِنْ عَلَـقٍ * اقْـرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْـرَم * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: 1-5].

وما يؤكد إن طلب العلم فريضـة هـو إن أي عمـل لا بـد إن يؤسـس على نيـة، وأن النيـة لا بـد إن تؤسـس على علم، أي إن العلم والنيـة لا بـد إن يسـبقان القيـام بالأعمـال، فلا يمكن للمسـلم إن يصـلى مـا لم يعلم إن الصلاة فريضة وأن لها أركاناً وسننا ومواقيت وغير ذلـك ممـا لا يمكن أداء الصلاة إلا بمعرفته، ويتلو ذلك نية المسلم قبل أداء الصلاة، لذلك فقد نبـه رسول اللـه ﷺ على أهميـة النيـة بالنسـبة للأعمـال فقـال " إنمـا الأعمـال بالنيات وإنما لكـل إمـرئ مـا نـوى فمن كـانت هجرتـه إلي اللـه ورسـوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحهـا فهجرته إلى ما هاجر إليه".

وطلب العلم إما إن يكون فرض عين على المسلم، وإما إن يكـون فـرض كفاية، فهناك علوم عينية على كل مسلم ومسلمة لا يصح الإسـلام إلا بهـا كالعقيدة والعبادات والمعاملات، فالمسلم يلزمه معرفة الطهارة والصيام وإذا كان له مال وجب عليـه معرفـة الزكـاة، وإذا بـاع وجب عليـه معرفـة البيوع.

أما فرض الكفاية فهي العلوم التي إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين كعلـوم الصـناعة والطب والاقتصـاد والاجتمـاع ... الخ وإذا لم يوجـد من المسلمين من يقوم بها أثمت الأمة كلهـا كالحاجـة إلى المجتهـدين وأهـل الذكر سواء بسواء ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُـونَ لِيَنفِـرُوا كَافَّةً فَلَـوْلَا نَفَـرَ مِنْ كُـلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَـةٌ لِيَتَفَقَّهُـوا فِي الـدِّينِ وَلِيُنـذِرُوا قَـوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُـوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ. ﴾ [التوبة: 122].

دور المناهج فيما يختص بطبيعة العلم:

1-على واضعي المناهج إن يضمنوا مناهج التعليم كل جوانب العلم المختلفة سواء كانت علوم الوحي أو العلوم المكتسبة لأهمية كل جانب لتربية الإنسان.

2- تعريف التلاميذ بطبيعة كل قسم من أقسام العلم، فعلوم الوحي ثابتة لا تتغير أما العلوم المكتشفة فمن الممكن إن يحدث فيها تعديل أو تغيير نتيجة قدرة الإنسان على إدراك ما هو موجود من هذا العلم والإحاطة بمكوناته، على إن يدرك التلاميذ إن كل العلم من عند الله، وأن الكون يعمل بهذا العلم وما على الإنسان إلا إن يكتشفه ويستخدمه لتطوير حياته.

3- إكساب التلاميذ القدرة على التفكير بأنواعه المختلفة وأساليب البحث العلمي التي هي وسائل لاكتشاف هذا العلم لاستخدامه في مجالات الحياة وذلك عن طريق:

أ) تهيئة مواقف يواجه فيها التلاميذ مشكلات مرتبطة بالحياة، ومن ثم يتم تدريب التلاميذ على حل هذه المشكلات باستخدام الأسلوب العلمي من تحديد المشكلة، وفرض الفروض، وجمع البيانات، واختبار صحة الفروض والتوصل إلى النتائج.

ب) تنمية وسائل الحصول على المعرفة لدى الإنسان من القدرة على الملاحظة والمناقشة، والتفكير والإدراك، والتخيل والتركيب، واختبار صحة الأداء كل ذلك من خلال عمليات التدريس، وإجراء التجارب والأبحاث.

ح) تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو العلم وحب الاستطلاع والكشف من خلال الأنشطة المشار إليها، وعن طريق التشجيع والإقناع بأن التفكير العلمي هو الوسيلة المثلى لمواجه المشكلات وتطوير الحياة على وجه الأرض، وأن الله عز وجل لا يعطى العلم إلا لمن سعى إليه وعمل على اكتشافه، كما إن طلب العلم فريضة.

4- ضرورة إحداث توازن المناهج فيما يخص الجوانب النظرية والتطبيقية والربط بينهما فكل جانب له أهميته ويؤثر في الجانب الآخر، كما إن العلم غايته التطبيق وتطوير الحياة على وجه الأرض، فالإنسان خلق من أجل إن يكون خليفة لله في الأرض، لذا وجب تحقيق هذه الغاية.

5- عند تخطيط المناهج يجب مراعاة إن يكون تدريس العلوم العينية عامة لكل التلاميذ لما تحققه هذه العلوم من وحدة المجتمع وتماسكه ولما لها من أهمية في حياة كل فرد، أما علوم فرض الكفاية فيدرسها الطلاب طبقا لقدراتهم واستعداداتهم واهتماماتهم بما يتناسب مع الفروق الفردية بينهم.

ثانيا: مفهوم الثقافة:

مفهوم الثقافة:

يختلف الناس في تعريف الثقافة، فمنهم من يطبقها على الجانب الفكري من حياة الناس، ومنهم من يعنى بها التعلم فيقول إن الشخص المتعلم شخص مثقف، ويعرفها رجال الاجتماع بأنها جميع أساليب الحياة السائدة في المجتمع، سواء الجانب الفكري منها أو الجانب المادي أو الجانب السلوكي.

وعليه فالثقافة هي الأسلوب الكلي لحياة الجماعة، حيث توجد الثقافة في عقول الأفراد أو في أنماط سلوكهم ولذلك فقد تقسم الثقافة إلى:

1- الجزء المادي من الثقافة: مثل المباني والشوارع والسدود والمصانع والحدائق والإنفاق والمدارس والمستشفيات والآلات والأجهزة ووسائل المواصلات والملابس.
2- الجزء غير المادي من الثقافة: مثل الأفكار والعادات والتقاليد والاتجاهات والمعتقدات والقوانين والأحكام والفقه.

لذلك يعتبر البعض إن الثقافة كل ما أنتجه الإنسان بعقله ويده، فهي حصيلة نتاج البشر في مكان ما عبر السنين، ومن هذا المفهوم للثقافة نجد إن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به تميزه عن غيره من المجتمعات.

هذا المفهوم للثقافة ينطبق على الثقافات غير الإسلامية والتي لا تضع لمنهج الله وهديه وجود في ثقافتها، معتمدة على إن قدرة العقل الإنساني على التفكير والتنظيم والتحليل والنقد وانتقاء المبادئ والمعتقدات الدينية والحكم على مدى صلاحيتها للحياة، فكل ما ينتجه الإنسان في المجتمعات التي لا تدين بشرع الله سواء في الجانب المادي للثقافة أو غير المادي لا يمت لمنهج الله بصلة.

أما في المجتمعات الإسلامية التي تتخذ من منهج الله شريعة لها فإن الوضع يختلف لأن المعتقدات والمفاهيم والمبادئ والقيم وأنماط السلوك التي يقرها الدين الإسلامي متمثلة في القرآن والسنة تعتبر جزءاً من ثقافة هذه المجتمعات على الرغم من إن القرآن والسنة من وحي الله وليست من صنع أو إنتاج الإنسان، ولذلك فإن ثقافة المجتمع الإسلامي تتميز عن المجتمعات غير الإسلامية بهذه الميزة، فالأسلوب الكلي لحياة الجماعة المسلمة يتضمن في جانبه غير المادي على هدى الله المتمثل فيما يشمله القرآن والسنة من إيمانيات وأخلاقيات وعبادات وما شرعه الله من قوانين وعلاقات اجتماعية وحقوق وواجبات...

عناصر الثقافة:

1-عالميات الثقافة

إذا كانت الثقافة هى الأسلوب الكلى للحياة فإن هناك من عناصر الثقافة ما هو عام فى البشرية جميعا، وهذه العناصر تميز الإنسانية عن غيرها من المخلوقات الأخرى، فالإنسانية كلها ترتدى الثياب وتسكن فى المنازل وتتناول الطعام والشراب الخاص بها.

كما أنه على الرغم من إن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به إلا إن هناك عناصر ثقافية عالمية لا تخص مجتمع بعينه ولكنها منتشرة فى غالبية المجتمعات، أى أنها عامة لكل البشرية، مثل الأعراف والقوانين الدولية ووسائل الاتصالات الدولية كالتليفونات والإنترنت، والأجهزة التى تنتشر فى كل أنحاء العالم مثل التليفزيون والأدوات المنزلية ووسائل المواصلات وغيرها.

وقد زادت هذه العناصر فى الآونة الأخيرة نتيجة لسرعة وكثرة الاكتشافات العلمية والتكنولوجية، وسهولة الاتصالات وسرعة تنقل الإنسان وانتقال الصناعات والمنتجات، كما أصبح وجود الشركات العالمية العملاقة التى تنتشر فى كل أنحاء العالم وتغزو منتجاتها الكرة الأرضية، ناهيك عن وسائل الإعلام التى غطت كل أنحاء العالم، وأصبحت تنقل الأخبار والفكر وألوان الثقافة المختلفة فى لحظات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، بحيث أصبحت الكرة الأرضية كقرية صغيرة.

ولعناصر الثقافة العالمية أهميتها فى تحقيق التفاهم العالمى ونشر الإسلام والتخفيف من الصراعات الدولية وما يسمى بصدام الحضارات،

ولذلك كانت دعوة الله عز وجل للبشرية للدخول فى دين الله كافة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الانبياء: 107]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف: 158]

2- عموميات الثقافة:

وهو الجزء من الثقافة الذي يشترك فيه معظم أفراد المجتمع، وهو يعتبر أساس الثقافة، ويشمل اللغة والعادات والاتجاهات والأفكار الشائعة والملبس وأساليب التنمية والتقاليد والمعتقدات والقيم والمُثل والأنماط الأساسية للعلاقات الاجتماعية ... وهذه العموميات هي التي تميز مجتمع عن آخر.

وتعمل هذه العموميات على توحيد النمط الثقافي للمجتمع، وعلى تفاهم أفراده وتقارب طرق تفكيرهم، واتجاهاتهم، واهتماماتهم. مما يعمل على زيادة شعورهم بالوحدة والتضامن والمصير المشترك، وكل هذا يعمل على التماسك الاجتماعي الضروري لبقاء المجتمع واستمراره.

3- خصوصيات الثقافة:

هي جزء من الثقافة تختص به فئة من فئات المجتمع، أو هي الأنماط التي تخص جماعة معينة مثل أصحاب المهن كالأطباء، والمهندسين، والتجار، والصيادلة، والصحفيين، والمعلمين، والمحامين.... حيث لكل فئة من هذه الفئات مصطلحاتها الخاصة بها، وأساليب تعامل، وطرق تفكير تختص بها كل فئة، فمثلا فئة الأطباء لهم أهدافهم واهتماماتهم الخاصة بهم، ولهم مصطلحاتهم ومجلاتهم وأنديتهم ومؤتمراتهم ونقابة خاصة بهم، ولهم طرق تفكير وأساليب تعامل تتمشى مع طبيعة عملهم، وكل هذا يختلف عن باقي المهن الأخرى، ولكن كل هذه الفئات والجماعات تشترك مع باقي أفراد المجتمع في العموميات.

4- متغيرات (بديلات) الثقافة:

توجد بعض أنماط الثقافة التي لا تنتمي إلي عموميات الثقافة ولا إلى خصوصياتها، ولكنها موجودة لدى عدد قليل من أفراد المجتمع، نتيجة أنها مكتشفة أو مستوردة حديثا نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي في مجالات الحياة المختلفة، كالزراعة، والصناعة، والطب، والهندسة، فاكتشاف الإنترنت والكمبيوتر والهواتف النقالة والقنوات الفضائية بالتليفزيون كل ذلك قد بدأ كبديلات أو متغيرات، وصاحبه في نفس الوقت تغيرات في العادات والاتجاهات والقيم نتيجة الغزو الفكري والخلقي نتيجة سرعة الاتصالات بين الثقافات.

وازدياد عدد المتغيرات يدل على حيوية الثقافة وديناميتها.وذلك إما لسرعة التقدم والتطور في المجتمع أو نتيجة اتصالها وتفاعلها مع الثقافات الأخرى متأثرة بها ومؤثرة فيها، وكلما كانت الثقافة مرنة وفي نمو تكون أقدر على امتصاص المتغيرات دون اضطراب فيها، شريطة إن يكون لب هذه الثقافة الأساسي راسخا ولا يتغير في مهب كل تغيرات تحدث في ثقافة المجتمع.

أما إذا زادت متغيرات الثقافة بدرجة تهز لب الثقافة وتغير فيه أصيبت الثقافة بالتفكك والتحلل وفقدت الثقافة هويتها وتصبح ثقافة هامشية، في حاجة إلى إعادة التوازن بين عناصرها، ومن أمثلة هذه الثقافات الهامشية ثقافة المجتمع التركي الذي يدين غالبية شعبه بالإسلام وفى الوقت نفسه، يتطلع عدد ليس بالقليل من هذه الأمة إن تكون جزءا من أوربا

في ثقافتها، وإلي جانب ذلك فالدستور التركي ينص على أنها دولة علمانية، وتقوم الفئة الحاكمة فيها بمحاربة أي اتجاه إسلامي فيها وبذلك فقدت تركيا هويتها بعد إن كانت قلب الأمة الإسلامية وحامية لها في فترة من فترات التاريخ.

العلاقة بين عناصر الثقافة:

هناك من عناصر الثقافة ما قد يكون ثابتا إلي درجة كبيرة سواء من عموميات الثقافة أو من خصوصياتها وهذه العناصر تسمى " لب الثقافة" فهي مستقرة في المجتمع بحيث لا يقبل أفراد المجتمع المساس بها سواء بالإضافة إليها أو بالحذف منها، وبطبيعة الحال فإن أكبر مثال لذلك هي المعتقدات الدينية ففي المجتمعات الإسلامية لا تغيير ولا تبديل في العقيدة وأصول الشريعة بل إن الله عز وجل تكفل بحفظ القرآن بقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9]

ولب الثقافة يعنى القواعد والمعارف والمهارات الأساسية التي لا غنى عنها لحياة الناس والتي توجه سلوكهم، ويستخدمونها في تبرير تصرفاتهم. وعليها يبنون توقعاتهم وآمالهم، ويستمد المجتمع استقراره وحيويته من هذا الجانب وعليه تقوم كل المؤسسات الاجتماعية وأسس الحكم الخلقي والاجتماعي ويمتد أثر ذلك على أفراد المجتمع، حيث يكتسب الفرد استقراره الشخصي وأمنه العاطفي لأنه يجد فيه صدى لأعماق مشاعره وأجل أهدافه وولائه وإيمانه.

إلا إن هناك بعض العناصر من العموميات أو الخصوصيات قد تفقد عموميتها أو خصوصياتها إما لأنها لم تعد تناسب تطورات العصر وظهور ما هو أفضل منها فتتحول إلى متغيرات ثم تندثر مثل عربات النقل التي كانت تجرها الخيول أو نتيجة إحلال بعض العادات محل عادات أخرى فى الملبس أو المأكل مثل " الطربوش" والعمامة واستخدام أدوات جديدة في المأكل وظهور أكلات جديدة واختفاء أخرى.

كما إن هناك الكثير من بديلات أو متغيرات الثقافة والتي تحيط بالعناصر الأساسية للثقافة وتطفو على سطحها والتي تسمى " الغلاف السطحي للثقافة " وهذه العناصر تمر بفترة من الاختبار فإذا ما تقبلها الناس استقرت رويدا رويداً ثم تحولت إلي عموميات أو خصوصيات، وما أكثر هذه المتغيرات في العصر الحاضر نتيجة التغيرات التكنولوجية التي أصبح

لها أثر واضح على حياة الناس وطرق معيشتهم، أما العناصر التي لا يقبلها الناس فيكون مصيرها الإهمال والنسيان.

خصائص الثقافة:

على الرغم من تعدد الثقافات إلا أنها جميعا مشتركة فيما بينها في الخصائص العامة، وهذا يرجع إلي إن الثقافة تخص البشر جميعا، وكلهم ينتمون إلي أصل واحد ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إن اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. [الحجرات: 13]

1- الثقافة خاصة بالإنسان:

ينفرد الإنسان عن باقي الكائنات الحية الأخرى بالعقل الذي حباه الله به مما يساعده على الاختراع والابتكار والسيطرة على ما سخره الله له من الطبيعة من أجل منفعته، لذلك فهو يطور حياته من جيل إلى آخر، فكل جيل من الأجيال يرث ثقافة الجيل السابق له ويعدل فيها ويطورها ويضيف إليها، ثم يورثها إلي الجيل الذي يليه، وهكذا تنمو الثقافة من جيل إلى جيل. وهذه الخاصية ينفرد بها الإنسان دون الحيوان فحياة الحيوانات لا تتغير، فلو تتبعنا مجموعة من الحيوانات في غابة، فإننا نجد إن حياتها تكاد تسير على وتيرة واحدة ولا تتغير مسيرة الحياة لدى هذه الحيوانات من جيل إلى جيل بل تكاد تكون ثابتة. فبالرغم من إن الحيوانات تعيش في جماعات، وتنظم نفسها، وتقسم العمل بين أفرادها، كما إن لها نظماً اجتماعية دقيقة كالنحل والنمل إلا أنها بدون ثقافة، فهي تولد مزودة بدوافع فطرية لكل ذلك وتنتهي خبراتها بانتهاء حياتها.

2- الثقافة مكتسبة:

تتكون الثقافة - فى غالبيتها - من عادات أو استجابات متعلمة يكتسبها الإنسان عن طريق الخبرة أثناء حياته، وأثناء مروره بعملية التطبيع الاجتماعي داخل الأسرة التي يعيش فيها والمجتمع الذي ينتمي إليه، فالإنسان يكتسب من الآباء والأجداد والأقران عاداته، واتجاهاته، وطرق تفكيره كما يكتسبها عن طريق المؤسسات التربوية المختلفة سواء في المسجد أو المدرسة أو النادي.. أي أنها تنتقل على المستوى الرأسي(من الآباء إلي الأبناء، أو من المعلم إلي تلميذة) كما أنها تنتقل على المستوى الأفقي (من مجتمع إلي آخر) فكثيرا ما نستورد بعض الأجهزة من الخارج

كما ننقل منهم بعض أساليب التكنولوجيا في مجالات الحياة المختلفة من طب وزراعة وهندسة ... الخ وكل هذا يدل على انتقال الثقافة على المستوى الأفقي، إلا إن هناك بعض الأنماط الثقافية يكتسبها الإنسان عن طريق الوحي وهذه خاصة بالرسل والأنبياء.

3- الثقافة مشبعة لحاجات الإنسان:

فالثقافة تمد الإنسان بما يحتاج إليه بيولوجيا وسيكولوجيا وعقليا واستمرار نمط معين من الثقافة دليل على نجاحه في إشباع حاجات الأفراد والجماعات أما إذا لم يلب هذا النمط من الحاجات، فإن الإنسان يستغني عنه، ويبحث عن بديل يشبع حاجاته. فقصور الثقافة عن إشباع حاجات الأفراد يؤدى إلى انحلالها، كما إن الحاجة نفسها تكون سببا في اكتشاف أنماط ثقافية جديدة، فالحاجة أم الاختراع، فالحاجات والثقافة يؤثر كل منهما في الآخر إما بالإيجاب أو السلب.

4- الثقافة اجتماعية:

أي إن الثقافة يشترك فيها أفراد جماعة معينة من المجتمع وهي الخصوصيات، أو يشترك فيها معظم أفراد المجتمع وهو ما نطلق عليه العموميات، فالثقافة لا تخص فردا واحدا في المجتمع وإلا فإنها ستزول بوفاة هذا الفرد.

5-الثقافة قابلة للانتقال:

فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي ينقل ثقافته إلى الأجيال المعاصرة واللاحقة سواء في مجتمعه أو في غيره من المجتمعات، والسبب في ذلك هو وجود اللغة واختراع الكتابة، وقد زادت هذه الخاصية في هذا العصر بسبب توفر الوسائل الحديثة للاتصال مثل الإنترنت كما أصبح من السهل تسجيل وحفظ ونقل كم مهول من المعلومات على قطعة صغيرة من المعدن وفي سرعة مذهلة مما ساعد على التفاعل بين الثقافات وانتقال الكثير منها وإليها.

6- الثقافة متطورة ومتغيرة في غالبيتها:

فعناصر الثقافة في غالبيتها في تطور وتغير مستمر نتيجة التقدم المذهل في الاكتشافات العلمية والاختراعات التكنولوجية والتي تؤثر في باقي العناصر الثقافية حتى تتلاءم معها، مما يجعل الثقافة ديناميكية وفي نمو مستمر كما ساعدت أيضا وسائل الاتصالات الحديثة مثل الإنترنت إلى سرعة النقل الثقافي من وإلى المجتمعات الأخرى مما زاد من سرعة التغير الثقافي.

إلا إن هناك بعض عناصر الثقافة تكون في حالة ثبوت واستقرار دائم وهي تمثل جزءا من لب الثقافة خاصة في الثقافة الإسلامية التي حافظت على وجودها وستستمر إلى ما شاء الله نتيجة حفظ الله للقرآن الكريم لكل المعايير والتشريعات والمعاملات والقوانين الإسلامية ثابتة لا تغبير فيها

7- الثقافة متكاملة:

كي تستقر الثقافة في مجتمع ما ولا يحدث فيها نوع من الاضطرابات فلا بد إن يحدث هناك توافق بين عناصر الثقافة الواحدة، وإذا حدث تغيير في بعض العناصر فإن باقي العناصر الأخرى تسارع إلي عملية الوفاق مع هذا التغير، كما يلزم دخول العناصر الجديدة (المتغيرات) ضمن عموميات الثقافة أو خصوصياتها إن تتوافق مع لب الثقافة حتى يحدث تعايش وترابط بين عناصر الثقافة الواحدة. ففي حالة المتغيرات الجديدة التي تظهر في المجتمعات الإسلامية يلزمها إن تتوافق مع ضوابط الشرع الإسلامي حتى يقبلها الناس وتصبح ضمن ثقافة هذه المجتمعات الإسلامية وإلا كتب عليها الموت في مولدها.

دور المناهج فيما يتعلق بالثقافة:

1- إعداد التلاميذ دعاة للإسلام وتدريبهم على تحمل مسئولياتهم فى تحقيق السلام العالمى وذلك بنشرهم للدين الإسلامى فى أنحاء المعمورة، حيث إن الأمة الإسلامية هى المنوط بها تحقيق هذا السلام، وهم أبناء هذه الأمة ودعاة المستقبل. ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110]

2- إيضاح الحكمة الربانية من تعدد الثقافات فقد شاءت إرادة الله ذلك من أجل التعارف والوئام بين الشعوب والأمم، وليس التناحر والحروب

كما أرادها أعوان الشيطان، وقد ظهرت هذه الغاية واضحة في قول الله عـــز وجل
﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إن اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.[الحجرات: 13]

حيث يخاطب الله كل البشر بقوله: يا أيها الناس، ويحدد الغاية من جعلهم شعوبا وقبائل بقوله لتعارفوا، فالتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون والتكامل كل حسب قدراته وثقافته من أجل النهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات لتحقيق خلافة الإنسان لله في الأرض بتقوى الله والسير على هداه.

3- تدريس عموميات الثقافة لجميع التلاميذ في مراحل التعليم العام وخاصة لبها المتمثل في المعتقدات والمفاهيم والمبادئ والقيم وأنماط السلوك الإسلامية التي يقرها القرآن الكريم والسنة المشرفة وأيضا اللغة العربية، حيث إن ذلك يحقق وحدة الأمة وتماسكها ويحافظ على كيانها وبقائها، كما يوحد فكر الأمة وتوجهاتها نحو تحقيق الغاية من وجودها، فهي خير أمة أخرجت للناس والمنوط بها تحقيق العدل والسلام في بقاع الأرض، بجعل العبودية لله وحدة والحاكمية لله وحدة.

4- اكتشاف القدرات والمواهب والميول الخاصة بكل تلميذ في المرحلة الثانوية وتوجيهه لدراسة التخصصات التي تتناسب مع هذه القدرات بحيث تحقق لكل طالب أقصى حد ممكن من استغلال هذه القدرات بدون النظر إلى الجنس أو اللون أو الطبقة أو المركز الاجتماعي لهؤلاء التلاميذ.

5- تنمية قدرات التلاميذ على التفكير الناقد بحيث يؤدي ذلك إلى نقل أفضل ما لدى الأجيال السابقة وما يتناسب مع تطورات العصر مع المحافظة على لب الثقافة الإسلامية التي مصدرها القرآن والسنة، كما يعمل هذا التفكير الناقد أيضا على نقل ما لدى الثقافات الأخرى من وسائل تقدم علمي وتكنولوجي بما يحقق تقدم الأمة، ونبذ كل ما هو ضار ومخالف لهذا اللب الثقافي من أجل المحافظة على هوية ثقافتنا.

6- يجب إن يركز المنهج على تنمية قدرات التلاميذ على التفكير العلمي وحل المشكلات بما يسهم في تطوير ثقافتنا علميا وتكنولوجيا حتى تكون لها الريادة في العالم كما كانت في سابق عصرها.

7- تدريب التلاميذ على استخدام وسائل العصر التكنولوجية من حاسبات وانترنت وغيرها من أجل الإسراع بعملية التطوير والتحديث لمسايرة العصر في سرعة التقدم.

8- مسايرة مناهج التعليم ومواكبتها للتغيرات الثقافية الحديثة والسريعة وذلك بمراجعة المناهج سنويا وتعديل ما يلزم في محتوى المناهج والأنشطة التعليمية وطرق ووسائل التعليم والتعلم.

9- تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو التغيير الذي يحقق التقدم والازدهار لأمتنا، لأنها سنة الحياة التي سنها الله للبشرية.

الفصل الثالث

الأساس الثالث

طبيعة الإنسان

الفصل الثالث

الأساس الثالث: طبيعة الإنسان

يعد التلميذ من أهم الأسس التى يبنى عليها المنهج لأنه هو محور العملية التعليمية ومناط جهودها، فإذا كانت الغاية من التربية هو إعداد التلميذ ليكون خليفة الله فى الأرض يعمرها ويطور الحياة عيها على هدى من الله، لذلك كانت الحاجة إلى تحليل طبيعة التلميذ كما خلقه الله والتعرف عليها، وكيفية التعامل معها، والاهتداء بالكيفية التى علم الله بها آدم وزوده بالخبرات اللازمة له لشق طريقه فى الحياة على الأرض، كل هذا كان ضروريا لتأسيس المنهج المناسب لتربية هذا التلميذ.

ويعتبر هذا الفصل محاولة لتحقيق ذلك من خلال عرض أهم خصائص طبيعة الإنسان للاسترشاد بها فى إعداد مناهج تربية هذا الإنسان بما يتناسب وهذه الخصائص.

1 – الإنسان مخلوق مكرم:

لقد تعددت صور تكريم الله للإنسان وكانت أول صور التكريم متمثلة في الإعلان العلوي الجليل في الملأ الأعلى الكريم لاستقبال نشأة هذا المخلوق الجديد في موكب عظيم من الملائكة ليكون خليفة الله في الأرض:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. [البقرة: 30]

كما كرمه الله بإعلان هذا التكريم في كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقي في الأرض﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 70]

ومن أعظم ما كرم به الله الإنسان على كل المخلوقات أنه أنشأه بيديه أما باقي المخلوقات فقد أنشأها الله ب"كن" فكانت، كما إن الله نفخ فيه من روحه، فهذه النفخة قد شرفت الإنسان عن سائر خلق الله، فلا

شرف أفضل من هذا، فالإنسان فيه من روح الله ما يسمو به ويرقى به إذا ارتفع بدينه وزكي بنفسه. ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: 9]

وتوالت صور التكريم لهذا المخلوق بأن أسجد الله له الملائكة سجود تكريم أو سجود تحية- لا سجود عبادة – بعد إن أعلن الله عن خلقه في ذلك الموكب العظيم بالملأ الأعلى لاستقبال الوجود لهذا المخلوق، فأية عظمة هذه وأي تكريم هذا﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾. [البقرة: 34]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنْ السَّاجِدِينَ ﴾. [الأعراف: 11]

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل جعل الله من الملائكة حفظة عليه ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾. [الأنعام: 61]

كما جعل منهم من يبلغ الرسل وحيه، وأنزلهم على الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، يثبتونهم ويبشرونهم، وعلى المجاهدين في سبيل الله ينصرونهم ويبشرونهم كذلك، ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إن اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 9-10]

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾. [الأنفال: 12]

وسلطهم على الذين كفروا يلقون فى قلوبهم الرعب وعند الوفاة يستلون أرواحهم منهم في تأنيب وتعذيب ... الخ. ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. [الأنفال: 50]

2 – الإنسان مفطور على الإيمان بالله وتوحيده:

لقد خلق الله الإنسان مفطورا على الإيمان بالله وتوحيده ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا إن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. [الأعراف: 172]

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30]

فقد أخذ الله على بني آدم الميثاق في ذات أنفسهم، وذات تكوينهم، وهم في عالم الذر، فالاعتراف بربوبية الله فطرة في كيان الإنسان ؛ لذلك فحقيقة التوحيد مركوزة في الفطرة الإنسانية، يخرج بها كل مولود إلى الوجود، فلا يميل عنها إلا إن يفسد فطرته عامل خارجي عنها، عامل يستغل الاستعداد البشرى للهدى والضلال ويوضح هذا صراحة قول رسول الله ﷺ " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه، كما تولد بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء " (البخارى)

إن العبودية لله هي حقيقة الإيمان، وهي في الوقت ذاته أعلى مقام للإنسان يبلغ إليه بتكريم الله له، إن العبودية لله وحده هي العاصم من العبودية للهوى والعاصم من العبودية لهواه كما يعتصم بالله من العبودية لسواه.

إن الذين يستنكفون إن يكونوا عباد الله وحده، يقعون من فورهم ضحايا لأحط العبوديات الأخرى، يقعون من فورهم عبيدا لهواهم وشهواتهم ونزواتهم ودوافعهم، فيفقدون من فورهم إرادتهم الضابطة التي خص الله بها نوع الإنسان من بين سائر الأنواع، وينحدرون في سلم الدواب فإذا هم شر الدواب، وإذا هم كالأنعام بل هم أضل، وإذا هم أسفل سافلين بعد إن كانوا – كما خلقهم الله- في أحسن تقويم.

كذلك يقع الذين يستنكفون إن يكونوا عباد الله في سر العبوديات الأخرى وأحطها يقعون في عبودية العبيد من أمثالهم، يصرفون حياتهم وفق هواهم، ووفق ما يبدو لهم من نظريات واتجاهات قصيرة النظر مشوبة بحب الاستعلاء، كما هي مشوبة بالجهل والنقص والهوى.

ويقعون في عبودية " الحتميات" التي يقال لهم: أنه لا قبل لهم بها، وأنه لا بد من إن يخضعوا لها ولا يناقشونها " حتمية التاريخ" " حتمية

الاقتصاد"، حتمية التطور" وسائر الحتميات المادية التي تمرغ جبين الإنسان في الرغام وهو لا يملك إن يرفعه، ولا إن يناقش – في عبوديته البائسة الذليلة – هذه الحتميات الجبارة المذلة المخيفة.

وهذا الإنسان الذي أسجد الله له الملائكة – سجود تحية – لا يسجد إلا لله وفى ذلك غاية التكريم وكمال الحرية.

3 – الإنسان مخلوق من طين وروح:

والإنسان مكون من جسد وروح، فقد خلقه الله من طين ونفخ فيه من روحه ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[ص: 71-72]

فمن الطين تتكون كل عناصر الكائن البشرى، فيما عدا ذلك السر أو تلك النفخة العلوية التي جعلت منه إنسانا وميزته عن سائر المخلوقات في هذه الأرض، ميزته بخاصية القابلية للرقي العقلي والروحي، والتي جعلت عقله ينظر تجارب الماضي، ويصمم خطط المستقبل، وجعلت روحه تتجاوز المدرك بالحواس والمدرك بالعقل ليتصل بالمجهول للحواس والعقول.

4- خُلِقَ الإنسان فى أحسن صورة

الإنسان هو المخلوق الذي خلقه الله في أحسن صورة وأجمل هيئة تميزه عن باقي الدواب على الأرض ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 7-8]

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾. [التين: 4]

إلا إن الإنسان هو الذي يشوه هذه الصورة وهذا الجمال الرباني وهذا التقويم العظيم من الله بوسوسة الشياطين له من الجن والإنس لإفساد هذه الخلقة التي جعل الله عليها الإنسان، وذلك بتغيير صورة هذه الخلقة بالمساحيق والطلاءات التي ملأ بها اليهود أنحاء العالم حتى يردوا الإنسان إلى أسفل سافلين بخطة بروتوكلات صهيون اللعينة، فبذلك يهبط الإنسان بعد تكريم الله عزوجل له إلى الدرك الأسفل من البهيمية ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.[التين: 5-6]

إلا الذين حافظوا على طبيعتهم التي كرمهم الله بها واتبعوا هدى الله:

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30]

﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.﴾ [فاطر: 43]

ولقد حذر رسول الله ﷺ من الخروج على منهج الله في هذا المجال بقوله " لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله" (مسلم) وقوله أيضا " لعن الله الواصلة والمستوصلة " (البخارى) وقوله " لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال" (مسند أحمد).

5 – خلق الله كل البشر من نفس واحدة (وحدة الإنسانية)

لقد خلق الله كل البشر من نفس و احدة – آدم – ثم خلق منها زوجها – حواء) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إن اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) [النساء: 1]
ومن هنا ندرك إن هذه البشرية انبعثت من أصل واحد، وتنتسب إلى نسب واحد وتتصل برحم واحدة.

وهذه الحقيقة تجعل كل البشرية على قدم المساواة فى الإنسانية، فليس هناك تفضيل لإنسان على آخر ولا لأمة على أمة إلا بالتقوى) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إن اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: 13)]

فلو تذكر الناس هذه الحقيقة، لتضاءلت فى حسهم كل الفروق الطارئة التى نشأت فى حياتهم، ففرقت بين أبناء النفس الواحدة، ومزقت روابط الرحم الواحدة.

إن اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق واختلاف المواهب والاستعدادات، تنوع لا يقتضى النزاع والشقاق، بل يقتضى التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، وليس للون والجنس

واللغة والوطن حساب فى ميزان الله " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " هنا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات والحروب فى الأرض، فلا عصبية لجنس أو أرض، أو قبيلة، أو لون، ولذلك قال رسول الله ( ): " كلكم لآدم وآدم من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان " [مسند أبو بكر البزار من حديث حذيفة] وقال أيضا عن العصبية الجاهلية: " دعوها فإنها منتنة " [مسلم]

كل هذا كان كفيلا باستبعاد الصراع العنصرى، الذي يسود العالم والذي ذاقت منه البشرية، وما تزال تتجرع منه حتى اللحظة الحاضرة، هذه العنصرية التى تفرق بين الأبيض والأسود، كما هو الآن فى أمريكا وأوربا، وتفرق بين الأجناس كما فعلت ألمانيا وتفعل الصهيونية العالمية الآن فى فلسطين حيث لا حرمة للفلسطينى لأنه فى نظر اليهود من الأمميين، واليهود هم شعب الله المختار كما يزعمون، وما اكتوت به البشرية من نار الحروب إلا لاستعلاء بعض الشعوب على الأخرى، واستعمارها لها وقهر إرادتها، واحتقار شعوبها، وهذه هى النظرة التى تنظر بها دول أوربا وأمريكا لدول العالم الثالث، وما تطلقه على دول أفريقيا الآن بأنها القارة السوداء إلا دليل واضح على هذه النظرة العنصرية.

6- الإنسان مُسْتخلف فى الأرض:

يالها من عظمة، ويالها من كرامة ما بعدها كرامة إن خلق الله الإنسان لأمر عظيم، خلقه ليكون مستخلفا في الأرض مالكا لما فيها، فاعلا مؤثرا فيها ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. [البقرة: 30]

فعظمة الإنسان يستمدها من خالقه فهو الخليفة لله في الأرض، وأنه الكائن الأعلى في هذا الملك العريض، والسيد الأول في هذا الميراث الواسع. ودوره في الأرض إذن وفي أحداثها وتطوراتها هو الدور الأول، وأنه سيد الأرض إذن فمشيئة الله تريد إن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله – بإذن الله – في المهمة الضخمة التي وكلها الله له، إذن فهي منزلة عظيمة، أنزلها هذا الإنسان، في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة، وهو التكريم الذي شاءه له الخالق الكريم.

7- أعطى الله الإنسان حرية الاختيار والاعتقاد والتفكير:

ومع تساوى استعداد الإنسان لعمل الخير والشر على السواء في فطرته وتزويده بوسائل التمييز بينهما، ترك الله للإنسان حرية الاختيار بينهما على إن يتحمل تبعة ما يختار: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا. ﴾[الكهف: 29]

وهذه قمة الحرية ولكن مع تحمل مسئولية النتائج فقد بينت الآيات السابقة النتائج التي سيكون عليها الكافرون والظالمون، أما نتيجة المؤمنين فتبينها الآيات ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾. [الكهف: 31-32]

فالإنسـان يسـتطيع إن يعـرج إلى السـماوات العلي ويتجـاوز مـراتب الملائكة، حين يُخلص عبوديته لله، ويترقى فيها إلي منتهاها، كما أنه يهبط إلى ما دون مستوى البهيمة حين يتخذ إلهه هواه ويتخلى عن خصائص "إنسانيته" ويتمرغ في الوحل الحيواني، وبين هذين المجالين أبعاد أضخم مما بين السماوات والأرض في عالم الحس وأبعد مدى.

8- الإنسان مزود بكل الاستعدادات الفطرية التى تؤهله للاستخلاف فى الأرض:

لقد أودع الله الإنسان مجموعة من الاستعدادات الفطرية والتي تؤهله لخلافته في الأرض، يغير فيها ويبدل، وينتج فيها وينشئ، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة. وهي التى تسمح له بالتعرف على بعض نواميس الكون واستخدامها في حاجته، تلك الاستعدادات التي تتناسب مع طبيعة هذه المهمة العظيمة، فقد وهب الله الإنسان العقل وزوده بوسائل تساعده على الإدراك من سمع وبصر﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: 23]

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل: 78]

ولقد خص الله الإنسان بالعقل دون سائر الدواب على الأرض ليقوم بالعمليات العقلية المختلفة من التذكر والنظر والتدبر والتفكر والتفقه والتعقل ... الخ. وقد ورد ذكرها في كثير من الآيات القرآنية، وعند عدم استخدام الإنسان هذه الوسائل فيما خلقها الله له فإنه يضل ويكون مصيره إلي جهنم ويكون مثله كمثل الأنعام بل أضل﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: 179]

كما إن الله علم الإنسان الأسماء كلها، فعلمه اللغة التي يتفاهم بها ويتعامل بها مع غيره: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 31]

لقد أودع الله هذا الكائن البشرى السر الإلهي العظيم، وهو يسلمه مقاليد الخلافة، سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها رمزا لها، وهي قدرة ذات

قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض، وأن الحياة لم تكن لتمضى في طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، وهي ألفاظ منطوقة، ومن هنا نستدل أيضا إن آدم تعلم من ربه مفاهيم هذه الأسماء، فليس من المنطق إن يعلمه الله المسميات بدون فهم مدلولها.

كما كان من فضل الله على الإنسان إن دربه على كيفية مواجهة عدوه اللدود إبليس الذي رفض إن يسجد للإنسان تكبرا واستعلاء عليه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: 61]

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف: 12]

فقد وضع الله آدم في تجربة مباشرة مع إبليس قبل إن يهبط على الأرض ﴿ وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(35)فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [البقرة: 35-36]

وهذا إيذان بانطلاق المعركة في مجالها المقدر لها بين الشيطان والإنسان إلى آخر الزمان، وهنا تعلم آدم إن له عدوا(الشيطان) وكانت هذه تجربة لهذا الخليفة وإعدادا له، كانت إيقاظا للقوى المنظورة في كيانه كانت تدريبا له على تلقى الغواية، وتذوق العاقبة، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، ، والالتجاء بعد ذلك إلي الملاذ الأمين.

إن قصة الشجرة المحرمة، ووسوسة الشيطان باللذة، ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة بعد السكرة، والندم وطلب المغفرة ... إنها هي تجربة البشر المتجددة المكرورة ! لقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق إن يهبط إلى مقر خلافته مزودا بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلا، استعدادا للمعركة الدائمة بينه وبين الشياطين الذين يتربصون بالمؤمنين في كل وقت وحين وفي كل اتجاه. ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾. [الأعراف: 16-17]

لقد أذن الله لآدم وزوجته بالمتاع الحلال ووصاهما بالامتناع عن المحظور و لا بد من محظور يتعلم منه هذا الجنس إن يقف عند حد وأن يدرب المركوز في طبعه من الإرادة التي يضبط بها رغباته وشهواته ويستعلى بها على هذه الرغبات والشهوات فيظل حاكما لها لا محكوما كالحيوان، فهذه هى خصيصة الإنسان التي يفترق بها عن الحيوان ويتحقق بها فيه معنى الإنسان.

وهذه كلها مقومات لإرادته، حتى يستعلى على ضعفه وشهواته..وقد كان أول تدريب له في الجنة هو فرض " المحظور " عليه، لتقوية هذه الإرادة، وإبرازها في مواجهة الإغراء والضعف، وإذا كان قد فشل في التجربة الأولى، فقد كانت هذه التجربة رصيدا له فيما سيأتي.

9- استعدادات وقدرات الإنسان محدودة:

على الرغم من تزويد الله عز وجل للإنسان بالاستعدادات والقدرات والمواهب لتعمير الأرض إلا إن هذه القدرات والإمكانيات ليست مطلقة ولكنها محدودة بحدود وظيفة الإنسان وهي القيام بحق الخلافة في الأرض:

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: 255]

ولهذا فإن هناك أموراً لا يحتاج إليها في وظيفته، ومن ثم لم يوهب القدرة على إدراكها، أو إدراك ماهيتها.

10 – تتكون البشرية من جنسين (الذكر والأنثى)

على الرغم من إن الله قد خلق البشرية كلها من نفس واحدة، إلا أنه ميز بعد ذلك فى خلقه بين نوعين من البشر هما الذكر والأنثى) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إن اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ([النساء: 1]

كلا الجنسين – الذكر والأنثى – يشتركان فى كل الخصائص الإنسانية التى سبق ذكرها لأنهما خلقا من نفس واحدة، إلا إن لكل جنس منهما خصائصه التى تميزه عن الجنس الآخر، وهذا لا يخفى على أحد، وقد عبرت امرأة عمران عن ذلك أجمل تعبير، فيما يحكى عنه القرآن)فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (] آل عمران: 36] وما أصدقها من شهادة.

فهناك العديد من الفروق بين الجنسين فى النواحى الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والميول والاتجاهات التى أثبتتها البحوث العلمية، التى وافقت الفطرة التى فطرها الله لكل من الجنسين، وترتبت على هذه الفروق اختلافات فى أدوار كل من الجنسين فى الحياة، بما يوافق خصائص كل جنس، وهذا لا يلغى الأدوار الأخرى المشتركة بينهما التى تتوافق مع الخصائص المشتركة بينهما فى الإنسانية.

وهنا لابد إن ندرك إن هذه الفروق فى الخصائص بين الجنسين كـانت من رحمة الله بالإنسان فهى من أجل بقائه ومصلحته، وهي الرباط الذي يربط الجنسين بعضهما ببعض، ففى تفسير ابن كثير لقول الله تعالى " وخلق منها زوجها " قوله: " هى حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر – أى آدم عليه السلام – من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس لها وأنست إليه" وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة) وَمِنْ آيَاتِهِ إن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ([الروم: 21]

لقد فرقت فطرة الله بين الرجل والمرأة فى كثير من الخصائص، لحكمة بالغة، فلكل منهما رسالة فى الحياة تليق به وبطبيعته واستعداداته الفطرية، فاختلاف أدوار كل جنس، ما هى إلا اختصاصات موزعة توزيعا ربانيا عادلا، لا جور فيه ولا ظلم ولا منافسة، بل تكامل وتراحم، فالزوجة هى أصلا من النفس الأولى فطرة وطبعا، خلقها الله لتكون لها زوجا، ونفس خلقت لنفس، وشطر مكمل لشطر، وإنهما ليسا فردين متماثلين، وإنما هما زوجان متكاملان، والفارق بينهما فى الاستعداد والوظيفة.

إن المرأة فى نظر الإسلام ليست خصما للرجل، ولا منازعا له، بل هى مكمل له وهو مكمل لها، وهي جزء منه وهو جزء منها، وفى هذا يقول القرآن) بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ((آل عمران: 195) ويقول الرسول (ﷺ) " إن النساء شقائق الرجال " [الترمذى]

إن إدراك هذه الحقيقة كان كافيا لإنقاذ البشرية من تلك الأخطاء الأليمة، التى تردت فيها، وهي تتصور فى المرأة شتى التصورات السخيفة فتراها أصل الشر والبلاء، ومنبع الرجس والنجاسة، تلك التصورات فى الثقافات غير الإسلامية التى تخبطت فى هذا التيه طويلا، جردت المرأة من كل خصائص الإنسانية وحقوقها، فترة من الزمان، تحت تأثير هذه التصورات السخيفة التى لا أصل لها، ولما أرادت معالجة هذا الخطأ الشنيع اشتطت فى الاتجاه المعاكس، وأطلقت للمرأة العنان تحت مسمى تحرير المرأة، ومساواة المرأة بالرجل. إن أى إصلاح لحال المرأة يقوم على محو كل الفوارق بينها وبين الرجل مآله الفشل، وهو مكابرة للفطرة التى فطرها الله عليها، وإن اتباع هدى الله فى هذا الجانب فيه الخير كل الخير للبشرية، فالإسلام عندما يقدم الرجل، أو يقدم المرأة إنما يضع الإنسان فى موضعه الذي يناسب خلقه ، وما جبل عليه وذلك هو العدل المطلق

والرحمة المهداة، من أجل كل ذلك نجد الإسلام خفف عن المرأة بعض التكاليف، وقدم الرجل عليها فى بعض الأحوال، وقدمها على الرجل فى البعض الآخر، وجعلها على النصف فى أمور أخرى.

ومن هنا لا يمكن إن نتصور إن يكون فى الإسلام أى انتقاص لحق المرأة، أو حيف عليها لحساب الرجل، فإن الإسلام هو شريعة الله سبحانه وهو رب الرجل والمرأة على السواء.

إذا كان هذا تفريق الفطرة فلا ينبغى إن نهمله إذا خططنا لتعليم المرأة أو عملها، بل يجب إن نأخذه كأساس ينبنى عليه هذا التخطيط وهذا التعليم.

11- الناس مختلفون فى خصائصهم:

ومن طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها، الاختلاف في الاستعدادات والقدرات والمواهب وجعل هذا الاختلاف أصل من أصول خلقهم، وذلك لتحقيق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض، فهذه الخلافة تحتاج إلى وظائف متنوعة، واستعدادات شتى من ألوان متعددة كي تتكامل جميعها وتتناسق، وتؤدى دورها في الخلافة والعمارة، وفق التصميم الكلى المقدر في علم الله، فلا بد إذن من تنوع في المواهب يقابل تنوع تلك الوظائف، ولا بد من اختلاف في الاستعدادات يقابل ذلك اختلاف في الحاجات ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين ﴾.[هود: 118-119]

فهناك تنوع واسع فى المدى فى خصائص الأفراد واستعداداتهم، لا يتماثل فيه فردان قط تمام التماثل، على توالى العصور، وفيما لا يحصى عدده من الأفراد فى جميع الأجيال، فهناك تنوع فى الأشكال والسمات والملامح، وتنوع فى الطباع والأمزجة والأخلاق والمشاعر، وتنوع فى الاستعدادات والاهتمامات والوظائف.

ورغم هذه الاختلافات فإن ذلك يؤدي إلي تماسك وتعاون بني آدم بعضهم وبعض لحاجة كل واحد إلى الآخر ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ.﴾ [الزخرف: 32]

ولو كان جميع الناس نسخا مكررة ما أمكن إن تقوم الحياة في هذه الأرض بهذه الصورة ولبقيت أعمال كثيرة جدا لا تجد لها مقابلا من الكفايات، ولا نجد من يقوم بها ؛ لذلك كان هذا الاختلاف رحمة ببني آدم، لاستمرار الحياة ونموها. فكل البشر يُسخر بعضهم لبعض، وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات والتفاوت في الأعمال والأرزاق.

12 – للإنسان حاجات متعددة:

لقد شاءت إرادة الله إن يخلق الإنسان ويجعل له حاجات، يحتاج إليها لبقاء حياته، ولذلك فقد زينها له فى نفسه حتى يقبل عليها ويشبعها. وقد عبر عنها القرآن الكريم بأنها شهوة) زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ([آل عمران: 14]

فالحاجة شهوة تتولد داخل الإنسان تزول بمجرد إشباعها لذلك يعرفها علماء النفس بأنها حالة من النقص أو الاضطراب الجسمى والنفسى، إن لم تلق من الفرد إشباعا بدرجة معينة، فإنها تثير لديه نوعا من الألم أو التوتر أو اختلال التوازن سرعان ما يزول بمجرد إشباع الحاجة.

فالإنسان فى فطرته هذه الشهوات، وهي جزء من تكوينه الأصيل وهي ضرورية لحياته كى تنمو وتضطرد، فهى شهوات مستحبة مستلذة، ليست مستقذرة، ولا كريهة، والآية الكريمة السابقة تؤكد ذلك، وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية وقبولها بواقعها، لأن هذه الشهوات عبارة عن دوافع عميقة فى الفطرة لا تغلب، وهي ذات وظيفة أصيلة فى كيان الحياة البشرية، لا تتم إلا بها، ولم يخلقها الله فى الفطرة عبثا.

فعلى الإنسان إن يعرف إن لبدنه عليه حق، وعليه إن يمتع نفسه بطيبات الحياة، وألا يحرم ما أحله الله. وما أحله الله يشمل كل ما تتطلبه البنية الصحيحة السوية من لذة ومتاع ") يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ([الأعراف: 31-32]

تتنوع الحاجات وتتعدد لدى الإنسان، فمنها الحاجات الفسيولوجية كالحاجة إلى الطعام والشراب) إن لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى ([طه: 118-119)]

والحاجة إلى الأمن) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ((قريش: 3-4)
والحاجة إلى الانتماء إلى جماعة) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا... ([الحجرات: 13]

ولقد حاول علماء النفس التعرف على حاجة الإنسان وتصنيفها ومعرفة العلاقة بينها، وكان من أشهر ما تدفقت عقولهم به ما توصل إليه " ماسلو " حيث رتب الحاجات الإنسانية تصاعديا على أساس أنها تنمو تتابعيا كما يلى:

الحاجات الفسيولوجية – حاجات الأمن – الحاجة إلى الانتماء - الحاجة إلى تحقيق الذات.

ويرى ماسلو فى هذا الترتيب التصاعدى للحاجات إن المستويات المتتالية للحاجات تظهر تباعا وتحتل مكانها كلما تقدم الفرد فى النمو والنضج، فالمستوى الأول من الحاجات الفسيولوجية يظهر مع بداية الحياة ويحتل مكانة الصدارة فى الدافعية، ثم ما تلبث المستويات التالية من الحاجات فى الظهور على التوالى وتكتسب الصدارة واحدة بعد الأخرى حتى تصل إلى مستوى تحقيق الذات لدى الفرد الناضج متصدرا دوافعه بينما تكون المستويات السابقة على التوالى أقل تأثيرا فى دافعية الفرد.

إلا إن هذا ليس صحيحا، فكثيرً ما يحدث اختلال فى هذا التنظيم الهرمى للحاجات، فقد يحدث لدى بعض الأفراد إن تنتقل الدافعية فى نضجها لديهم من المستوى الأدنى إلى الأعلى دون المرور على المستوى الأوسط بينهما.

وهكذا ندرك إن هناك خللا فى هذا التصور للحاجات عند علماء النفس، ولو إن علماء المسلمين رجعوا إلى كتاب ربهم الذي فيه الهدى كل الهدى لوجدوا فيه ضالتهم، فهذا التصور الذي وضعه ماسلو قد اقتصر على الحاجات البهيمية فقط، ولم يتعداها إلى ما هو أسمى منها لدى الإنسان، فإذا كان ماسلو يتصور إن أعلى وأسمى الحاجات هى تحقيق الذات فإن (الثور) فى الغابة أيضا يحقق ذاته حيث يصارع باقى الثيران

حتى يحقق لنفسه الغلبة والفوز ويكون هو سيد القطيع ولا ينازعه فى ذلك باقى الثيران.

لقد كان تصور ماسلو نابعا من النظرة الداروينية للإنسان التى تعتبر الإنسان فى نشأته حيوان (قرد) ومن هنا جاءت تصورات ماسلو، كما جاءت تصورات فرويد التى فسرت كل سلوكيات الإنسان بأنه حيوان غارق فى اللذة الجنسية.

ولكن الإنسان له تكوين خاص متفرد، يزيد على مجرد التركيب العضوى الحيوى، الذي يشترك فيه مع بقية الأحياء بخاصية الروح الإلهى المودع فيه، وهي الخاصية التى تجعل من هذا الإنسان إنسانا، له حاجاته الأساسية التى تختلف وتزيد عن حاجات الحيوان الأساسية، لذلك فهناك حاجات أخرى للإنسان أسمى من الحاجات التى حددها ماسلو سابقا، حاجات تخص الإنسان وتميزه عن الحيوان وهذه الحاجات تتمثل فيما يلى:

أ - حاجة الإنسان إلى حرية التفكير والاعتقاد والاختيار والإرادة:

فالحرية هى صدى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وهي معنى الحياة، حيث يشب الإنسان من طفولته وهو يحس بأن كل ذرة من كيانه تنشدها وتهفو إليها فكما خلقت العين للبصر والأذن للسمع، وكما خلق لكل جارحة أو حاسة وظيفتها التى تعتبر امتدادا لوجودها واعترافا بعملها، كذلك خلق الله الإنسان ليعز لا ليذل، وليكرم لا ليهون، وليفكر بعقله، ويهوى بقلبه، ويسعى بقدمه ويكدح بيده، لا يشعر وهو يباشر ذلك كله بسلطان أعلى يتحكم فى حركاته وسكناته إلا الله عز وجل.

لقد وهب الله عز وجل الإنسان الحرية ولم يجبره على شئ، وترك حرية الاختيار حتى فى العقيدة، حيث قال فى كتابه الكريم ") لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ([البقرة: 256]،) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيكْفر ([الكهف: 29]

إن الحرية فى الإسلام حق فطرى للإنسان يتمتع به الفرد بحكم ولادته، وقد عبر عن ذلك عمر بن الخطاب بقوله لعمرو بن العاص معاتبا " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " وعلى النقيض من هذا نرى

الطواغيت ينتهكون هذه الحرية فها هو الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن يهدد كل البشرية ويقول " من ليس معنا فهو ضدنا " ويعلن الحرب على كل من ليس مع أمريكا.

ب – حاجة الإنسان إلى الشعور بالرضا:

فإلى جانب مستوى حرية الفكر والاعتقاد والاختيار والإرادة فهناك مستوى أعلى من الحاجات الإنسانية يتمثل فى مستوى الرضا والذي يشعر فيه الإنسان بحاجته إلى رضا ربه عليه وهي غاية ما بعدها غاية، هذا الرضا من الله هو أعلى وأندى من كل نعيم، وأكبر من كل متاع) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ([آل عمران: 15]،ـ) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ([التوبة: 72]

هذا الرضا هو الذي يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ([الفجر: 27،ـ 28] النفس المطمئنة إلى ربها، المطمئنة إلى طريقها، المطمئنة إلى قدر الله بها، المطمئنة فى السراء والضراء، وفى البسط والقبض، وفى المنع والعطاء، المطمئنة فلا تنحرف، والمطمئنة فلا تتلجلج فى الطريق، والمطمئنة فلا ترتاع يوم الهول الرعيب.

وهذا المستوى فيه من اللذة ما ليس فى سواه من المستويات السابقة ويتضح ذلك فى قول رسول الله (ﷺ): " ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا، وبالإسلام دينا، ومحمدا رسولا " [رواه مسلم]، وفى قوله: " ثلاثا من كن فيه وجد بهن حلاوة طعم الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره إن يرجع إلى الكفر بعد إن أنقذه الله منه كما يكره إن يلقى فى النار " [البخارى]

لذلك فإن هذا المستوى من الحاجات هو الذي يضبط باقى الحاجات فى المستويات الأقل، فيكون لدى الإنسان الاستعداد لضبط النفس ووقوفها عند الحد السليم من مزاولة هذه الحاجات، لأن هذا المستوى هو الذي يتعلق بروح الإنسان، التى جاءت من النفحة العلوية من الله فى خلق الإنسان، لذلك فهى التى تربط القلب البشرى بالملأ الأعلى والدار الآخرة

ورضوان الله، ومن ثم تعمل على تنقية الحاجات فى المستويات الأدنى من الشوائب، وتجعلها فى الحدود المأمونة التى لا يطغى فيها جانب اللذة الحسية ونزعتها القريبة، على الروح الإنسانية وأشواقها البعيدة والاتجاه إلى الله وتقواه.

وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية وقبولها بواقعها ومحاوله تهذيبها، لا كبتها وقمعها، لذلك فقد ضمن الإسلام سلامة الإنسان من الصراع بين شطرى النفس البشرية، بين نوازع الشهوة واللذة الحسية، وأشواق الارتفاع والتسامى، وحقق لهذه وتلك نشاطها المستمر فى حدود التوسط والاعتدال.

وبذلك لا يكون هناك خلل فى هذه المستويات، كما هو الحال فى تصورات علماء النفس عن الحاجات الإنسانية الذين استخدموا عقولهم فقط فى وضع تصوراتهم دون الرجوع إلى هدى الله الذي يهدينا إلى سواء السبيل، ولذلك ندعو الله عز وجل إن يهدى علماء المسلمين فى علم النفس والتربية إن يعملوا عقولهم فى ضوء هدى الله ليصلوا إلى الهدى.

13 – الإنسان لديه استعدادات متساوية للخير والشر:

إن الإنسان لديه استعدادات متساوية للخير والشر على السواء كما اقتضت مشيئة الله له، فقد خلقه الله مزودا بقدرات كافية فيه تجعله قادرا على القيام بعمل الخير وعمل الشر على السواء. ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ. ﴾ [البلد: 8-10]

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾. [الإنسان: 3]

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾.[الشمس: 7-10]

14 – الإنسان لديه القدرة على التمييز بين الخير والشر:

وفى نفس الوقت الذي زود فيه الله الإنسان بالاستعداد لعمل الخير وعمل الشر على السواء فقد أودع في نفسه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر والهدى والضلال، والحق والباطل. كما زوده بكل وسائل الإدراك والتمييز والتدبر، وأهمها السمع والبصر والفؤاد والمنطق ... وكل الوسائل التي تسهل له الاختيار وتيسر له وظيفته في الحياة، فعن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال " أتيت رسول الله فقال: جئت تسأل عن البر والإثم؟ قلت: نعم، قال: استفت قلبك: البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك" ففي هذا الحديث يتضح بجلاء إن الإنسان جبل بفطرته التي فطرها الله عليها على التمييز بين الخير والشر والحق والباطل.

15- الإنسان يمكن استهواؤه ووقوعه فى الخطأ:

ومن خصائص الإنسان إن فيه ضعف بشرى حتى أنه يمكن قيادته إلي الشر والارتكاس إلى الدرك الأسفل من حطام شهواته ... وفي أولها ضعفه تجاه حب البقاء، وضعفه تجاه حب الملك..ويكون في أشد حالات ضعفه وأدناها حين يبتعد عن هدى الله ويستسلم لهواه، أو يستسلم لعدوه العنيد الذي أخذ على عاتقه إغواءه، في جهد ناصب، لا يكل ولا يدع وسيلة من الوسائل، وهذا الضعف يمكن اتقاؤه بالإيمان والذكر حتى لا يكون للشيطان سلطان على المؤمن الذاكر ولا يكون لكيده الضعيف حينئذ من تأثير.

وقد اقتضت رحمة الله به –من ثم – ألا يتركه لفطرته وحدها ولا لعقله وحده فأرسل إليه الرسل وأنزل إليه الكتب السماوية للإنذار والتذكير والهداية وما أعدل الله ! فإذا كانت فطرة الإنسان قد تساوت فيها نزعة الخير والشر داخله، ولكن مع وجود الشيطان يؤسس له الشر من الخارج، فكانت رحمة الله له بإرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية له بهدايته حتى تتساوى لديه أيضا عوامل الشر والخير الخارجية وله إن يختار ويقرر بعد ذلك بإرادته مع تحمل النتائج.

16 – الإنسان ينسى ويتذكر:

ومن طبيعة الإنسان التى فطره الله عليها النسيان، وكان ذلك منذ النشأة الأولى للإنسان) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ([طه: 115]، ومما يزيد من عملية النسيان ضعف العزيمة كما يتضح ذلك من سياق الآية، ومن أشد عوامل النسيان انهماك الإنسان فى المعاصى واللهو واللعب، وانغماس الإنسان فى متاع الحياة الدنيا وزينتها) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُون ([الأعراف: 51]

وما كان جواب معلم الإمام الشافعى لشكواه من سوء الحفظ والنسيان السريع إلا دليلا واضحا على ذلك حيث قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى
فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور
ونور الله لا يهدى لعاصى

ولذلك يضع لنا رب العزة العلاج لهذه الظاهرة فى الإنسان بقوله:) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ([الذريات: 55]

17 – الإنسان لديه غل فى قلبه:

ومن نماذج الشر التى تكون لدى الإنسان خاصية الغل وهي من أكثر مصادر الشر لدى الإنسان، فقد كان الغل هو المحرك الأساسى لقتل ابن آدم لأخيه، لا لجرم ارتكبه – فما كان هناك مبرر ليحنق الأخ على أخيه، وليجيش خاطر القتل فى نفسه – اللهم إلا ذلك الشعور الخبيث المنكر، شعور الغل الأعمى، الذي لا يعمر نفسا طيبة) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ([المائدة: 30] وما كانت الحروب العديدة - فى الغالب - والتى حصدت أرواح الكثير من الأبرياء إلا نتيجة هذا الغل فى القلوب، وهذه الخاصية لا يمكن نزعها من جذورها من الإنسان فى الدنيا، إلا إن الله يمن على المؤمنين فى الآخرة بنزعها من قلوبهم حتى تصفى لنعيم الجنة) إن الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ *وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ([الحجر: 45-47]

فالبشر يثور بينهم فى الحياة الدنيا غيظ يكظمونه بإيمانهم، وغل يغالبونه ويغلبونه ولكن سيبقى فى القلب منه آثار، فالإيمان يعمل على تخفيف حدتها ويتسامى بها لتنصرف إلى جانب الحب فى الله والكره فى الله، لذلك قال رسول الله ( ): " لا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا " (البخارى)، وقال ( ): " ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم جماعة المسلمين. فإن دعوتهم تحيط من خلفهم " (ابن ماجة)

18- جُبل الإنسان على الحياء وستر عورته:

لقد جبل الإنسان على الحياء وستر عورته، فمن كرم الله على بنى آدم إن علمهم، ويسر لهم، وشرع لهم اللباس الذي يستر العورات المكشوفة، ثم يكون زينة وجمالا لهم، بدلا من قبح العرى وشناعته فقال تعالى يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ [الأعراف: 26]

فكلمة" أنزلنا" أي شرعنا لكم في التنزيل واللباس يطلق على ما يوارى السوأة، وهو اللباس الداخلي، أما الرياش فيطلق على ما يستر الجسم كله ويتجمل به، وهو ظاهر الثياب.

ولقد جعل الله ستر الجسد فطرة في بنى آدم، فالفطرة السليمة تنفر من كشف سوأتها الجسدية والنفسية، وتحرص على سترها ومواراتها. وقد ظهر هذا جليا عندما شعر آدم وحواء بعد الأكل من الشجرة إن لهما سوآت تكشفت لهما بعد إن كانت مواراة عنهما، فراحا يجمعان من ورق الجنة ويشبكانه بعضه في بعض، ويضعانه على سوأتهما، مما يوحي بأن الحياء من التعري وانكشاف السوأة فطرة مركوزة في طبع الإنسان، ولا يتعرى الإنسان وينكشف إلا إذا فسدت هذه الفطرة فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إن الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ. [الأعراف: 22]

ومن هنا يستطيع المسلم إن يربط بين الحملة الضخمة الموجهة إلي الناس وأخلاقهم، والدعوة السافرة إلي العرى الجسدي- باسم الزينة والحضارة والموضة وبين الخطة الصهيونية لتدمير إنسانيتهم والتعجيل بانحلالهم، ليسهل تعبيدهم لملك صهيون، وهذه الحملة الفاجرة الداعرة

إلي العرى النفسي والبدني الذي تدعو إليه أقلام وأجهزة تعمل لشياطين اليهود في كل مكان، والزينة " الإنسانية" هي زينة الستر، بينما الزينة الحيوانية هي زينة العري. ﴿ يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. [الأعراف: 27]

لقد كان النداء الأول تذكيراً لبني آدم بذلك المشهد الذي عاناه أبواهم، وبنعمة إنزال اللباس الذي يستر العورة والرياش الذي يتجمل به، أما هذا النداء الثاني فهو تحذير لبني آدم عامة ألا يستسلموا للشيطان، وفيما يتخذونه لأنفسهم من مناهج وشرائع وتقاليد.

إن ستر الجسد حياءً وليس مجرد اصطلاح وعرف بيئي – كما تزعم الأبواق المسلطة على حياء الناس وعفتهم لتدمير إنسانيتهم، وفق الخطة اليهودية البشعة التي تتضمنها مقررات حكماء صهيون إنما هي فطرة خلقها الله في الإنسان، ثم هي شريعة أنزلها الله للبشر، وأقدرهم على تنفيذها بما سخر لهم في الأرض من مقدرات وأرزاق.

والفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوأتها الجسدية والنفسية وتحرص على سترها ومواراتها، في حين إن العرى غريزة حيوانية لا يميل الإنسان إليها إلا إذا ارتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان، أما رؤية العرى جمالا فهو انتكاس في الذوق البشرى قطعا.

كما حرص الله على ستر الإنسان حتى في مماته حيث أمر بسرعة دفنه (قبره) ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ﴾ [عبس: 21]

وقد علم الإنسان كيف يوارى سوأة بني جنسه ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ إن أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: 31]

وقد رغب رسول الله ﷺ في ذلك وبين ثواب الاشتراك في تشييع الجنازة بقوله (من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا، وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل إن تدفق فإنه يرجع بقيراط) (البخارى).

19 – الإنسـان لديـه الاسـتعداد للاعـتراف بالخطـأ والنـدم عليـه وطلب المغفرة:

ومن خصائص هذا الكائن الكريم على الرغم من أنه ينسى ويخطئ وأن فيه ضعفا يدخل منه الشيطان، وأنه لا يستقيم دائما إلا أنه يـدرك خطـأه، ويعرف زلته، ويندم ويطلب العون من ربه والمغفرة ... إنه يثوب ويتـوب، ولا يلح كالشيطان في المعصية ولا يكـون طلبـه من ربـه هـو العـون على المعصية ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾.[الأعراف: 23]

إنها خصيصة الإنسان التي تصله بربه وتفتح له الأبـواب إليـه ... الاعـتراف والندم والاستغفار، والشـعور بالضـعف والاسـتعانة بـه وطلب رحمتـه مـع اليقين بأنه لا حول ولا قوة إلا بعون الله ورحمته وإلا كان من الخاسرين.

ومن رحمة اللـه بـه إن اللـه يقبـل توبتـه ويغفـر لـه خطيئتـه ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾. [آل عمران: 135-136]

كـذلك علمـه كيـف يتـوب ويعـود إلى كنـف اللـه، ويطلب العـون من ربـه والمغفرة ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: 37]

ومن رحمة الله به كذلك إن جعل باب التوبة مفتوحـا لـه في كـل لحظـة، فإذا نسى ثم تذكر، وإذا عـثر ثم نهض، وإذا غـوى ثم رشـد... وجـد البـاب مفتوحا له وقبل الله توبته، وأقال عثرته، فـإذا اسـتقام على طريقـه بـدل الله سيئاته حسنات، وضاعف له ما شاء، ولم يجعـل خطيئتـه الأولى لعنـة مكتوبة عليـه وعلى ذريتـه فليسـت هنالـك خطيئـة أبديـة، وليسـت هنالـك خطيئة موروثة – ولا تزر وازرة وزر أخرى.

دور المناهج فيما يختص بخصائص طبيعة الإنسان:

1- دراسة التلاميذ لأوجه تكريم الله للإنسان، وأنه سيد هذه الأرض وخليفة الله في الأرض، وبيان كيف إن الله سخر له هذا الكون من أجله من جماد وحيوان ونبات.

2- دراسة التلاميذ لآيات الله في الكون وفي أنفسهم، وتعويدهم على التفكير في هذه الآيات والتمعن فيها، وربطها بوحدانية الله، لتعزيز فطرة الإنسان الإيمانية.

3 – إن تعمل المناهج على تربية الجانبين الجسمى والروحى للتلميذ معا، مع الأخذ فى الاعتبار إن غذاء الروح تكون من نفس مصدرها وهو روح الله، لذلك فغذاؤها هو كلام الله وذكره ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]

ولذلك فإن ما يعانيه الشباب الآن من كثرة الأمراض النفسية ما هو إلا نتيجة عدم تغذية أرواحهم بغذائها المناسب.

4 – تربية التلاميذ على احترام حقوق الآخرين فى الإنسانية كما شرعها الله، والتعاون معهم على تحقيق سعادة البشرية وانتشار السلام والرخاء فى العالم ومساعدتهم للاهتداء بهدى الله.

5- إن تتضمن المناهج ما تعانيه البشرية من ظلم الطغاة وبعض الشعوب للشعوب الأخرى بحجة أفضليتها وتفوقها العقلى، وكيف عمل الإسلام والمسلمون على رفع الظلم والاستبداد الذي عانت منه البشرية قبل الإسلام على يد الفرس والرومان، ثم عاد هذا الظلم للبشرية بعد ضعف المسلمين على يد الدول الاستعمارية الغربية.

6- دراسة التلاميذ لكيفية تحقيق خلافة الإنسان لله في الأرض، ومهمته فيها.

7-العمل على تنمية وسائل البحث من المعرفة التي خلقها الله للتلميذ، بتدريب التلاميذ على أنماط التفكير المختلفة، وحل المشكلات، والقدرة على الملاحظة والتدبر، فيجب إن تشمل المناهج على كل ما يساعد على ذلك، سواء في محتوى المنهج أو طرق التدريس والأنشطة التعليمية المختلفة.

8 – تربية التلاميذ على الاستعانة بالله دائما فى كل الأعمال، وعدم الغرور بما وهبهم الله من قدرات، وأن الإنسان لا يستطيع إن يشرع لنفسه بخلاف ما شرع الله له، لأن قدرته محدودة.

9 - الاهتمام بتعليم الجنسين الخبرات الإنسانية المشتركة بينهما دون تمييز.

10 - إن تتضمن المناهج الخبرات التعليمية المفيدة لكل جنس حسب طبيعته المميزة له وتعمل على إعداده للدور الذي خلقه الله من أجله.

11- إن تعمل المناهج على تربية كل جنس (ذكر أو أنثى) على احترام خصائص الجنس الآخر.

12-مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ في دراستهم وذلك بتنويع الأنشطة وطرق التدريس والبرامج التعليمية بما يساير هذه الفروق، كل حسب قدراته واستعداداته وميوله، والعمل على اكتشاف هذه الفروق مبكرا وتوجيه التلاميذ كل حسب قدراته للوجهة التعليمية المناسبة له لأن في ذلك فائدة عظيمة للفرد وللمجتمع على السواء.

13 – إن تقوم أنشطة المنهج على إشباع حاجات التلاميذ حتى تتولد لديهم الدوافع للنشاط والاستمرار فيه، وتدريب التلاميذ على كيفية إشباع وتهذيب حاجاتهم – وليس كبتها – بالطرق المشروعة، وبيان حرية الطرق غير المشروعة ومحاربتها، والوصول بهم إلى مستوى الرضا بما شرعه الله.

14 – التدرج مع التلاميذ فى استخدام الحاجات كدوافع للتعلم للوصول بهم إلى مستوى الرضا بحيث تكون كل أعمالهم فى نهاية المطاف قائمة على تحقيق مستوى الرضا عند الإنسان.

15 – استغلال حاجات التلاميذ فى تكوين المهارات والعادات والاتجاهات المفيدة.

16-تنمية استعدادات التلاميذ لعمل الخير ومقاومة الشر بدراسة الجوانب الأخلاقية الحميدة وبيان أهميتها للإنسان، ودراسة السيرة الطيبة لمن تتصف أخلاقهم بخلق القرآن. والعمل على إن يزاول التلاميذ هذه الأخلاقيات في أنشطتهم المختلفة وتعاملهم مع الآخرين.

17-تعويد التلاميذ على الشجاعة بالاعتراف بالخطأ، وأن الاعتراف بالخطأ فضيلة والقوى هو الذي يعترف بخطئه، والمسارعة بالندم على ارتكاب الخطأ وطلب المغفرة من الله، وأن الله غفور رحيم، فنحن بشر نصيب ونخطئ وخير الخطائين التوابون، وتعويدهم العمل على تلافى هذا الخطأ وذلك بدراستهم لمثل هذه المواقف في سيرة الصالحين وتدريبهم على ذلك في أنشطتهم التعليمية.

18-تعليم التلاميذ إن الإنسان له عدو يتربص به في كل وقت وحين وهو الشيطان وذلك ببيان طبيعة هذا العدو ودوره في غواية الإنسان، وكيفية الحرص منه وتجنب وسوسته وذلك بدراسة ما يتعلق بذلك في القرآن والسنة والسيرة، وتدريب التلاميذ على كيفية التغلب على وسوسة الشيطان.

19-تنمية القيم الأخلاقية التي فطر الله التلميذ عليها، والحفاظ على الهيئة التي خلقه عليها لأنها هي أحسن صورة للإنسان كرمه الله بها، والحفاظ على هذه الكرامة، بستر عورته، وعدم إفساد هذه الفطرة بتعليم التلاميذ كيفية مواجهة وسائل الإعلام المغرضة التي تعمل على النيل من قيم وأخلاق هذه الأمة لتحطيمها.

20-الاهتمام في تربية التلميذ بكل جوانب حياته، جسمه، وعقله، ووجدانه، لتشتمل هذه التربية الجوانب: الإيمانية، والخلقية، والجسمية، والعقلية والنفسية، والجنسية، والاجتماعية. فقد رأينا في التحليل السابق كيف إن الله عز وجل قد أولى كل هذه الجوانب في تربيته لآدم.

وخلال الفصل التالى سنتناول إن شاء الله هذه الجوانب بالتفصيل لأهميتها فى إعداد المناهج.

الفصل الرابع

جوانب تربية الإنسان

الفصل الرابع

جوانب تربية الإنسان

إن مسئولية المربين تجاه من لهم في أعناقهم حق التعليم والتوجيه والتربية هي في الحقيقة مسئولية كبيرة وشاقة وهامة، وهذه المسئولية تشمل كل خصائص الفرد ومقوماته، وهذا ينعكس بدوره على تكوين الأسرة الصالحة بكل خصائصها ومقوماتها، ومن ثم يكون قد أسهم في بناء المجتمع المثالي الواقعي بكل خصائصه ومقوماته.

وتتضح لنا كمربين هذه المسئولية وسنحاسب عليها أمام الله عز وجل – من قول رسول الله " كلكم راعٍ وكلم مسئول عن رعيته ..." (مسلم) وقوله "علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم" (الطبراني) ومن قول الله عز وجل ﴿يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾. [النساء: 11]

وعلينا إن نعي إن من واجبنا كمربين إن تكون تربيتنا للفرد تربية متكاملة من جميع الجوانب ليكون إنسانا سويا يقوم بواجبه، ويؤدي رسالته، وينهض بمسئوليته.. فما أحسن الإيمان حين يؤاخي الفكر، وما أجمل الأخلاق حين تواكب الصحة !!. وما أعظم الإنسان حين ينطلق للحياة العملية وقد اعتنى به المربون من كل جانب، وأحاطوا بتوجيهه وتربيته وإعداده من كل ناحية!!

وإذا كنا - نحن المربين - مسئولين عن تربية الأولاد وعن تكوينهم وإعدادهم للحياة.. فعلينا إن نعلم حدود هذه المسئولية ومراحلها المتكاملة، وجوانبها المتعددة كي نستطيع إن ننهض بهذه المسئولية على أكمل وجه وأنبل معنى لذلك سنتناول فيما يلي توضيح جوانب التربية المختلفة وهي الجوانب: الإيمانية – والخلقية- والجسمية – والعقلية- والنفسية والاجتماعية – والجنسية.

أولا: التربية الإيمانية:

والتربية الإيمانية تُعني بتربية التلاميذ على الإيمان بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، والبعث والحساب، والجن ... وسائر الغيبيات التي أوردها الله في كتابه الكريم " القرآن الكريم" وتعويد

التلاميذ على العبادات: الصلاة، والصوم والزكاة، والحج من استطاع إليه سبيلا، وتعليمه تعاليم الإسلام من عقيدة، وعبادات، وأخلاق، وتشريع، وأحكام.

فيجب علينا إن نربي التلميذ منذ نشأته على هذه المفاهيم من التربية الإيمانية، وعلى هذه الأسس من التعاليم الإسلامية، حتى يرتبط بالإسلام عقيدة وعبادة ويتصل به منهاجا ونظاما، فلا يعتقد بعد هذا التوجيه والتربية سوى الإسلام دينا، وسوى القرآن هاديا، وسوى الرسول □ قائدا وقدوة.

إن الإيمان بالله هو أساس إصلاح الفرد، وملاك تربيته في جميع جوانب التربية الأخرى (الخلقية والنفسية والاجتماعية...) ولذلك فإن التربية الإيمانية هي منبع الفضائل، ومبعث الكمالات... بل هي الركيزة الأساسية لدخول الفرد في حظيرة الإيمان، وقنطرة الإسلام وبدون هذه التربية لا ينهض الفرد بمسئولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يعمل لمثل أعلى ولا هدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم ليس له هم سوى إن يسد جوعته ويشبع غريزته البهيمية وينطلق وراء الشهوات والملذات ، ويصاحب الأشقياء والمجرمين وعندئذ يكون من الزمرة الكافرة، والفئة الإباحية الضالة التي قال الله عنها في محكم كتابه □ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ□ [محمد: 12]

ولقد أعطانا رسول الله □ المثل والقدوة في التربية في هذا الجانب أثناء تنشئته للجيل المسلم واستغلاله كل فرصه لغرس الإيمان في قلوب النشء فيروي لنا ابن عباس رضي الله عنهما فيقول " كنت خلف النبي □ يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم إن الأمة لو اجتمعت على إن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على إن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (الترمزى)

لذلك يجب تلقين التلميذ منذ نشأته أصول الإيمان، وأركان الإسلام، وأحكام الشريعة وتأديبه على حب الرسول □ وحب آل بيته، وحب الأصحاب والقواد والفاتحين، وتلاوة القرآن الكريم.. حتى يتربى الولد على الإيمان الكامل والعقيدة الراسخة، وحب الرعيل الأول من الجدود

البواسل الأمجاد.هنا تصبح حياته كلها عبادة لله ﴿ قُلْ إن صَـلَاتِي وَنُسُـكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [الأنعام: 162]

وعلى هـذا فإنـه عنـدما ينهج المربـون في تربيـة الفـرد على هـذا النهج يستطيعون في فترة وجيزة من الزمن إن يكونوا جيلا مسلما مؤمنا بالله، معـتزاً بدينـه، مفتخـرا بتاريخـه وأمجـاده.. ويسـتطيعون كـذلك إن يكونـوا مجتمعا نظيفا من الإلحاد، نظيفـا من الميوعـة، نظيفـا من الحقـد، نظيفـا من الجريمة.

ثانيا: التربية الخلقية:

التربية الخلقية تعتني بإكساب الفرد وتعويده على الفضائل السلوكية والوجدانية حتى تصبح سمه من سماته الشخصية التي يتحلى بها الفرد.

وأفضل ما يتحلى به الفرد من خلق هو خلق القرآن الكريم والاقتداء بالرسول في أخلاقه، فقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه، فقالت: كان خلقه القرآن، ألا تقرأون: "

 قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [المؤمنون: 1 -11]

كما يتجلى الخلق الإسلامي العظيم في الفرد المسلم في وصف الله عز وجل عباده وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِن عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا [الفرقان 70-76]

كما يتضح لنا أهمية هذا الجانب في التربية من قول رسول الله " ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن" (الترمزي) وقال أيضا "

أكرمـوا أولادكم وأحسـنوا أدبهم " (بن ماجـة) وقـال " علمـوا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم" (رواه عبد الرازق وسعيد بن منصور).

ومما لاشك فيه، ولا جدال معه إن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمار الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة، فالطفل منذ نعومه أظافره حين ينشأ على الإيمان بالله، ويتربى على الخشية منه، والمراقبة له والاعتماد عليه، والاستعانة به، والتسليم لجنابه.. تصبح عنده الملكة الفطرية والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والاعتياد على كل خلق فاضل كريم.. لأن الوازع الديني تأصل في ضميره والمراقبة الإلهية التي ترسخت في أعماق وجدانه، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره واحساساته.. كل ذلك بات حائلا بين الطفل وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة، والتقاليد الجاهلية الفاسدة، بل إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته، وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقا أصيلا من أبرز أخلاقه وصفاته.

ثالثا: التربية الجسمية:

ويقصد بها تربية النشء على قوة الجسم وسلامة البدن ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط، والقدرة على العمل والسعي الدائب علي الكسب

وهذا يتطلب تربية الفرد على اتباع القواعد الصحيحة في المأكل والمشرب والوقاية من الأمراض والتداوى منها وتعويده على ممارسة الرياضة وفنون الحرب، والتقشف وعدم الإغراق في النعيم، والتعود على حياة الجد والرجولة والابتعاد عن التراخي والميوعة والانحلال، كما يتطلب هذا أيضا تربية الفرد المسلم الذي يبتعد عن العادات السيئة المضرة بالصحة من تدخين ومخدرات.

كما تهتم التربية الجسمية بإكساب النشء مهارات العمل المفيدة والمتطورة واستخدام أساليب العصر التكنولوجية في تطور العمل، وتعويدهم على العمل الجاد المتقن، وحب وتقدير العمل ومن يقومون به " ﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبه: 105]

والرسول ﷺ يقول(ماأكل أحد طعاما قط خير من إن يأكل من عمل يده) (البخارى) ويقول عمر رضى الله عنه (لا يقعد أحدكم عن طلب

الرزق وهو يقول: اللهم ارزقني، وقد علم إن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة).

وما أبلغ رسول الله حين يعبر عن كل هذا بقوله(المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شئ فلا تقل: لوأني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان) (مسلم).

ومن المعلوم إن الأمة إذا تمتع أفرادها بعقل سليم، وجسم قوي، وإرادة قوية وعزيمة جبارة، وشجاعة فائقة، ووعي كامل... فإنها ستكون المبرزة في الإنتاج، والسباقة إلى الحضارة، والآخذ بأسباب النصر والمجد، والعاملة على تحقيق العزة الخالدة للإسلام والمسلمين وللبشرية جمعاء، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ[الأنفال: 60]

رابعا: التربية العقلية:

تهتم التربية العقلية بتكوين الفرد علما وفكرا وثقافة وتزويده بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والعلمية والثقافية والتكنولوجية مع مواكبة العصر وتحقيق الريادة في هذا المجال.

والتربية العقلية لا تقل أهمية عن سابقتها من أنواع التربية الأخرى: الإيمانية، والخلقية والجسمية، فالتربية الإيمانية تأسيس، والتربية الخلقية تخليق وتعويد، التربية الجسمية إعداد وتكوين.. أما التربية العقلية فإنها تعليم وتثقيف وتوعية.

ولا شك إن هذه التربية بالغة الأهمية في نظر الإسلام، لأن الإسلام حمل المربين مسئولية كبرى في تعليم الأولاد، وتنشئتهم على الاغتراف من معين الثقافة والعلم، وتركيز أذهانهم على الفهم الواعي والمعرفة المجردة، والمحاكاة المتزنة، والإدراك الناضج الصحيح، ...

ومن المعلوم إن أول ما نـزل على قلب الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه هذه الآيات ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ*﴾ [العلق: 1-5].

وما ذاك إلا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم، وإيذان لرفع منار الفكر والعقل، وفتح لباب الحضارة على مصراعيه وهناك من الآيات الكثير التي تحض على العلم وترفع من شأن العلماء ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون. ﴾
[القلم: 1- ن] ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا. ﴾ [طه: 114]

﴿ يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِي ﴾
[المجادلة: 11]

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: 9]

كما إن هناك من الاحاديث النبوية الشريفة ما يؤيد ذلك إذ يقول رسول الله ﷺ: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلي الجنه) (مسلم) (فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير) (الترمزى).

خامسا: التربية النفسية:

تهتم التربية النفسية للفرد بتكوين شخصيته وتكاملها واتزانها بما يحقق له الصحة النفسية، وبذلك تكون لديه الجرأة والشجاعة، والصراحة، والشعور بالمسئولية، وحب الخير للآخرين، والانضباط عند الغضب والحلم والأناة، والإيثار والمحبة.

كما تعمل التربية النفسية على وقاية النشء من الأمراض النفسية وتحريرها من الخجل والخوف والشعور بالنقص والحسد.

وبهذه التربية يتكون لدينا شباب الغد ورجـال المسـتقبل الـذين يواجهـون الحياة بابتسامة متفائلة وعزيمة جبارة وأخلاق سمحة كريمـة.. ليـؤدوا مـا عليهم من واجب ومسؤوليات.

سادسا: التربية الجنسية

المقصود بالتربية الجنسية تعليم الولد تدريجيا الخصائص الفطرية الـتى تخص كل جنس من الجنسين فى مراحل النمو المختلفة، وكيفية التعامـل مع هذه الخصائص، والدور المنوط لكـل جنس فى الحيـاة بمـا وهبـه اللـه من خصائص فطرية، وآداب التعامـل بين الجنسـين .... وفـق هـدى اللـه. حتى إذا شب الولد، وترعرع عرف ما يحل أو ما يحـرم، وأصـبح السـلوك الإسلامى المتميز خلقا له وعادة، بلا كبت ولا انحلال.

إن التربيـة الجنسـية هى إحـدى جـوانب التربيـة فى الإسـلام منـذ مجئ الإسلام، وإن كان هذا الجانب فى التربية أصبح على عهد قريب من فروع التربية معترفا به فى كل بلاد العالم الآن، مع الفارق فى الهـدف منـه فى الإسلام وفى غيره من الدول الأخرى.

فلقد فرقت فطرة الله بين الرجل والمرأة فى كثير من الخصائص، لـذلك كانت هناك حاجة ماسـة لمعرفـة هـذه الخصـائص وكيفيـة التعامـل معهـا، وتتضح هذه الفروق والتعامل معها منذ اللحظة لأولى لقـدوم الطفـل إلى الحياة، وهذا يتضح من حديث رسول الله (ﷺ): " بـول الغلام ينضـح عليـه، وبول الجارية يغسل " (رواه أحمد).

وقد ندرك أهميـة التربيـة الجنسـية عنـدما نشـاهد المشـكلات الاجتماعيـة المصاحبة للـزواج والطلاق والانحرافـات الجنسـية، والأمـراض المصـاحبة لهـا، وخاصـة مـا ظهـر منهـا حـديثا " مـرض الإيـدز " ومـا أدراك مـا هـذا المرض.

وتزداد الحاجة الماسة إلى التربيـة الجنسـية فى هـذا الـوقت بالـذات لمـا نراه الآن فى وسائل الاتصال الحديثة ووسائل الإعلام التى تصـل إلى كـل بيت، وما فيها من إغـراءات جنسـية، ونشـر الفسـاد والفحشـاء الجنسـى دون رقيب من أحـد. ناهيـك عن دور النشـر الرخيصـة الـتى تقـذف إلى السـوق السـوداء بفيض من المطبوعـات المثـيرة والمنشـورات الخاطئـة والمعلومات المضللة، كما إن هناك سوق الإشاعات والأحـاديث الهامسـة والخرافات الشائعة والمبالغات الطائشة، فإنهـا تجـرى فى تيـارات خفيـة

خطيرة لا يعلم مدى خطورتها إلا الذي تتاح له الفرصة لسماع مشاكل الناس وهموم الشباب والاطلاع على أمراضهم وانحرافاتهم.

إن إحاطة الجنس بالكثير من التكتم والتزمت والقيود والخرافات والإشاعات، وجعل الحديث عنه أمرا (مستنكرا) أو (مشكلا) أعطى مثل هذه الوسائل المغرضة والإشاعات والأمراض الفرصة للانتشار. لذلك كانت التربية الجنسية حاجة ماسة وضرورة تعليمية.

لقد تناول القرآن الكريم والأحاديث الشريفة التربية الجنسية بأسلوب الوسطية، حيث تم تناولها بما يناسب حاجات الإنسان فيها ويضع لها ضوابطها، دون كبت أو استقذار لها، فهى حاجات أصيلة فى النفس الإنسانية، لها دورها فى الحياة، بل وتم الوصول بها إلى درجة التسامى لتكون عبادة، حيث قال رسول الله (ﷺ): " وفى بضع أحدكم صدقة " وقال " ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه " (رواه أحمد والطبرانى) وهذا يبين لنا واقعية الإسلام فى معالجة التربية الجنسية بأسلوب يناسب الفطرة، ولا يفسدها بالكبت أو الإثارة.

وعلى ذلك يجب إن تتناول التربية الجنسية فى المناهج ما يلى:

1- الخصائص الفطرية لكل جنس فى النواحى المختلفة: الفسيولوجية والنفسية والانفعالية والاجتماعية ... والأحكام الخاصة بها فى كل مرحلة عمرية، خاصة مرحلة المراهقة والبلوغ.
2- الأدوار الاجتماعية لكل جنس بما يتناسب مع فطرته التى فطره الله عليها دون مزايدة أو إجحاف لجنس على جنس.
3- آداب التعامل بين الجنسين، وتشمل آداب النظر وآداب الاستئذان وآداب الزواج والتفاعل الزوجى.
4- وسائل الإفساد وأثرها السئ على الجنسين وكيفية تجنبها: مثل السينما والمسرح ووسائل الاتصال المختلفة كالإنترنت والقنوات الفضائية والمجلات الماجنة وأزياء النساء الفاضحة والمظاهر الخليعة والصحبة السيئة واختلاط الجنسين.
5- الانحرافات الجنسية وعواقبها السيئة فى الدنيا والآخرة، والأمراض المصاحبة لها ومخاطرها مثل الإيدز والزهرى والسيلان.

على إن نراعى فى تقديم ذلك ما يناسب كل مرحلة عمرية وبالأسلوب الذي يناسب إدراك المتعلم فى هذه المرحلة، مع الأخذ بالقاعدة العامة القائلة بأن الوقاية خير من العلاج، فيجب إن يتم تعليم الحقائق والأحكام الشرعية المتعلقة بالنواحى الجنسية للمرحلة العمرية قبيل وصول المتعلم إليها.

كما يجب استخدام أسلوب المصارحة والوضوح فى تعليم قضايا الجنس مثل أحكام البلوغ وإرهاصات البلوغ حتى إذا ظهرت على المتعلم عرف ما وجب عليه فعله وما وجب عليه تركه، أى عرف الحلال والحرام فى ذلك، كما يتم تعليم القضايا المتعلقة بالزواج والعلاقات الزوجية قبل القدوم على الزواج.

سابعا: التربية الاجتماعية:

إن التربية الاجتماعية هي حصيلة كل أنواع التربية الأخرى سواء أكانت إيمانية أم خلقية أو نفسية أم عقلية.. لكونها الظاهرة السلوكية والوجدانية التي تربى الفرد على أداء الحقوق، والتزام الآداب، والرقابة الاجتماعية والاتزان العقلي، وحسن السياسة والتعامل مع الآخرين.

ومن المعروف إن سلامة المجتمع وقوة بنيانه وتماسكه مرتبطتان بسلامة أفراده وإعدادهم، ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية أفراد الأمة اجتماعيا وسلوكيا، حتى ينشأ المجتمع على التعاون المثمر، والترابط الوثيق، والأدب الرفيع والمحبة المتبادلة، والنقد الذاتي البناء.

إن الإسلام في تحقيقه للتربية الاجتماعية لدى الأفراد تبدأ من نقطة بناء الفرد بناء صحيحا، لذا وجب على المربين إن يرسخوا في نفوس أفراد الأمة منذ طفولتهم على عقيدة الإيمان والتقوى، وفضيلة الأخوة والمحبة ومعاني الرحمة والإيثار والحلم وخلق الإقدام والجرأة في الحق، حتى إذا بلغوا السن التي تؤهلهم إن يخوضوا معركة الحياة أدوا ما عليهم من واجبات ومسؤوليات دون تواكل أو تردد أو قنوط، وبالتالي قاموا بكل الالتزامات نحو الآخرين دون إهمال لحق أو تقصير في الواجب.

وأي نظام في التربية لا يقوم على تلك الأسس التربوية يكون كمن رأى شجرة بدأ يدب فيها الاصفرار والذبول فأخذ يعالجها من أوراقها، ولم يلتفت إلى إصلاح الجذور التي إذا صلحت صلحت الشجرة كلها – وبعبارة أخرى فإن الذي يقوم بمسئولية التربية الاجتماعية إذا لم يؤسس هذه

الأسس والأصول ويدعمها كان كمن يرقد على ماء وينفخ في رماد، ويصرخ في واد دون فائدة أو جدوى وهذا ما نشاهده الآن في مجتمعنا الحاضر نتيجة بعدنا عن تأصيل هذه الأسس وتربية أفراد الأمة عليها.

ولتحقيق هذه التربية الاجتماعية أسس عديدة يجب الأخذ بها في تربية أفراد الأمة منها:

1- الأخوة:

وهي تلك الرابطة التي تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام مع كل من تربطه وإياه من أواصر العقيدة الإسلامية وشائح الإيمان العميق والتقوى.. والذي يولد في نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون والايثار، والرحمة، والعفو عند المقدرة.. واتخاذ مواقف سلبية من الابتعاد عن كل ما يضر بالناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم والمساس بكرامتهم﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. ﴾ [الحجرات: 10]

2- الرحمة:

وهي رقة في القلب، وحساسية في الضمير وإرهاف في الشعور تستهدف الرأفة بالآخرين، والتألم لهم والعطف عليهم، وكفكفه دموع أحزانهم وآلامهم، وهي التي تهيب بالمؤمن إن ينفر من الإيذاء ويصبح مصدر خير وبر وسلام للناس أجمعين، بل تتجاوز الإنسان إلى الحيوان أيضا.

وهنا يدعونا رسول الله ﷺ لهذه الرحمة فيقول (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الآرض يرحمكم من في السماء) (الترمزى).

3- الايثار:

وهو شعور يترتب عليه تفضيل الإنسان غيره على نفسه في الخيرات والمصالح الشخصية النافعة، وهو دعامة من دائم التكافل الاجتماعى وتحقيق الخير لبني البشر.

ولنا في الأنصار قدوة حسنة في هذا الجانب حيث مدحهم الله عز وجل بقول ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. ﴾ [الحشر: 9]

4- العفو:

وهذا شعور نبيل يترتب عليه التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المعتدى ظالما وجائرا بشرط إن يكون المعتدى عليه قادرا على الانتقام، وألا يكون الاعتداء على كرامة الدين، ومقدسات الإسلام.. وإلا كان العفو ذلة ومهانة واستسلاما وخضوعا.وبهذا المعنى يكون العفو شيمة خلقية أصيلة تدل على إيمان راسخ وأدب إسلامي رفيع.

والقرآن الكريم يحثنا على ذلك ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إن اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. ﴾ [البقرة: 237]

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. ﴾[فصلت: 34]

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. ﴾[آل عمران: 134]

5- مراعاة حقوق الآخرين:

هناك العديد من الأسس التي يضعها الإسلام لمراعاة حقوق الآخرين، وعلى المربين إن ينشئوا أولادهم عليها، ويلقنوهم إياها، ويرشدوهم إليها، فما أحوجنا إلي مربين أكارم، ومعلمين أفاضل يفهمون حقيقة التربية في الإسلام ثم ينطلقون جادين عازمين إلى تعويد هذا الجيل تلك المكارم، وتخليقهم على هذه الفضائل، وتأديبهم على هذه الخصال.

فإن هم انطلقوا في هذا السبيل، وصمموا على تنفيذ هـذا المنهج وصـلت الأمة الإسلامية إلى الذروة في الخلق الاجتماعي النبيل، والأدب الإسلامي الرفيـع وعندئـذ يفـرح المؤمنـون بالجيـل الناشـئ، والمجتمـع الفاضـل والاستقرار المنشود.

ومن الحقوق التي يجب إن نربى أولادنا عليها:

حق الأبوين –حق الأرحام- حق الجار- حـق المعلم – حـق الصـديق – حـق الكبير – حق الصغير.

6- الجرأة في الحق:

وهي قوة يستمدها المؤمن من الإيمان بالله الواحد الأحد في قوله الحــق والدفاع عنها بكل السبل، ومن هنـا كـانت كلمـة الحـق من أعظم الجهـاد لقول رسول الله (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) (أبــو داود والترمزى).

7- الالتزام بالآداب الاجتماعية العامة:

وهـذه الآداب كثـيرة ومتعـددة لا يتسـع المقـام هنـا لسـردها رغم أهميتهـا واعتبار كل منها أساساً من أسس التربية ولكن يمكن تصنيفها إلي:

آداب الطعام والشراب _آداب السلام – آداب الاسـتئذان- آداب المجلس- آداب الحـديث- آداب المـزاح- آداب التهنئـة – آداب عيـادة المـريض-آداب التعزية – آداب العطاس والتثاؤب.

وقـد حـرص الإسـلام على وضـع المنـاهج التربويـة لتكـوين الفـرد خلقيـا وإعداده سلوكيا واجتماعيا.وكم يحظى المسـلم بـالاحترام، ويكـون عملـه محل تقدير وإجلال، حينما يطبق هذه الآداب عمليا، ويظهـر بهـا اجتماعيـا، ويحققها سلوكيا.

وهذه الآداب قـد أوجبهـا الإسـلام على الصـغير والكبـير والمـرأة والرجـل والحاكم والمحكوم، والعالم والعامي، لتظهر في الوجود الإنسـاني معـالم المجتمع الفاضل بتجسده في المسـلمين على اختلاف أجناسـهم ولغـاتهم وتباين ألوانهم وثقافاتهم.

8- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ما أحوجنا إلي تنشئة أبنائنا منذ الصغر على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو من قواعد الإسلام الأساسية في حراسة الرأى العام وفي محاربة الفساد والانحراف، وفي الحفاظ على قيم الأمة الإسلامية ومثلها وأخلاقها.

وعلى المربين إن يأخذوا بعين الاعتبار في تربيتهم لأفراد هذه الأمة غرس خلق الجُرأة والشجاعة في نفوسهم حتى إذا بلغ التلميذ السن التي تؤهله في إن ينقد، وأن ينصح، وأن يقول، قام بواجب النصح ومسئولية النقد خير قيام، بل انطلق في مضمار الدعوة إلى الله، وفي تبليغ رسالة الإسلام، وفي تقويم الاعوجاج والانحراف دون إن يأخذه في الله لومة لائم، ودون إن يصده عن إعلان كلمة الحق مستبد أو ظالم.

فقد قال الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ. ﴾ [آل عمران: 110]

وقال﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ. ﴾[آل عمران: 104]

كما يؤكد الحديث الشريف ذلك بقول رسول الله ﷺ (والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، أو ليو شكن الله إن يبعث عليكم عذابا منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم) وقوله (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) (مسلم).

الفصل الخامس

الأساس الرابع

طبيعة المجتمع

الفصل الخامس

الأساس الرابع: طبيعة المجتمع

إن غاية التربية هي إعداد الفرد الإعداد الشامل المتكامل الذي يكفل له التفاعل والتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه بما يحقق خلافة الإنسان لله في الأرض على مراد الله فيعمرها بما يحقق له السعادة في الدارين الدنيا والآخرة. وهذا لن يتأتى إلا إذا كان هناك تعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان الذي يؤمن بالله ويعمل لله، وهذا التعاون هو الذي يشكل في مجموعة نسيج الأمة. فالفرد هو جزء من نسيج الأمة وبقاؤه من بقائها، والتربية تعمل على تحقيق التوازن بين أهداف الفرد وأهداف الأمة من أجل تشكيل هذا النسيج وتقويته.﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾. [آل عمران: 103-105]

فلو تأملنا هذه الآيات الكريمة لوجدنا إن الله عز وجل يقول "أمة" بما يعنى الوحدة ثم يحذر من الفرقة والاختلاف، مما يؤكد ضرورة تشكيل الأمة وتكوينها وتقويتها وترابطها في نسيج واحد على إن يكون على منهج الله ومراده، فالاعتصام بحبل الله هو النجاة للجميع.

ولكي تتحقق للأمة تماسكها وترابطها ووحدتها وجب تحديد العلاقات بين عناصر الأمة على اختلاف أنواعها بحيث يقوم كل عنصر في الأمة بأداء ما عليه من واجبات نحو باقي عناصر الأمة كما يجب على باقي عناصر الأمة إعطاءه حقوقه، فلكل حقوقه وعليه واجباته، فالأمة نسيج اجتماعي موثق العري متشابك في علاقاته يؤثر كل فى الآخر، فهى منظومة من العناصر بينها هذا النسيج من العلاقات وكلما كان هذا النسيج قويا متينا كانت الأمة على نفس الدرجة من القوة والوحدة والمتانة، والشكل التالي يضع تصوراً لهذه المنظومة الاجتماعية.

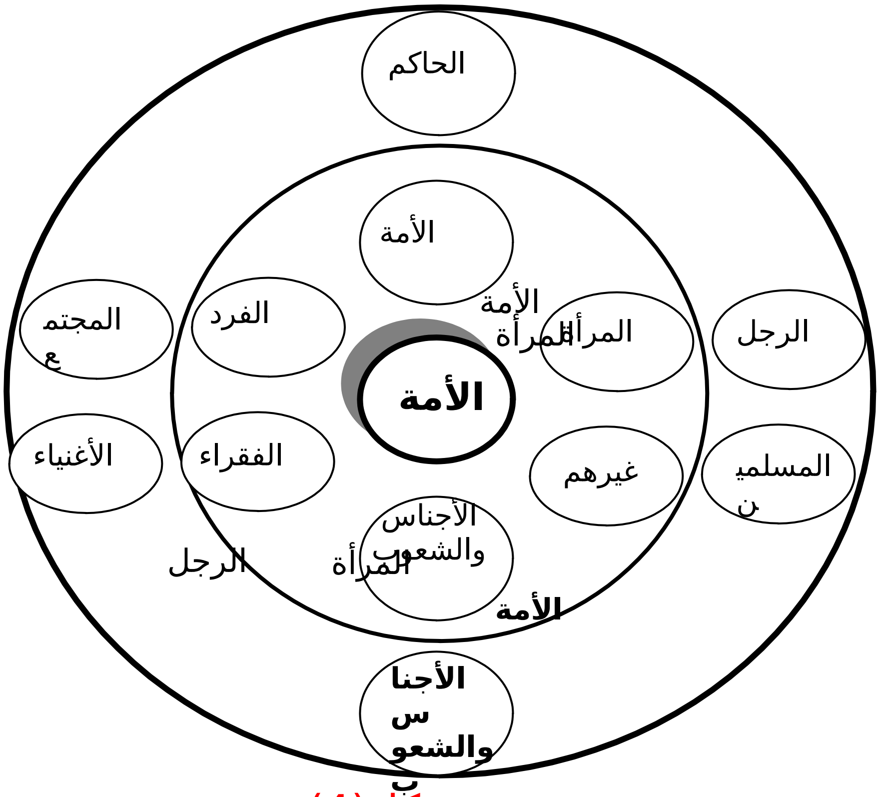

شكل(4)

يوضح منظومة نسيج الأمة في علاقاتها الاجتماعية

يتضح من هذا الشكل مدى التقابل بين العناصر المختلفة في العلاقات الاجتماعية، كما يوضح إن كل هذه العلاقات تشكل نسيج الأمة في وحدتها وترابطها فالكل يدور في مدار واحد في إطار هذه الأمة حيث تمتزج كل العناصر في دورانها عندما يقوم كل بواجبه ويأخذ حقوقه.

وسوف يتم توضيح نسيج العلاقات بين هذه العناصر خلال الصفحات التالية في هذا الفصل-إن شاء الله.

أولا: العلاقة بين الحاكم والأمة

1- مسئوليات الحاكم تجاه الأمة:

أ - الحكم بين الناس (بشرع الله)

لقد ورد الأمر بالعدل صريحا واضحا في القرآن الكريم فحثت عليه الآيات الكثيرة وجعله الله غاية الحكم إن اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ إن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ إن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إن اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إن اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا. [النساء: 58].

 فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إن الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ . [سورة ص: 26]

وهذا خطاب من الله عز وجل إلى ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا أمره: مغنمهم ومغرمهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية والقسم بينهم بالسوية. وأن يكون هذا بحكم الله وليس بالقوانين الوضعية التي تتبع الهوى البشرى، لأن اتباع هذه القوانين ضلال عن سبيل الله، أي عن شرائعه التي شرعها وأوحى بها.

وقد حثنا القرآن الكريم على العدل حتى مع الأعداء. وقد جاء النص على ذلك قاطعا في قوله تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إن اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . [المائدة: 8]

وهذا يدل على عظمة الإسلام. وقد توعد الله عز وجل الظالمين بأشد العقاب فيقول: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ [ابراهيم: 42]

 وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ. [القصص: 59]

وها نحن نسمع ونرى نهاية الظالمين أمثال فرعون وجنوده... ولم يقتصر العذاب فقط على فرعون بل شمل أيضا جنوده وأعوانه ونهى الإسلام عن مجرد الركون إلى الظالمين، فحُكِيَ إن أحد الخياطين سأل أحد العلماء فقال: أنا أخيط الثياب للظالمين أفأكون من الذين ركبوا إليهم؟ قال له: أنت منهم والذي ناولك الإبرة والخيط.

ومن الأحاديث الشريفة التي تدعو إلى العدل وتبين مصير الظلمة قول رسول الله ﷺ: (لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت، وإذا حكمت عدلت. وإذا استرحمت رحمت) (مجمع الزوائد) وقوله (إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر) (مسند أحمد).

ونخلص من هذا بأن العدل "بصفة عامة" هو تنفيذ حكم الله، أي إن يحكم الناس وفقا لما جاءت به الشرائع السماوية الحقة. كما أوصى بها الله إلى أنبيائه ورسله، وإذا كانت الشريعة الإسلامية جماع هذه الشرائع وتكملة لها فإن العمل بها هو- إذن- كما قال علماء الإسلام: تحقيق العدل الذي أمر الله به وقد قال عز وجل ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنـزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ * وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنـزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ * وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنـزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾. [المائدة 44-47]

إن العدل ميزان الله. الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق.

ب – إن يطبق القانون على الجميع:

من العدل الذي يحث عليه الإسلام المساواة أمام القانون ويتضح لنا ذلك جلياً في حديث رسول الله ﷺ بقوله: (إنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو إن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) [البخارى]. كما تبين لنا هذا في خطبة أمير المؤمنين أبي بكر- رضى الله عنه وأرضاه- والتي ألقاها عقب بيعته، فقال: (ألا وإن أضعفكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه، وأقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له) كما عبر عن ذلك أيضا الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وأرضاه في كتابه الذي بعث به إلى موسى الأشعرى حين ولاه القضاء، فقال له " آس بين الناس في وجهك وعدلك، ومجلسك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك). يا لهذا الدين الإسلامي من عظمة وإجلال حين يُطبق فى أرض الواقع كما طبقة هؤلاء العظام عبر تاريخ الأمة الإسلامية!

ح - احترام الملكية الخاصة للأفراد وحقوقهم المالية:

هـو عـدل الحـاكم أو ولى الأمـر فيمـا يتعلـق بمـا للنـاس من حقـوق في أموالهم، أو حقوق مترتبة على أعمالهم، وهـو الـذي يـؤدى إلى إن تشـعر الرعية بالاطمئنان. ويحفزهم على الإقبال على العمـل، والجـد فيـه، فينتج عن ذلك نماء العمران واتساعه زراعيا وصناعيا واجتماعيا.. وتكثر الأموال والخيرات، مما يؤدى إلى تقوية الدولة وبقاء الحكم واستمراره. وبالعكس تكون عواقب الاعتداء على أموال الناس وحقـوقهم، أو غمطهم إياهـا هـو إحجـام النـاس عن مزاولـة الأعمـال وركـود النشـاط، ويـؤدى إلى إغلاق المصانع وهجر الأرض الزراعية خوفا من نهب الأموال واغتصابها فيتسبب ذلك في الكساد الاقتصادي، فيتدهور العمران مما يؤدى إلى ضعف الدولة أو زوالها.

وممـا كتبـه ابن خلـدون في هـذا المضـمار تحت عنـوان " الظلم مـؤذن بخراب العمـران" كتب يقـول: (لا تحسـبن الظلم إنمـا هـو أخـذ المـال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب، كما هو المشهور، بـل الظلم أعم من ذلك، وكل من أخذ ملك أحد أو غصـبه في عملـه، أو طالبـه بغـير حق أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه، فجباة الأمـوال بغـير حقها ظلمة، والمنتهبون لها ظلمة والمانعون لحقوق الناس ظلمة. ووبـال ذلك كله عائد على الدولة بخـراب العمـران) ثم أردف قـائلا: (ومن أشـد الظلامات وأعظمها في إفساد العمران تكليـف الأعمـال وتسـخير الرعايـا بغير حق، وذلك إن الأعمـال من قبيـل المتحـولات) وقـال: (وأعظم من ذلـك في الظلم وإفسـاد العمـران والدولـة التسـلط على أمـوال النـاس بشـراء مـا بين أيـديهم بـأبخس الأثمـان، ثم فـرض البضـائع عليهم بـأرفع الأثمان على وجه الغصب والإكراه في البيع والشراء).

وكلنا يعرف المقولة التي قالها الهرمزان مبعوث ملك فـارس إلى عمـر - رضـى اللـه عنـه وأرضـاه - عنـدما وجـد عمـر نائمـا على الـتراب بـدون حرس(ملكي أو جمهوري) فقال: " عدلت فأمنت فنمت ياعمر" يالـه من أمن وأمـان للحـاكم وللمحكـومين في تطـبيق العـدل على واقـع الأرض بشرع الله".

د- تطبيق الشورى:

إن كيـان الجماعـة وحقوقهـا ومسـئوليتها مسـتمدة من تضـامن مجمـوع الأفراد الذين ينتمون إليها، وإن رأيها هو رأى مجموع أفرادها، وفكرها هـو فكرهم، وعقلها هو مجموع عقـولهم، وإرادتهـا الجماعيـة ليسـت إلا إرادة

مجمـوع أفرادهـا – أو المكلفين منهم – وهـذه الإرادة يعـبر عنهـا قـرار يتخذونه؛ بناء على تشاور وحوار يدور بينهم، ويتمتع فيـه كـل مكلـف منهم بحرية اختياره وحرية التعبير عن رأيـه ومناقشـة الآراء الأخـرى. إن مبـدأ الشـورى يعـنى إن كـل قـرار ينسـب للجماعة يجب إن يكـون تعبيرا عن إرادة جمهور الجماعة، أو مجموع أفرادها بشرط إن يتمتع الجميـع بحريـة كاملة في المعارضة والمناقشة.

إن الجماعة ليست كائنا منفصلا عن أفرادها، فكل فرد فيها هو جزء منهـا وانتمـاؤه لهـا يعطيـه حقـا فطريـا وشـرعيا في إن تعطى لـه الفرصـة للمشاركة بحرية كاملة في التشاور مع باقي أفراد الجماعة، وتقديم رأيـه ومناقشة آراء الآخرين ومعارضتها إذا رأى ذلك، على إن يلتزم في النهايـة بقرار الجماعة الذي يعبر عنه جمهورها (بالأغلبية).

هذا الالتزام يجعل الجماعـة هي مصـدر سـلطات الحكم، فهي الـتي تمنح الولايـات وتوزعهـا، وتضـع نظامهـا وتختـار من يتولـون السـلطة فيهـا وتحاسبهم، كما إن حريتها تعنى حرية أفرادها ؛ لذلك فإن القـرارات الـتي تصدر عنها يجب إن يشارك فيهـا الأفـراد المكلفـون على قـدم المسـاواة في التشاور الحر، فلا يعتبر القرار صادرا من الجماعة بصورة صـحيحة إذا حـرم أفرادهـا أو طائفـة من المكلفين الراشـدين منهم من الحـق في الشـورى، ومن بـاب أولى إذا حـرمت الأغلبيـة نفسـها أو الجمهـور أو الجماعة كلها من هذا الحق.

إن ممارسة الفرد لحقه في التشاور والشورى الحرة تعـنى اشـتراكه في القرارات المتعلقة بنظم الجماعة كلها، سواء أكانت نظما متعلقة بشئونها الاجتماعية أم السياسية التنظيمية أم المالية، ولذلك فـإن حـق الفـرد في المشورة والشـورى الحـرة يتسـع ليكـون شـاملا لجميـع شـئون الجماعـة ومؤسساتها ونظمها وأموالها، وليس خاصا بالشـئون السياسـية أو شـئون الحكم كما يظن بعضهم، إن حق الفرد في المشورة والشورى الحرة هـو حقـه في حريتـه وحقوقـه الإنسـانية الـتي يسـتمدها من فطرتـه الآدميـة وشريعة الله؛ لأنها شريعة الفطرة منـذ إن كـرم اللـه آدم وذريتـه بالعقـل وحرية الاختيار.

والشورى بـالمعنى العـام في شـريعتنا مبـدأ قـرآنى، وأصـل عـام شـامل لجميع شئون المجتمع، وتتفرع عنه قواعد وضوابط وأحكام متنوعـة، تقيم لنا نظما اجتماعية وسياسـية واقتصـادية متكاملـة ترسـم للمجتمـع منهـاج

التضامن والتكامل والمشاركة في الفكر والرأي والمال، إنها ليست مجرد مبدأ دستوري بل هي منهاج شامل وشريعة متكاملة. وسنرى في دراستنا للشورى إن شريعتنا يمكن إن تسمى شريعة الشورى بقدر ما تسمى شريعة الفطرة وشريعة السماء، إنها شريعة إلهية من حيث مصادرها السماوية ؛ كما أنها تعتمد على مصادر اجتهادية هي الإجماع والاجتهاد، وكلاهما يفتح الباب للعقل والفكر في استنباط أحكامها ويمهد للأحكام سبيل النمو والتنوع والتطور في نطاق الفقه والعلم اللذين يواجهان تغيرات ظروف الزمان والمكان، وهذان المصدران – الإجماع والاجتهاد – يتجددان من خلال قناة الشورى والتشاور العلمي والفكري.

إن وصف شريعتنا بأنها شريعة الفطرة يعنى أنها شريعة الشورى التي لا تقتصر على حق الفرد في المشاركة في القرار الملزم الصادر عن الجماعة، ولكن يوجد قبلها في الإسلام مبدأ المشورة الاختيارية بينهم أو التشاور واستشارة أهل الخبرة وتبادل المشورة والنصيحة والثقة ؛ لأن ديننا يندب الجميع إلى الاستشارة والتشاور والتناصح قبل إصدار أي قرار من الفرد أو الجماعة، كما يندب صاحب الرأي لتقديم المشورة أو النصيحة ولو لم تطلب منه ؛ قياما بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فالمشورة والاستشارة كلاهما حق للفرد وللجماعة أو ممثليها كذلك، بل هما واجب ديني مندوب له الجميع لتدريب الأفراد والجماعات على تبادل الرأي والاستماع إلى الآراء المختلفة ومناقشتها والاختيار بينها، بحرية كاملة واحترام متبادل هما أساس التضامن الإنسانى.

إن شريعتنا بتقريرها مبدأ الشورى إنما تخاطب الأمة والجماعة كما تخاطب الأفراد، وإذا كان تمتع الفرد بالعقل وحرية الاختيار هو أساس رشده، وأساس مخاطبته بأحكام الشريعة وتكليفه بالالتزام بها، فإن الجماعة تكون جديرة بهذا الرشد والتكليف لكونها " مجموعة أفراد عقلاء راشدين" يتمتعون بحرية الفكر والاختيار، ويكون حقها في حرية التصرف في شئونها نتيجة حتمية لما يتمتع به أفرادها من حق الاختيار وحرية التصرف في شئونهم.**إن** حق الجماعة في الاختيار وتحمل المسئولية عن قراراتها في شئونها العامة وحريتها في ذلك مرتبط بحق الفرد في حريته الذي هو أساس التضامن الاجتماعي، وينبع منه مبدأ الشورى الجماعية الملزمة ؛ كما أنه أساس تبادل المشورة والاستشارة الاختيارية والنصح فيما بينهم.

وقبل إن نخوض في مفهوم الشورى ووظيفتها في النظام الإسلامي، يجب إن نحدد بعض المصطلحات حتى يتضح لنا الأمر ولا نخلط بعض المفاهيم ببعضها.

الشورى: تقليب الآراء المختلفة واختبارها للتوصل إلى أفضلها والعمل به.

وهى شرعا: البحث عن الحق والصواب من خلال جهد بشرى ملتزم بمنهج الله يبتغي تحقيق التقوى بهذه الممارسة.

وعلى ذلك فالشورى**:** هي تداول وتقليب الآراء بين مجموعة معينة في موضوع معين للوصول إلى رأى يتم الاجتماع عليه أو يحوز الأغلبية ويصبح ملزما للجميع.

الاستشارة: تكون في أمور تخص الفرد أو أمر هو مسئول عن تنفيذه، ويطلبها صاحب الحاجة بأن يسأل الآخرين ممن يثق بهم في دينهم وعلمهم وتقواهم لله، وهي ليست ملزمة فلصاحب الحاجة إن يراجع وأن يوازن بين الآراء وأن يقرر.

المشورة: هي بمعنى النصيحة ويتطوع الفرد بها دون سؤال أو طلب، وقد تكون من الجندي للقائد مثل مشورة الحباب يوم بدر لرسول الله ، وقد تكون من فرد لآخر، وقد تكون من القائد للجندي عند تكليفه بأمر ما حيث يتابعه ويقدم له المشورة من واقع خبرته لتعينه على الأداء.

مشروعية الشورى:

إن فى قول الله تعالى: وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . [الشورى: 38] وتسمية السورة بسورة الشورى ما يؤكد على منزلة الشورى فى الإسلام، والتعبير القرآنى وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ يجعل أمر المسلمين كله شورى، ويصبغ حياتهم كلها بهذه الصبغة وهو نص مكي كان قبل قيام الدولة الإسلامية فهذا الطابع إذن أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين، إنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم فيها بعد.

والواقـع إن الدولـة في الإسـلام ليسـت سـوى إفـراز طـبيعي للجماعـة وخصائصها الذاتية والجماعة تتضمن الدولة وتنهض وإياهـا بتحقيـق المنهج الإسلامي وهيمنته على الحياة الفردية والجماعية.

ومن ثم كـان طـابع الشـورى في الجماعـة مبكـرا وكـان مدلولـه أوسـع وأعمـق من محيـط الدولـة وشـئون الحكم فيهـا، إنـه طـابع ذاتي للحيـاة الإسلامية وسمة مميزة للجماعة المختارة لإدارة البشرية.

وفي غزوة أحد يقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَـةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَـوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْـرِ فَـإِذَا عَـزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إن اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَـوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: 159]

فبهذا النص الجازم ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ يقرر الإسلام هـذا المبـدأ في نظام الحكم حتى ومحمد رسول الله ﷺ - هو الذي يتولاه وهو نص قاطع لا يدع للأمـة المسـلمة شـكا في إن الشـورى مبـدأ أساسـي لا يقـوم نظـام الإسلام على أساس سواه.

فقد جاء هذا النص عقب وقوع نتائج للشـورى تبـدو في ظاهرهـا خطـيرة مريرة، فقد كان من جرائها ظاهريا وقوع خلل في وحدة الصـف المسـلم اختلفت الآراء فرأت مجموعة إن يبقى المسـلمون في المدينـة مجتمعين بها حتى إذا هاجمهم العدو قاتلوه على أفواه الأزقة، وتحمسـت مجموعـة أخرى فرأت الخروج للقاء المشركين، وكان من جراء هـذا الاختلاف ذلـك الخلل في وحدة الصف إذ عـاد عبـد اللـه بن أبى بن سـلول بثلث الجيش والعدو قادم على الأبواب وهو حدث ضـخم وخلـل مخيـف، كـذلك بـدا إن الخطـة الـتي نفـذت لم تكن في ظاهرهـا أسـلم الخطـط من الناحيـة العسكرية إذ أنها كانت مخالفـة للسـوابق" في الـدفاع عن المدينـة -كمـا قال عبد اللـه بن أبى، وقـد اتبـع المسـلمون عكسـها في غـزوة الأحـزاب التالية فبقوا في المدينة وأقاموا الخندق ولم يخرجوا للقاء العـدو منتفعين بالـدرس الـذي تلقـوه في أحـد ولم يكن رسـول اللـه ﷺ يجهـل النتـائج الخطيرة التي تنتظر الصف المسلم من جراء الخروج.

فقد كان لديه الإرهاص من رؤياه الصادقة التي رآهـا والـتي يعـرف مـدى صدقها وقد تأولها قـتيلا من أهـل بيتـه وقتلى من صـحابته، تـأول المدينـة درعا حصينة.. وكان من حقـه إن يلغى مـا اسـتقر عليـه نتيجـة الشـورى..

ولكنه أمضاها وهو يدرك ما وراءها من آلام وخسائر وتضحيات لأن إقرار المبدأ وتعليم الجماعة وتربية الأمة أكبر من الخسائر الوقتية.

ولقد كان من حق الإدارة النبوية إن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة، أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف في أحرج الظروف وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة، لكن الإسلام كان ينشئ أمة ويربيها ويعدها لإدارة البشرية، وكان الله يعلم إن خير وسيلة لتربية الأمة وإعدادها للإدارة الرشيدة إن تربى بالشورى وأن تدرب على حمل التبعة وأن تخطئ مهما يكن الخطأ جسيما وذا نتائج مريرة – لتعرف كيف تصحح خطأها وكيف تتحمل تبعات رأيها وتصرفها فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ، والخسائر لا تهم إذا كانت الحصيلة هي إنشاء الأمة المدركة المقدرة للتبعة.

واختصار الأخطاء والقدرات والخسائر في حياة الأمة ليس فيه شئ من الكسب لها، إذا كانت نتيجته إن تظل هذه الأمة قاصرة كالطفل تحت الوصاية.

إنها في هذه الحالة تتقى خسائر مادية، وتحقق مكاسب مادية ولكنها تخسر نفسها وتخسر وجودها وتخسر تربيتها وتخسر تدريبها على الحياة الواقعية، كالطفل الذي يمنع مزاولة المشي- مثلا – لتوفير العثرات والخبطات أو توفير الحذاء.

كان الإسلام ينشئ أمة ويربيها ويعدها للإدارة الرشيدة فلم يكن بُدٌّ إن يحقق لهذه الأمة رشدها ويرفع الوصاية عنها في حركات حياتها العملية الواقعية كي تتدرب عليها في حياة الرسول وبإشرافه، ولو كان وجود القيادة الراشدة يمنع الشورى ويمنع تدريب الأمة عليها تدريبا عمليا واقعيا في أخطر الشئون كمعركة أحد التي قد تقرر مصير الأمة الإسلامية نهائيا وهي أمة ناشئة تحيط بها العداوات والأخطار من كل جانب ويحل للإدارة إن تستقل بالأمر وله كل هذه الخطورة، ولو كان وجود الإدارة الراشدة في الأمة يكفى ويسد مسد مزاولة الشورى في أخطر الشئون لكان وجود محمد ومعه الوحي من الله سبحانه وتعالى كافيا لحرمان الجماعة المسلمة يومها من حق الشورى وبخاصة على ضوء النتائج المريرة التي صاحبتها في ظل الملابسات الخطيرة لنشأة الأمة المسلمة، ولكن وجود محمد رسول الله ومعه الوحي الإلهي ووقوع تلك الأحداث ووجود تلك الملابسات لم يلغ هذا الحق لأنه سبحانه

وتعالى يعلم أنه لا بد من مزاولته في أخطر الشئون ومهما تكن النتائج، ومهما تكن الخسائر، ومهما يكن انقسام الصف، ومهما تكن التضحيات المريرة، ومهما تكن المخاطر المحيطة، لأن هذه كلها جزئيات لا تقوم أمام إنشاء الأمة الراشدة المدربة بالفعل على الحياة المدركة لتبعات الرأي والعمل، الواعية لنتائج الرأي والعمل، ومن هنا جاء هذا الأمر الإلهي في هذا الوقت بالذات، ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

وعدا ما جاء في الأمر بالشورى بعد كل ما حدث في غزوة أحد نجد كثيرا من المواقف التي استشار فيها رسول الله أصحابه - وهي أكثر من إن تحصى الآن - ونذكر منها على سبيل المثال:

أ - استشارة رسول الله ﷺ الصحابة في قبول فداء أسرى بدر.

ب- شاور رسول الله ﷺ السعدين في التصالح مع غطفان نظير جزء من ثمار المدينة في غزوة الخندق.

ج- شاور رسول الله ﷺ الجيش في توزيع غنائم هوازن بعد حنين، وقد جاء وفد هوازن يطلب المن منه فطرح الأمر للخيار على المقاتلين وبدأ بنفسه وكذلك اقتدى به المهاجرون، ثم الأنصار، ورفض الأقرع بن جابس من بنى تميم وكذلك العباد بن مرداس من بنى سليم فقال رسول الله ﷺ: إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه إن قد طيبوا وأذنوا.

د- شاور رسول الله ﷺ في تحديد كيفية الإعلان عن الصلاة.

وهو (ص) يكون بهذا قد شاور في أمور الحرب والاتفاقيات والغنائم والأمور الاجتماعية والسياسية"، وهذه هي الأمور الأساسية للدولة الإسلامية.

الشورى خطا أساسيا من أركان المجتمع المسلم في عهد الخلفاء الراشدين ومن نماذج ذلك:

أ - شاور أبو بكر الصديق في مسألة ميراث الجدة وعندما أعلن المغيرة بن شُعبة أنه سمع فيها حكما من رسول الله، وشهد معه آخر أخذ أبو بكر بالنص.

ب- عندما تم تحديد راتب لأبى بكر بناء على اقتراح بعض الصحابة، عرض الأمر على الصحابة وأهل المسجد فأقروه وأقروا المبلغ " ثلاثة دراهم في اليوم الواحد".

ج- عندما هَمَّ عمر بن الخطاب بقيادة جيش المسلمين إلى فارس وعرض الأمر للشورى اتجه الرأي الغالب إلى تولية سعد بن أبى وقاص.

د- في قضية تقسيم أرض السواد بالعراق أو حبسها على الخراج، وكان رأى غالب المهاجرين حبسها على الخراج، فلما استشار الأنصار كان رأى أكثرهم حبسها على الخراج، وقد نزل عمر على رأى الأغلبية وهو حبسها على الخراج.

ه- في موضوع المرأة الفارسية المحصنة التي زنت وكانت تتحدث عن هذا كأنه لا شئ حيث إنها لا تعلم إن لهذا عقوبة فعرض عمر رضى الله عنه الأمر للشورى، فرأي أغلب الصحابة إن عليها الرجم، أما سيدنا عثمان فأجاب بأنها لا تعلم التحريم ولا العقوبة فتعزر ولا ترجم وكان رأيه مستندا إلى حكم شرعي بأنه لا عقوبة على من جهل الحد، فكان الحكم الشرعي ضابطا للشورى التزاماً به.

و- روى إن عمر بن عبد العزيز كون مجلسا للشورى من77 رجلا من الفقهاء والعلماء والقضاء فلا يَبْرِمُ أمرا دون مشورتهم.

أهمية الشورى:

1- تحقيق صفة من صفات المؤمنين وأمرهم شورى بينهم .
2- الالتزام بواجب إسلامي فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فالعمل بالشورى عبادة لله ويكون عليها الثواب.
3- تحقيق المنهج الإسلامي وهيمنته على الحياة الفردية والجماعية.
4- تعليم الجماعة، وتربية الأمة، وإعدادها لإدارة البشرية إدارة راشدة وتحمل المسئولية.
5- تجنب التسلط والفردية في اتخاذ القرارات المهمة التي لها تأثيرها على المجتمع.

6- اطمئنان الجميع لسلامة طريقة اتخاذ القرار يقوى الثقة في الإدارة وينمى الولاء للجماعة.
7- تحقيق وحدة الأمة وتماسكها وترابطها لاشتراك الجميع فى اتخاذ القرارات وتنفيذها عن اقتناع وتحمل المسئولية عن نتائج ذلك.

كيفية إجراء الشورى:

اكتفت الشريعة بتقرير الشورى كمبدأ عام وتركت لأولياء الأمور في الجماعة إن يضعوا معظم القواعد اللازمة لتنفيذه، لأن هذه القواعد تختلف تبعا لاختلاف الأمكنة والجماعات والأوقات، فلأولياء الأمور مثلا إن يعرفوا رأى الشعب عن طريق رؤساء العشائر، أو عن طريق ممثلي الطوائف، أو يأخذوا رأى الأفراد الذين تتوافر فيهم صفات معينة إما بطريق التصويت المباشر وإما بطريق التصويت غير المباشر، ولأولياء الأمور إن يسلكوا أي سبيل آخر يرون أنه أفضل من غيره في تعرف رأى الجماعة بشرط إن لا يكون في ذلك كله ضرر ولا ضرار بصالح الأفراد أو الجماعة أو النظام العام.

أما القواعد الأساسية الخاصة بتطبيق مبدأ الشورى وتنفيذه - وهي قليلة- فقد بينت الشريعة أحكامها ولم تتركها لأولياء الأمور، وهذه حكمها حكم مبدأ الشورى لا تقبل التعديل ولا التبديل لأنها قواعد جاءت بها نصوص خاصة والقاعدة إن ما نُصَّ عليه لا يعدل ولا يبدل.

ومن هذه القواعد الأساسية التي توجب الشريعة اتباعها في تطبيق مبدأ الشورى وتنفيذه إن تكون الأقلية التي لم يؤخذ برأيها أول من يسارع إلى تنفيذ رأى الأغلبية، وأن تنفذه بإخلاص باعتباره الرأي الواجب الاتباع، وأن تدافع عنه كما تدافع عنه الأغلبية، وليس للأقلية إن تناقش رأيا اجتاز دور المناقشة، أو تشكك في رأى وضع موضع التنفيذ وتلك هي سنة الرسول التي سنها للناس والتي يجب على الناس اتباعها طبقا لقوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إن اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7]

ويستدل على ذلك بما حدث في غزوة أحد من شورى، وكان رأي الأغلبية الخروج للقاء العدو خارج المدينة، وألحوا في ذلك فكان رسول الله أول من وضع رأى الأكثرية موضع التنفيذ، إذ نهض من المجلس، فدخل بيته ولبس لامته، وخرج عليهم ليقود الأقلية والأكثرية إلى لقاء العدو خارج

المدينة، وقد سارع الرسول بتنفيذ رأى الأغلبية بالرغم من مخالفته لرأيه الخاص الذي أظهرت الحوادث فيما بعد أنه كان الرأي الأحق بالاتباع.

إن مهمة الشورى تقليب أوجه الرأي، واختيار اتجاه من الاتجاهات المعروضة، فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد، انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ ... التنفيذ في عزم وحسم، ثم التوكل على الله حتى يصل الأمر بقدر الله، ويدعه لمشيئته تصوغ العواقب كما تشاء.وكما ألقى النبي - درسه النبوي الرباني، وهو يعلم الأمة الشورى، ويعلمها إبداء الرأي، واحتمال تبعته بتنفيذه، في أخطر الشئون وأكبرها.. كذلك ألقى عليها درسه الثاني في المضى بعد الشورى، وفي التوكل على الله، وإسلام النفس لقدره – على علم بمجراه واتجاهه – فأمضى الأمر في الخروج.

شروط يجب توافرها فيمن يمارس الشورى:

1- إيمان صادق(الشورى ممارسة إيمانية جاءت مرتبطة بالصلاة والاستجابة لله).
2- علم منهج الله.
3- العلم المحيط بالموضوع الذي تدور حوله الممارسة.
4- وضوح الهدف من الشورى، إنه البحث عن الحق والصواب، من خلال جهد بشرى مؤمن ملتزم بمنهاج الله فهو تحرى الحق والصواب وليس بالضرورة الوصول إليه فالهدف ليس مجرد صواب القرار وإنما تحقيق البركة وأداء العبادة وأن يكون أقرب التقوى.
5- أن يفهم أنه يمكن إن يكون الأصوب الرأي الذي لم تره الأغلبية، فليس له ولا لغيره إن يعترض على النتيجة التي حدثت نتيجة الشورى، وأن يكونوا جميعا على استعداد لاتخاذ قرار آخر إذا ما تكرر الموقف، وأيضا بإعمال مبدأ الشورى.
6- أن يعلم إن مجال الشورى يمكن إن يضيق أو يتسع حسب الموضوعات المعروضة لأخذ الشورى عليها والظروف والبيئة المحيطة بالجماعة.

بعض الأمور المتعلقة بإجراء الشورى:

1- في أي شئ تجرى الشورى؟

تكـون الشـورى في أمـور الـدنيا والـدين الـتي لا وحي فيهـا وموضـوعها ونتيجتها دائما محكومة برد الأمر للـه وللرسـول أي بمنهج الإسـلام فليس هناك قرار يخالف منهج الله.

2- هل يعين أهل الشورى أم يختارون؟

كلا الأمـرين جـائز ومـتروك للمسـئول تحديـدهما وفقـا لمعرفتـه بالنـاس والظروف والمكان ... وإنما يشترط في كل الحالات إن يكونوا مستوفين للشروط السابق ذكرها فيمن يمارس الشورى.

3- هل يأتي المسئولون بالشورى أم بالتعيين؟

- المسئول العام"الإمام أو الخليفة" لا بد إن يُبَايَع ومعنى ذلك إن يكون بالاختيار.
- المسئولون الفرعيون يجوز فيهم الأمران، وفقا للظروف ومعرفة المسئول العام بالأفراد وبمدى صلاحيتهم للمهمة المرشحين لها.

2 - مسئوليات الأمة تجاه الحاكم:

أ- الطاعة:

إن الحاكم العادل الذي ينفذ أحكام الشريعة، ويلتزم بها في أعماله وتصرفاته، ويحافظ على أمانته وعهده مع الله ومع أمته والذي يلتزم بمسئولياته تجاه الأمة كما وضحنا من قبل، يكون قد أدى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم، ووجب له عليهم الطاعة ما لم يغير حاله. والخروج على مثل هذا الأمام يعتبر " بغيا" لأن الباغي يريد إن يفرق الجماعة ويشق عصا الوحدة، فهو خطر على المجتمع والدولة.

إذن فطاعة الإمام العادل الذي توافرت فيه الشروط السابقة واجبة. قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾. [النساء: 59]

والجمع في الآية بين الله والرسول وأولى الأمر معناه بيان طبيعة هذه الطاعة وحدودها، فالطاعة لولى الأمر مستمدة من طاعة الله ورسوله، لأن ولى الأمر في الإسلام لا يطاع لذاته، وإنما يطاع لإذعانه هو لسلطان الله واعترافه له بالحاكمية، ثم لقيامه على شريعة الله ورسوله.ومن اعترافه بحاكميه الله وحده، ثم تنفيذه لهذه الشريعة يستمد حق الطاعة، فإذا انحرف عن هذه أو تلك سقطت طاعته ولم يجب لأمره النفاذ.

كما يحثنا رسول الله ﷺ على طاعة أولى الأمر بقوله (اسمعوا وأطيعوا – وإن أُمِّرَ عليكم عبدُ حبشي - ما أقام فيكم كتاب الله) [مسند أحمد] فعلى المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا إن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة، فطاعة الحاكم مشروطة بالسير على المنهج وإقامة العدل.

ب- نصرة الحاكم:

نصرة الحاكم تكون بحب إجماع الأمة عليه، وكراهية افتراق الأمة عليه، والبغض لمن رأى الخروج عليه وحب إعزازه في طاعة الله عز وجل، ومعاونته على الحق ومجانبة الوثوب عليه، والدعاء له بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك.

ولا تتوقف نصره الحاكم على أعمال القلب بحبه وكره من يخرج عليه، بل تتعدى ذلك بأعمال اللسان بالدعاء له وشجب آراء المغرضين والخارجين عن طاعته، ثم تتعدى ذلك أيضا إلى استخدام القوة في وأد بغى البغاة ومحاربتهم بكل وسائل القتال المتاحة، لأن الباغي يريد إن يفرق شمل الجماعة ويشق عصى الوحدة، فهو خطر على المجتمع والدولة، ولذا تجب مقاومته إلى إن يزول خطره.وهذا هو الذي يعنيه الحديث الذي قال فيه رسول الله (من أتاكم وأمركم جميع يريد إن يفرق جماعتكم فاضربوه بالسيف أو فاقتلوه) [البخارى]. وهذا إذا أشهر السيف في وجه الجماعة، ولم يكن هناك سبيل لدفعه إلا بذلك.

ج- النصيحة للحاكم:

النصيحة كلمه يعبر بها في جملة إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النصح في اللغة الخلوص، يقال نصحت العسل إذا خلصته من الشمع.

والنصيحة للأئمة والولاة واجبة على المسلمين فقد أمرت بها الآيات والأحاديث، وهي داخلة في باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فمن الأحاديث قوله ( ) –وهو من جوامع الكلم: (الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) [مسلم]. وقوله أيضا ( ): (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين) [مجمع الزوائد]

يجب ألا يترك للحاكم الحبل على غاربه، ويُرضي بأعماله كيفما كانت، بل لا بد إن تظل الأمة مهيمنة عليه. ولا بد إن يدعى إلي الخير ويصد عن

الظلم، ويوعظ وينهي عن المنكر بكل الطرق الممكنة. وقد تواردت الأخبار والآثار، حاثة على وجوب تذكير الأئمة والولاة، وإرشادهم وتنبيههم إلى وجوب اتباع سبل الحق. ويجمع هذه المعاني قول رسول الله ﷺ: (أفضل الجهاد كلمه عدل عند إمام جائر) [مجمع الزوائد] وقال أيضا: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) [مجمع الزوائد]. وصحائف التاريخ الإسلامي مليئة بأخبار مواعظ الصالحين والعلماء للولاة والخلفاء، وإن عرضوا أنفسهم للخطر، وكان القتل يبدو كأنه ثمن ما يفوهون به من أقوال.

فما أورده الإمام الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين" روى إن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة. فلما دخلها قال: ائتوني برجل من الصحابة. فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا ! فقال: من التابعين، فأتى بطاووس اليماني. فلما دخل عليه خلع نعليه بماشية بساطه وقال: السلام عليك ياهشام: ولم يكنه، وجلس بإزائه.وقال: كيف أنت يا هشام؟: فغضب هشام غضبا شديدا، حتى هم بقتله، فقيل له أنت في حرم الله ورسوله ولا يمكن ذلك. فقال له يا طاووس. ما حملك على ما صنعت؟ فأجاب: وما الذي صنعت؟ فازداد هشام غضبا وغيظا. ثم دار بينهما حديث.فكان مما قاله له طاووس. ردا على اعتراضه على أنه لم يقل له يا أمير المؤمنين أثناء إلقاء السلام عليه فليس كل الناس راضين بامرتك. فكرهت إن أكذب.

د- محاسبة الحاكم:

فالحاكم مسئول أمام الأمة، لأنه تولى ولا يته منها بالعقد الذي عقدته له فهي التي منحته حق الحكم وأمدته بالسلطة، وما هو إلا وكيل عنها، فلها الحق إن تسأله عن عمله، فالجهة التي لها حق إنشاء العقد لها حق فسخه، إذا وجدت الأسباب لذلك. ثم إن الأمة رقيبة عليه باستمرار:

1- بما هي ملزمة به من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
2- وبما هو واجب لها من حق الشورى
3- وما هي مأمورة به من بذل النصح
4- فضلا عما لها من الحق بوصفها الطرف الأول في العقد. فإذا حاد عن الطريق السوي، ولم يرع الأمانة، وإذا جار وظلم، أو بدل السيرة، أو عطل الحدود، أو خالف الشرع، من أي وجه من الوجوه –

وكذلك إذا فقد شرطاً من الشروط التي لا بد إن تتوفر في ولايته – فإن الأمة قوامة عليه، ولها حق تقويمه، أو حق عزله".

وقد تمثلت العلاقة هذه في قول الأعرابي لعمر: "والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا" فرد عليه الفاروق بقوله: " الحمد لله الذي جعل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يقوم اعوجاج عمر بسيفه".

وهكذا نرى الكثير من مواقف صحابة رسول الله والكثير من أقوال كبار الأئمة المجتهدين في الإسلام، وكلها تثبت إثباتا جازما إن الإمام، الذي هو رأس الدولة مسؤول أمام الأمة، وأنه خاضع للقانون، كما تقرر بكل جلاء إن الأمة قوامة عليه، ولها حق تقويمه أو عزله حين توجد الأسباب لذلك. فالأمة لها السلطة العليا. وهي إذن صاحبة" السيادة " بالنسبة إليه وهذا ما تصبو إلى تحقيقه الآن بعض الدول المتقدمة بعدما جربت النظم الوضعية المختلفة !!.

دور المناهج فيما يتعلق بالعلاقة بين الحاكم والأمة:

1- تعريف التلاميذ بما يجب على الحاكم القيام به حتى يصبح حاكما عادلا، وواجباته نحو الأمة جميعا، وفى المقابل تعريفهم واجبات المحكومين تجاه الحاكم، وأثر ذلك على وحدة الأمة وتماسكها وتحقيقها للسيادة على باقي الأمم.
2- دراسة نماذج للحكم تحقق فيها عدل الحاكم، والتزام المحكومين بواجباتهم نحو الحاكم، وخير أمثلة لذلك تتجلى في رسول الله والخلفاء الراشدين من بعده.
3- تعريف التلاميذ بمفهوم الشورى، وكيفية تطبيقه، وأمثلة عليه عبر التاريخ، وبيان كيفية تحقيقه، وأهمية تطبيقه بالنسبة للأمة وللأفراد.
4- تدريب التلاميذ على ممارسة الشورى في حياتهم المدرسية عمليا خلال الأنشطة الطلابية المختلفة سواء داخل جماعات النشاط، أو أثناء القيام بالرحلات وإقامة المعسكرات والمخيمات، وحتى أيضا أثناء التدريس مثل التدريس التعاوني.
5- تعويد التلاميذ على حرية إبداء الرأي، والجرأة في الحق، مع الالتزام بآداب التعبير عن الرأي.

ثانيا: العلاقة بين الفرد والمجتمع:

لم تحقق النظم الوضعية التي شرعها الإنسان لنفسه لتنظيم عمل الجماعة داخل المجتمع التوازن بين حقوق الفرد ونظام الجماعة فنحن نرى على مر التاريخ كيف كان الفرد عرضة لانتهاك حقوقه وحريته باسم النظام الذي تفرضه الدولة أو الحكومة على أفرادها. فالنظام الشيوعي الذي ساد فترة من الزمن جعل الفرد كما يقال " ترسا في آلة" من أجل النظام واستتبابه، لقد سُخِّرَ الإنسان في هذا النظام الشيوعي وانتهكت أبسط حقوقه الإنسانية ، وعلى نفس المستوى حدث هذا في المجتمعات التي يسودها النظام الدكتاتوري حيث يستعبد الفرد من جانب الحاكم باسم النظام، وحتى في المجتمعات الغربية التي تدعى لنفسها الحرية لأفرادها، يتم سيطرة الحزب الحاكم على النظام وشيوع القوانين لمصلحته وتنتهك حريات باقي الأمة كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يعانى السكان السود أكبر معاناة من التفرقة العنصرية من جانب الحزب الحاكم.

ولا يختلف الحال كثيرا في أوربا حيث إن حكومة حزب الأغلبية تمارس نفس الشئ مع القوميات الأخرى أو الأقلية في المجتمع، وهو ما نشاهده الآن من اضطهاد للألبان المسلمين في أوربا وعمليات التطهير العرقي لهم (المذابح الجماعية لهم) باسم الديمقراطية على سبيل المثال.

إلا إن هذا لا يحدث في المجتمع الإسلامي، فالنظام الإسلامي يحافظ على حقوق الفرد وحريته، مع المحافظة على نظام المجتمع وتماسكه، فلا يجوز لأي حاكم أو سلطة حكومية إن تدعى لنفسها سلطة تتجاوز ما تقرره الشريعة الإسلامية التي تضمن للفرد والشعوب حقوقهم وحرياتهم.

وهنا لا بد من الإشارة إلى بعض النصوص الشرعية التي أعلنت حقوق الإنسان:

1- في مواضع كثيرة نص القرآن على إن الله سبحانه قد أعطى للفرد حريته في الاختيار، وتقرير مصيره حتى فيما يتعلق بالعقيدة الدينية، حيث يقول سبحانه ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: 3] ويقول مخاطبا الرسول الأعظم: ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 99] ويقول مخاطبا إياه﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29] وقوله سبحانه: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256].

وإذا كان القرآن قد قرر حرية اختيار الإنسان لعقيدته الدينية، فإنه من باب أولى يضمن له حرية الرأي والاعتقاد في جميع الشئون الفكرية والاجتماعية والسياسية.

2- كما إن القرآن قد وضع مبدأ إن التكليف الشخصي يكون في حدود طاقة الفرد وقدرته، حيث قال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: 286] وقوله ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7]

3- وقرر الله سبحانه مبدأ المسئولية الشخصية بقوله تعالى ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: 15] ، وفى نفس الآية الكريمة تقرر مبدأ إن المسئولية تكون بعد صدور التشريع، وهو ما يسمى الآن بمبدأ عدم رجعية القوانين حيث قال سبحانه: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾، وأكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً﴾ [القصص: 29] و قوله تعالى ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لأَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165].

ولقد أفاض فقهاؤنا في تأكيد حماية الشريعة لحقوق الفرد الأساسية التي يطلق عليها اسم الحرمات، لتحريم المساس بها أو الاعتداء عليها، وهي حرمة شخصه وعقله وعرضه وماله، وهذا التحريم أساس العقوبات المقررة للجرائم التي تهدد الفرد في نفسه وشخصه – بالقصاص، أو في عقله –بحد الخمر، أوفي عرضه – بحد الزنى والقذف أو في ماله –بحد السرقة والحرابة-، وقد اعتمد فقهاؤنا في تقرير هذه الحرمات على نصوص القرآن والسنة النبوية التي أشارت إلى هذه الحرمات، وفرضت عقوبة حدية أو قصاصية أو تعزيزه على انتهاكها.

إن الحرية في الإسلام حق فطرى للإنسان، يتمتع به الفرد بحكم ولادته، وقد عبر عن ذلك عمر بن الخطاب بقوله لعمرو بن العاص معاتبا: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟" والإسلام دين الفطرة، ومعنى ذلك أنه يحمى للإنسان حقوقه وحرياته الفطرية التي يستمدها من صفته الإنسانية، وتكريم الله له منذ إن جعل آدم وذرياته خلفاء له في الأرض، وأمر الملائكة إن يسجدوا له، ووهبهم العقل والفكر، وهما أساس المسئولية عن هذه الخلافة، التي يحاسبون عليها يوم القيامة مقابل تمتعهم بها.

وليست حرية الفرد في إن يعيش دون أمة أو جماعة متضامنة متكاملة، إنها حرية الغرائز المطلقة بلا شريعة تضبطها وتكبح جماحها، وليست حرية الأوابد في الغابة التي تعنى إن يفعل كل ما يقدر عليه، فتسمح للقوى إن يأكل الضعيف، ولكل مخلوق إن يتصرف حسب غرائزه وطبائعه وأهوائه، سواء أكان ضعيفا أم قويا، إنها ليست حرية الانعزال أو الشذوذ أو الخروج عن المجتمع وشريعته ونظمه، إنها ليست حرية الفوضى أو الفوضويين الذين يريدون مجتمعا بلا نظام أودين، ويرفعون شعارهم: " لا رئيس ولا إله".

ولتحقيق التوازن بين حرية الفرد والنظام في المجتمع الإسلامي شرعت الشورى، فالشورى حرية ولكنها حرية جماعية، ونظام والتزام وحدود وضوابط تفرضها شريعة خالدة ثابتة، وقرارات جماعية شورية ملزمة.

إنها حرية المجتمع في تقرير مصيره واختيار نظامه وحكامه أولا، وحرية الفرد في إن يشارك في كل ذلك برأيه مع الآخرين، ويسهم في قرارات المجتمع، متمتعا بحريته الفطرية في إبداء الرأي ومناقشة الآراء الأخرى في حوار حر –مرسل أو منظم – على إن يلتزم هو وغيره بما تصدره الشورى من قرارات تعبر عن رأى الجماعة سواء أحازت الإجماع أم الأغلبية.

إن الشورى توازن بين حرية الفرد ونظام الجماعة مع ارتباط تام بينهما، إنها ميزان التكامل والتكافل بين الفرد والأمة، إنها تضامن المجتمع والمساواة بين الناس في الحرية.

إن حرية الرأي في المجتمع تفسح المجال لتعدد الآراء، ومناقشتها بحرية مكفولة داخل الجماعة – سواء أوجدت لها حكومة أم لا - ولا قيمة للحوار أو المناقشة أو المشاورة أو الشورى إذا لم يكن للمشاركين فيها حرية كاملة.

إن معنى الشورى تضامن المجتمع على أساس حرية التشاور والحوار الحقيقي المستمد من المساواة في حق التفكير والدفاع عن الرأي – حتى قبل وجود الدولة والحكومة والسلطة -، وغاية التشاور هي تحقيق أكبر قدر من حرية التفكير على أساس العدل والتعاون والتكافل، فالعدل والحرية والتضامن في المجتمع تسبق وجود السلطة والدولة، لأنهما

أساس انتماء الفرد للجماعة ومشاركته في تسيير " أمورها" وهي الغاية من وجود الدولة.

صحيح إن من بين الأمور التي يجرى التشاور بشأنها في المجتمع هو تحديد من يتولى السلطة، وطريقة اختياره ومحاسبته، وفى هذا تتفق الشورى مع النظم النيابية العصرية، لأن القرار في هذا الأمر كغيره من القرارات يصدر بالأغلبية أو الإجماع، ولكن الشورى تمتاز بأنها تهتم أولا بما يسبق هذا القرار من بناء المجتمع التضامني على أساس حرية الأفراد والمساواة العادلة في التشاور بينهم، والحرية يجب إن تسبق الشورى؛ لأنها أساس وشرط وجودها.

دور المناهج فيما يختص بالعلاقة بين الفرد والمجتمع:

1- تعريف التلاميذ بحقوقهم التي يجب على المجتمع إن يحترمها، على إن يدرك التلاميذ إن هذه الحقوق يقابلها احترامٌ للمجتمع والعمل على المحافظة عليه فهو أسرتهم الكبيرة.
2- تعويد التلاميذ الجرأة في المطالبة بحقوقهم في أدب ونظام ويكون سلوك المعلم في الفصل مع تلاميذه مثال عملي لذلك.كما يمكن تعويدهم ذلك من خلال جمعيات النشاط وأثناء تفاعل الطلاب مع إدارة المدرسة.
3- تعويد التلاميذ ألا تطغى حرياتهم على حرية الآخرين أو تسبب ضررا للمجتمع أو تؤذى الآخرين فليست الحرية مطلقة بل هي منظمة

في ضوء شرع الله. ويمكن تحقيق ذلك من خلال الأنشطة التي يقوم بها التلاميذ سواء في الرحلات والمخيمات، وأثناء التدريس أيضا باستخدام التدريس التعاوني مع إعطاء حوافز للتلاميذ الذين يحققون ذلك.

4- إن تشمل موضوعات القراءة والنصوص والدراسات الاجتماعية والدينية موضوعات تتناول هذه السلوكيات بالشرح والتوضيح وإعطاء أمثلة عملية من حياة بعض الصالحين والقدوة في ذلك.

ثالثا: العلاقة بين الأغنياء والفقراء:

لقد أوجب الشرع على الدولة تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة حتى لا يمشى أحد بينهم ذا حاجة، ويجد كل فرد -مسلما كان أو غير

مسلم – قدر كفايته، وهذا مبدأ عظيم سبق الإسلام فى تقريره كل النظم والشرائع التي يلهج الناس بالثناء عليها في العصر الحديث.

فواجب على الدولة في الإسلام إن توفر للمواطنين – مسلمين وذميين – ما هم في حاجة إليه من الغذاء والكساء والمسكن والعلاج وما في حكم ذلك، حتى الخدمة لمن يحتاجها كالعاجز والمقعد ولا يكون ذلك لمجرد إبقاء الحياة، بل يجب إن يبلغ قدر الكفاية، وقدر الكفاية هو ما يحقق مستوى كريما من المعيشة.

ويجب ملاحظة إن هذا الواجب على الدولة مختلف عن الزكاة التي هي فرض عين على الأفراد، أما التكافل الاجتماعي فهو فرض على الدولة القيام به، وهو ينفق على كل المسلمين والذميين لتوفير مستوى معيشة لائق بهم، ويدفع عنهم الضرر، فهو شئ فوق الزكاة، وأعم منها في جهة صرفه، ويؤخذ من بيت المال، فإن لم يوجد فرض على القادرين وهذا لم تصل إليه الدولة الحديثة في العصر الحديث فى أوربا وغيرها.

والإسلام نظام يقوم على العدالة، لكن الإسلام لا يقصد بالعدالة في المال فقط، وإنما العدالة في كل مناحي الحياة وأشكال السلوك والفكر، ففي ملكية المال يؤكد الإسلام كراهيته لأن يحبس المال في أيدي فئة خاصة من الناس يتداول بينهم، بينما يمنع عن الآخرين ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ ومعنى هذا إن الإسلام أجاز للحاكم إن يأخذ بعض المال من الأغنياء، ويملكه بالفعل للفقراء ؛ وذلك عندما يرى إن المجتمع قد اختل توازنه بظهور آفة الترف الشديد في جانب، والفقر المدقع في جانب آخر.

وهذا ما فعله الأنصار مع المهاجرين بعد الهجرة. لقد ساد بين المهاجرين والأنصار لون من ألوان الحب الرفيع الذي يميزه العطاء حتى ليصل فيه الكرم إلى الحد الذي يعطي الإنسان وهو يتصور أنه يأخذ ولقد أدرك الرسول أهمية هذا الحب في بناء المجتمعات فآخى بين المهاجرين والأنصار.وكان المهاجرون الذين تركوا أموالهم وديارهم فرارا بدينهم لا يطمعون فيما هو أكثر من الإيواء العاجل وخبز الكفاف، لكن الأنصار تصرفوا بنبل لا نظن إن التاريخ الإنساني يعرف له نظيراً. فقد جاءوا إلى الرسول. قالوا يا رسول الله اقسم النخيل بيننا وبين إخواننا المهاجرين، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لا ..... بل ويشاركونكم في التمرة.

كان هذا على المستوى العام، أما على المستوى الخاص، فقد كان تصرف الأنصار مثلا رائعا في الحب والإيثار، وكان تصرف المهاجرين مثلا في الترفع والعزة. فقد آخى رسول الله - ﷺ- بين عبد الرحمن بن عوف (المهاجر) وسعد بن الربيع (الأنصاري) فقال سعد لعبد الرحمن بن عوف: أنت أخي، وأنا أكثر أهل المدينة مالا، فانظر نصف مالي فخذه... ولى زوجتان، انظر أيهما أعجب لك حتى أطلقها. فرفض عبد الرحمن بن عوف، وقال لأخيه سعد بن الربيع: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق.. ونزل إلى السوق للعمل من أجل كسب عيشه.

وبالرغم من هذا الإيثار وهذا الحب الذي صنعته العقيدة بنفوس الأنصار والذي أثنى الله عليه في قوله: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9]

وبالرغم من السماحة والإيثار والسخاء في العطاء من الأنصار للمهاجرين إلا إن الفجوة ظلت واسعة بين أثرياء المدينة وبين المهاجرين من المسلمين، وكان لا بد إن يفعل الرسول شيئا، إلى إن وقعت موقعة " بنى النضير" وسلمت للنبي صلحا بدون حرب، فكانت فيئا كلها لله وللرسول. بخلاف غنائم الحرب التي تكون أربعة أخماسها للمقاتلين، والخمس الباقي لله وللرسول عندئذ أراد الرسول إن يعيد لجماعة المسلمين شيئا من التوازن في ملكية المال، فمنح فيء بنى النضير كله للمهاجرين ورجلين فقيرين من الأنصار.

وفى هذه الواقعة يقول القرآن الكريم: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: 7-8]

ودلالة هذا التصرف من الرسول ﷺ وهذا التعليل لذلك التصرف في القرآن، غير خافية ولا في حاجة إلي بيان ؛ فهي تقرر مبدأ إسلاميا صريحا، وهو كراهة إنحباس المال في أيد قليلة من الجماعة ؛ وضرورة تعديل الأوضاع التي تقع فيها هذه الظاهرة بتمليك الفقراء قسطا من المال ليكون هناك نوع من التوازن، و" كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم ". ذلك إن تضخم المال في جانب وانحساره في الجانب الآخر، مثار مفسدة عظيمة، فوق ما يثيره من أحقاد وضغائن .... فحيثما وجدت ثروة فائضة، كانت كالطاقة الحيوية الفائضة في الجسد، ولا بد لها من تصريف، وليس من المضمون دائما إن يكون هذا التصريف نظيفا ومأمونا، فلا بد إن تأخذ طريقها أحيانا في صورة ترف مفسد للنفس مهلك للجسد، وفى صورة شهوات تقضي، تجد متنفسها في الجانب الآخر المحتاج إلى المال، يصل إليه عن طريق بيع العرض والإتجار فيه، وعن طريق التملق والكذب وفناء الشخصية لإرضاء شهوات الذين يملكون المال، وتمليق غرورهم وخيلائهم، والمضطر يركب الصعب، وصاحب المال المتضخم لا يعنيه إلا إن يجد متصرفا للفائض من حيويته، والفائض من ثروته، وليست الدعارة وسائر ما يتصل بها من خمر وميسر وتجارة رقيق، وسقوط مروءة، وضياع شرف ... سوى أعراض لتضخم الثروة في جانب وانحسارها عن الجانب الآخر، وعدم التوازن في المجتمع نتيجة هذا التفاوت.

ذلك عدا أحقاد النفوس، وتغير القلوب على ذوي الثراء الفاحش من المحرومين الذين لا يجدون ما ينفقون ؛ فهم إما إن يحقدوا، وإما إن تتهاوى نفوسهم وتتهافت، وتتضاءل قيمهم في نظر أنفسهم ؛ فتهون عليهم كرامتهم أمام سطوة المال، ومظاهر الثراء، ويصبحوا قطعا آدمية حقيرة صغيرة، لا هم لها إلا إرضاء أصحاب الثراء والجاه ... وهذا ما وقع في النظام الرأسمالي ".

إن العدالة الاجتماعية في المال- وفقا لمفهوم الإسلام – لا تقوم على أساس إن الذي يملك موارد الرزق تذل له رقاب العباد. ولهذا كره الإسلام إن يكون المال دولة بين الأغنياء فأوجب على الحاكم رد بعض هذا المال للفقراء حتى يكون لهم مورد رزق مملوك لهم، يضمن لهم الكرامة الذاتية، ويجعلهم قادرين على المساهمة في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله.

دور المناهج فيما يتعلق بالعلاقة بين الفقراء والأغنياء:

1- دراسة بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين حقوق الفقراء عند الأغنياء، وبيان إن هذه حقوق فرضها الله، وتوضيح الثواب الذي يناله كل من يحقق ذلك، وأثر تطبيقه على تماسك المجتمع وزوال البغضاء والحسد بين أفراد المجتمع.

2- دراسة أمثلة واقعية من حياة الصحابة والصالحين على مر العصور في تحقيق التكافل الاجتماعي.
3- قيام التلاميذ بأنشطة ميدانية في الحي لتجميع التبرعات من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء. والقيام بقضاء حوائج العجزة والمرضى وكبار السن في الحي ممن يحتاجون إلي رعاية صحية ونفسية، والقيام بالزيارات الميدانية لدور المسنين ودور الأيتام للوقوف على أوضاعهم وحمل الهدايا إليهم ومشاركتهم في المناسبات والأعياد لإدخال السرور عليهم.
4- دراسة ما تقوم به الدول والجمعيات الخيرية من أدوار في هذا السبيل لتحقيق التكافل الاجتماعي.
5- نشر روح المحبة بين التلاميذ الأغنياء والفقراء، وتوطيد العلاقة بينهم بتبادل الزيارات المنزلية والهدايا الرمزية وغيرها.

رابعا: العلاقة بين الرجل والمرأة:

لقد كفل الإسلام العدل بين الرجل والمرأة، فقد كلف كلا منهما حسب طبيعته وقدراته واستعداداته التي خلقه الله بها، فلم يكلف الإسلام المرأة بالعمل الشاق والسعي على الرزق مثل الرجل إلا في حالات الضرورة القصوى عندما لا تجد من يعولها، فليس من العدل إن تطالب المرأة بالخروج للعمل مساواة مع الرجل وهي التي خصها الله عز وجل بالحمل والولادة ورعاية الأطفال من رضاعة وحنان ونظافة، فمن الظلم إن نطالبها بالعمل خارج منزلها وهي تقوم بكل هذا ولكن من العدل إن يتكفل الرجل بالعمل والسعي للإنفاق عليها وعلى الأطفال، وهنا يقول الله عز وجل ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾[البقرة: 233]

ولقد ذهب الإسلام في عدله إن كلف الوارث النفقة على المرأة في حالة عدم وجود المولود له.

وإذا كان الرجل مكلف بالإنفاق على المرأة وعلى بيته وأولاده، لذلك كان عدل الله عز وجل في إن يكون نصيبه في الميراث ضعف نصيب المرأة فما يأخذه الرجل من الميراث ينفقة على الزوجة والولاد، فبذلك يعود إليها مرة أخرى في صورة النفقة عليها من زوجها أو أبيها، أما النصف الذي تأخذه من الميراث فلم يكلفها الشرع إن تنفق منه على أحد إلا على نفسها فى حالة عدم وجود من يعولها.

كما إن الإسلام في عدم تكليف المرأة بالخروج للعمل والسعي على الرزق مثل الرجل إلا في حالات الضرورة وتكليف الرجل بالإنفاق عليها فيه العديد من المزايا لها وللرجل في نفس الوقت، ففيه حفاظ على أنوثة المرأة ورقتها وعاطفتها التي تعتز بها المرأة، وتختص بها كما خلقها الله والتي يريدها الزوج منها أيضا لتكون سكنا له بأنوثتها ورقتها وعاطفتها وهو سكن لها بالإنفاق عليها والحفاظ على كرامتها ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[البقرة: 187]

وقال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ إن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: 21]

فبهذا تتولد المحبة والمودة والرحمة بينهما.

كما أنه من عدله إن جعل القوامة للرجل على المرأة الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ [النساء: 34]

فكما أوضحت الآية سبب هذه القوامة للرجل على المرأة، فهو المكلف بالإنفاق.كما أنه أكثر تعقلا واتزانا من المرأة التي خصها الله بالعاطفة وهذه الأسباب هي نفسها التي أدت إلي إن جعل الله شهادة الرجل مقدمة على شهادة المرأة، وفى حالة عدم توفر رجلين للشهادة فتكون شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ إن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا [البقرة: 282].

كما حث الإسلام على تفضيل حسن مصاحبة الولد لأمه عن أبيه فعندما جاء رجل إلى رسول الله يسأله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال أمك قال: ثم من؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك [البخارى].

كما حث الإسلام على أخذ رأى المرأة فيمن تتزوجه وعدم إكراهها على الزواج من أحد، فقد قال رسول الله (لا تنكح الثيب حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن وإذنها الصموت) [الترمزى] ومهر المرأة فريضة على الرجل قال تعالى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً [النساء: 24] والتعامل معها في جميع الأحوال لا بد إن يكون بالمعروف، قال تعالى وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [النساء: 19] وقال فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا [البقرة: 231]

كما إن زواج المرأة لا بد إن يكون موثقا بعقد غليظ للحفاظ على حقوق المرأة التي لها عند الرجل والدولة هي المسؤولة عن تنفيذ هذه الحقوق على الرجل، وهذا لا يتوفر في غالب الدول غير الإسلامية، حيث يعاشر الرجل المرأة وينجب منها الأولاد وهي ليست زوجة له بل تسمى (صاحبته) وليس عليه أي تكاليف للإنفاق عليها وعلى الأولاد بل تتكفل هي بكل هذا وله فقط إن يستمتع بها، وهذا هو شأن دول الكفر والتي تدعى أنها دول حضارية وأنها صاحبة حقوق الإنسان وحريته.

ونتيجة فقد المرأة في الغرب لمن يعولها وأولادها، خرجت إلى العمل مرغمة، ورغم هذا فهي تأخذ نصف راتب الرجل في نفس العمل، كما استغلها الرجل استغلالا قذرا فهو يقدمها في بعض الأعمال على الرجل، وبخاصة في المتاجر والسفارات والقنصليات وفي أعمال الإذاعة والتليفزيون ونحوها. فيجب ألا نغفل عن المعنى الكريه الخبيث في هذا التقديم أنه معنى النخاسة والرق في جو من دخان العنبر والأفيون، إنه استغلال للحاسة الجنسية في نفوس الزبائن فصاحب المتجر مثل الدولة التي تعين النساء في السفارات والقنصليات، كشركة السياحة التي تعين مضيفات، وكصاحب الجريدة الذي يدفع المرأة ويعرف كيف تحصل المرأة على النجاح في هذه الميادين، ويعلم ماذا تبذل للحصول على هذا النجاح ! فإن لم تبذل هي شيئا – وهذا فرض بعيد – فهو يدرك إن شهوات جائعة، وعيونا خارقة تلتف حول جسدها وحول حديثها وهو يستغل ذلك الجوع للكسب المادي والنجاح الصغير لأن المعاني الإنسانية منه بعيد بعيد !

ومن هنا كثر الاعتداء على المرأة التي أصبحت سلعة رغم اغتصابها واغتصاب حقوقها في دول الغرب مما دعا بها إلى إن تنادي بالمساواة بالرجل، وللأسف فقد انخدعت الغافلات في بلادنا بما تنادي المرأة في

الغرب ولم تعرف السبب الذي من ورائه كانت هذه المناداة، فالمرأة في الغرب تنادي بأن يكون لها حقوق كما للمرأة عندنا، والمرأة عندنا تنادي بأن يكون حالها مثل حال المرأة في الغرب، ويالها من غرابه!.

لقد خرجت المرأة في الغرب لتعمل من أجل إن تأكل وتعيش فلما رأت الإجحاف والظلم طلبت المساواة في الأجور، فلما لم تستطع – لأن القوانين التي تحكم المجتمع من صنع الرجال وليست كما في الإسلام من صنع الله الذي يعدل بين الرجل والمرأة - طالبت بحق التصويت ودخول المجالس التشريعية والنيابية ليكون لها صوت في هذه المجالس لعلها تحصل على حقوقها.

إن الإسلام ينظر إلى الحياة نظرة متناسقة، فللرجل وظيفته وللمرأة وظيفتها، وكلاهما يسهم في تنمية الحياة وترقيتها وفق شرع الله.

وإن المرأة في مجتمعنا المسلم تخطئ اليوم في حق نفسها، وزوجها، وأبنائها ومجتمعها وربها، عندما تحط من قيمة وظيفتها الأساسية كمربية

لأبنائها، وراعية لزوجها وبيتها، وعندما تنظر إلى هذه الأعمال على أنها دونية، لا تليق بها ولا تتفق مع قدراتها وإمكانياتها. فتنشئة الطفل السعيد الناجح الفاضل ذي الخلق العظيم عمل أعقد وأدق وأهم بكثير جدا من عمل مهندس في محطة للفضاء، أو خبير في معمل أبحاث، أو طبيب ناجح فبناء الإنسان أعقد وأعظم من بناء المصانع، ومن يرى غير ذلك فعلية إن ينظر إلى حالة الفوضى والضياع التي صار إليها أطفال وشباب هذا الجيل الذين هم نتاج المرأة الموظفة فقد انتشر بينهم تعاطى المخدرات، وحوادث الاغتصاب، والسرقة والقتل والأمراض النفسية والعصبية، وكل هذا نتيجة حرمانهم من عاطفة الحب والحنان والعناية والرعاية من جانب الأمهات، لانشغالهن بالوظيفة.

وهذا لا يعنى إن الإسلام يمنع المرأة من العمل خارج المنزل، فهناك من الأعمال التى يجب إن تقوم بها المرأة مثل تعليم بنى جنسها، والرعاية الصحية والطبية لهن، وأى عمل شرعى تقوم به المرأة خارج منزلها ويناسب طبيعتها لا حرج فيه، على ألا يكون فيه اختلاط بالرجال، ويكون خروجها آمن، وليس على حساب دورها كربة أسرة.

دور المناهج فيما يختص بالعلاقة بالرجل والمرأة:

1- تعريف التلاميذ بالخصائص التي اختص بها الله الرجل بخلاف المرأة والخصائص التي اختص بها الله المرأة دون الرجل والأدوار الاجتماعية والحياتية التي تخص كل منهما نتيجة اختلاف الخصائص، وأن هذا الاختلاف في الأدوار يحقق تكامل كل منهما للآخر في الحياة وهي سنة الله في الخلق، وليس تفضيلا لأحد على الآخر.
2- تعريف التلاميذ حقوق وواجبات كل من الرجل والمرأة تجاه الآخر والتي شرعها وأنه يجب احترام كل للآخر طبقا لخصائصه.
3- تعريف التلاميذ بما يحاك لأمتنا من الدول غير الإسلامية لإفساد المجتمع بالخروج عن الأدوار الخاصة بكل جنس وإفساد الفطرة التي فطر الله الرجل والمرأة عليها، وبيان أساليب أعوان الشيطان في ذلك، وما تبثه وسائل الإعلام المختلفة بهذا الخصوص، وبما يسمى تحرير المرأة.
4- تعريف التلاميذ بأن الإسلام قد شرع للرجل والمرأة حقوقا لم توجد في أي مجتمع غير مسلم، وبيان أهمية التمسك بما شرعه الإسلام بهذا الخصوص.

5- تعويد التلاميذ من الجنسين على المحافظة على العادات والتقاليد والقيم الإسلامية الخاصة بالجنسين داخل المدرسة وخارجها وأن يكون المعلم أو المعلمة قدوة حسنة للتلاميذ والتلميذات في السلوك والمظهر والعادات والتقاليد والقيم الإسلامية.

6- الاهتمام بالتربية الأسرية وعلاقة أفراد الأسرة ببعضهم فى ضوء القرآن والسنة.

خامسا: العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين:

المجتمع الإسلامي لا ينفي وجود أصحاب العقائد الأخرى غير الإسلامية ضمن المجتمع المسلم فقد كانوا جزءا معايشا للمجتمع الإسلامى فى المدنية، وتعاهد معهم رسول الله (ص) علي العيش مع الجماعة المسلمة ضمن الدولة الإسلامية، كما كان الحال أيضا عندما فتح عمرو بن العاص مصر وكان بها طوائف غير إسلامية من المسيحيين، وقد عاشوا في مصر في ظل الدولة الإسلامية في حرية عقيدة وإقامة شعائرهم.ولم ينالوا هذه الحرية في ظل الدولة الرومانية التي كانت تدين بالمسيحية أيضا ولكن على مذهب مخالف للمسيحيين في مصر. ولا قوا الكثير من الاضطهاد الديني من الرومان.

والدين الإسلامي يأمر الجماعة المسلمة بحرية العبادة للجميع في دوله الإسلام لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ [البقرة: 256]

كما يأمرهم بالبر بهم ومعاملتهم بالقسط لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ إن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إن اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الممتحنة: 8].

وهنا يجب إن نفرق بين الدين والعقيدة، فالدين أعم في مدلوله عن العقيدة، إن الدين هو المنهج والنظام الذي يحكم الحياة وهو في الإسلام يعتمد على العقيدة، وفى الإسلام يمكن إن تخضع إجراءات متنوعة لمنهجه العام الذي يقوم على أساس العبودية لله وحده ولو لم يعتنق بعض هذه الجماعات عقيدة الإسلام، فالإسلام إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد، فهو يهدف ابتداء إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكميه البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان، ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحرارا بالفعل في اختيار العقيدة التي يرونها بمحض اختيارهم بعد رفع الضغط السياسي عنهم وبعد البيان المنير

لأرواحهم وعقـولهم على إن يعتنقـوا هـذه العقيـدة أفـرادا، فلا يكونـون سلطة قاهرة يدين لها العباد، فمن قبل هذا المبدأ وأعلنه قبل منه إعلانـه هذا، ولم يفتشوا عن نيته وما يخفى صدره، وتركوا هذا لله.

ومن صور العدل في المجتمع الإسلامي والـذي أمـر بـه الإسـلام، العـدل لأهل الذمة، فلهم حريتهم في العبادة والعقيدة، فلا إكراه في الدين، وهم متساوون مع المسلمين في الحفاظ على أرواحهم وأموالهم وممتلكـاتهم فقد قال رسول الله " من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فـوق طاقتـه أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يـوم القيامـة) [سـنن أبى داود] كما كان عمر رضى الله عنه وأرضاه حريصـا على ذلـك في وصـيته لمن يخلفه من بعـده قبـل وفاتـه فكتب لـه (إن يـوفى لهم بعهـدهم وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم).

وكم كان عمر رضى الله عنه عادلا في معاملة غير المسـلمين حينمـا أتى إليه أحد أقباط مصر يشكو له اعتداء ابن عمرو بن العاص عليـه بالضـرب لأنه سبقه في إحدى المسابقات فأمر عمر رضى الله عنـه بالقصـاص من ابن عمـرو بن العـاص بـأن يضـربه القبطي كمـا ضـربه. وقـال قولتـه المشهورة لعمرو بن العاص معاتبا (مـتى اسـتعبدتم النـاس وقـد ولـدتهم أمهاتهم أحراراً).

وقـد خطب عمـر في النـاس فقـال (إني واللـه مـا أبعث إليكم عمـا لي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا من أموالكم، ولكـني أبعثهم إليكم ليعلمـوكم دينكم وسنة نبيكم. فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى فو الـذي نفسـي بيده لأقتصن له).

دور المناهج فيما يختص بالعلاقة بين المسلمين وأهل الذمة:

1- تعريف التلاميذ إن الإنسان له حرية الاعتقاد، فلا إكراه في الـدين وأن للجميع حرية العبادة وهم متساوون في المواطنة والحفـاظ على أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم.
2- تعريف التلاميـذ إن المجتمـع يشـمل المسـلمين وغـير المسـلمين في وطن واحد وأن الحاكمية فيه لله وعلى الجميـع العيش معـا تحت سـمائه في أمن، وعلى الجميـع احـترام حقـوق الآخـرين والمحافظـة على وحـدة المجتمع وسلامته.

3- دراسة لأمثلة واقعية التي عاش فيها كل من المسلمين وغير المسلمين تحت راية الإسلام في أمن وسلامة كما هو الحال في مصر الحبيبة وكيف حافظ الإسلام على حقوق غير المسلمين وذلك فى موضوعات الدراسات الاجتماعية والقراءة والنصوص الأدبية.

سادسا: العلاقة بين أجناس المجتمع وطوائفه المختلفة:

لا طبقية ولا عنصرية فى الإسلام فالمجتمع المسلم لا يفرق بين البشر لاختلاف ألوانهم: أبيض أو أسود، ولا لاختلاف أجناسهم: فارسى أو تركى أو عربى، فالكل داخل وطن الإسلام أخوة لا فضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى والعمل الصالح ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إن اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: 13]

فميزان الإسلام الذي يزن به الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم هو التقوى، وقد كان رسول الله (ﷺ) حريصا على تأكيد ذلك فى قوله (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى) (البيهقى)

ما أروع إن يكون كل المؤمنين أخوة فى الله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: 10] وما أروع قول رسول الله (ﷺ) عن سلمان الفارسى (سليمان منا أهل البيت) (الطبرانى والحاكم)، ولا تنابز بين المؤمنين ولا تفاخر بينهم بالأنساب والألقاب ولا يحقر بعضهم بعضا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى إن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى إن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾ [الحجرات: 11] وقد عبر رسول الله (ﷺ) عن هذا التفاخر والعصبية الجاهلية بقوله (دعوها فإنها منتنة) [أبو بكر البزار].

وقد كان رسول الله (ﷺ) حريصا على تربية أصحابه على هذه القيم الإسلامية فقد عاتب أبا ذر الغفارى عندما أفلت لسانه بقوله: لبلال بن رباح الذي كان عبدا حبشيا " يا ابن السوداء " فقال رسول الله (ﷺ) " يا أبى ذر طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل " [ابن المبارك] فانفعل قلب أبا ذر لهذا القول أشد انفعال ووضع جبهته على الأرض يقسم ألا يرفعها حتى يطأها بلال تكفيرا عن قولته الكبيرة، هذه

هى صورة المجتمع الإسلامى بطوائفه المختلفة وأجناسه وأعراقه الكل فيه سواء، وفى محبة وتعاون يسالم بعضهم بعضا، ويرحم بعضهم بعضا، ويدل بعضهم بعضا على الخير، والتفاضل بالأعمال، ولذلك فعليهم إن يجتهدوا كل من ناحيته حتى ترقى الإنسانية، فهل نرى سموا بالإنسانية أعلى من هذا السمو أو تربية أفضل من هذه التربية.

وفى قول الله تعالى﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: 32].

إن هناك تفضيل الله للأفراد بعضهم على بعض من حيث القدرات والاستعدادات والتي بها يتميز البعض في مجال خلاف الآخر فمنهم من يتخصص في الطب وهناك من يتخصص في الهندسة وهناك من يتخصص في التربية... وكل واحد يحتاج الآخر ويتفضل عليه في مهنته وتخصصه. مما يدفع الكل إلى التعاون والتكامل وخير الناس أنفعهم للناس، وهذا من أجمل معاني العدالة.

دور المناهج فيما يختص بالعلاقة بين الأجناس والطوائف:

1- تعريف التلاميذ أنه لا طبقية ولا عنصرية داخل المجتمع والكل سواسية لا فرق بينهم فكلهم لآدم وآدم من تراب، وبيان ذلك من القرآن والسنة والسيرة.
2- تعويد التلاميذ على إن التفاضل بينهم يكون بأفضلية عمل الخير ومساعدة بعضهم بعضا، وخير الناس أنفعهم للناس، ويتم تعويد التلاميذ على ذلك من خلال دراستهم لأمثلة واقية عن ذلك.وعمل مسابقات بين الطلاب في عمل الخير لغيرهم وإعطاء الجوائز على ذلك.

الفصل السادس

الأساس الخامس

طبيعة العلاقات الدولية والقوى المؤثرة فيها

الفصل السادس

الأساس الخامس

طبيعة العلاقات الدولية والقوى المؤثرة فيها

لقد أصبحت هناك حاجة ملحة – أكثر من ذى قبل – لدى رجال التربية وخاصة واضعى المناهج لمعرفة طبيعة العلاقات الدولية والقوى المؤثرة فيها، عند تخطيطهم المناهج لإعداد أفراد الأمة كمواطنين صالحين قادرين على خوض معركة الحياة على كوكب الأرض، الذي أصبح الآن قرية كونية نتيجة لسرعة انتشار وسائل الإعلام والاتصال العالمية وتصارع الأحداث والتفاعلات الدولية وتفاعلاتها، ومحاولة القوى العظمى الدولية فرض هيمنتها على العالم فكريا، وثقافيا، واقتصاديا، وسياسيا بمنهجها العلمانى ورؤيتها البشرية البعيدة عن كل هدى، وهذا يلقى على كاهل أمتنا الإسلامية – التى لديها كتاب ربها وهدى رسولها – إن تقود أفراد أمتها لإصلاح العالم ورفع الظلم والهوان عن البشرية، وتعمير الأرض ونشر العدل والسلام فى أنحاء العالم، وهذا لا يتأتى إلا بأفراد الأمة بعد تربيتهم وإعدادهم لحمل هذه الرسالة، وهذا هو دور رجال التربية بوجه عام ورجال المناهج بوجه خاص ... ومن هنا كان لابد من بيان طبيعة العلاقات الدولية والقوى المؤثرة فيها كأحد أسس بناء المنهج ودور المناهج فى إعدادها لأفراد الأمة فى هذا الخصوص، وهذا ما سيتناوله هذا الفصل.

طبيعة العلاقات الدولية:

هناك العديد من الخصائص التى تتسم بها العلاقات الدولية التى تظهر بوضوح فى الوقت الحاضر وتتبلور ملامحها فى التعامل بين الأمم والشعوب والدول، ومن هذه الخصائص ما هو قديم قدم البشرية لتأصلها فى الطبيعة البشرية مثل انتشار الحروب واستمرارها، ومحاولة هيمنة القوى على الضعيف من الأمم، ومنها ما هو وليد التطورات الحديثة تكنولوجيا واقتصاديا مثل تعاظم دور وسائل الإعلام والاتصالات الدولية، وتعاظم دور الشركات الاقتصادية العملاقة عالميا، وهذه هى بعض خصائص العلاقات الدولية على سبيل المثال وليس الحصر.

1 – الحرب أمر لا مفر من وقوعه بين الأمم:

الصراع بين البشرية طبيعة الحياة، لا ينكره أحد، فمنذ وطأت قدم بنى آدم الأرض وهذا الصراع موجود إلى إن تقوم الساعة) وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ([البقرة: 36]
فبدأ القتال بين ابنى آدم فقتل الأخ أخيه) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِين ([المائدة: 30]

فالحرب أمر لا مفر من وقوعه بين الناس، مهما ارتقت أفكارهم أو تقدمت معارفهم وتطورت حضارتهم كما أنها لن تزول من الدنيا أو تخف حدتها فهى سر من أسرار الحياة، فالصراع بين الحق والباطل مستمر إلى إن تقوم الساعة، والتاريخ يشهد على ذلك، وما أكثر الحروب التى دارت رحاها بين الدول.

لقد عانى عالمنا الإسلامى من الحروب التى شنتها قوى البغى الأوربى تحت راية الصليب ورغبة فى نهب ثروات الأمة الإسلامية، من هذه الحروب الحملات الصليبية على الشرق الإسلامى التى ذبح فيها مئات الآلاف من المسلمين وبعد ذلك وقع العالم الإسلامى فريسة الاستعمار الأوربى فقد احتلت بريطانيا مناطق الخليج العربى، وجنوب شبه الجزيرة العربية ومصر والسودان والهند بما فيها باكستان واحتلت فرنسا المغرب العربى بأسره، فيما عدا ليبيا فقد احتلتها إيطاليا، واحتلت هولندا جزر الأرخبيل الأندونسية، واحتلت روسيا القرم وأذربيجان، وكازاخستان وأوزبكستان، ونوركيستان، وكزيخستان.

وعلى الرغم من تحرر العالم الإسلامى عسكريا من نيران الاستعمار الغربى - فيما عدا فلسطين التى أقام فيها الغرب دولة إسرائيل المزعومة - إلا أنه لم يسلم من حروب الغرب، فبعد حروب التحرير التى راح ضحيتها الملايين من الشهداء بدأ الغرب حروب التطهير العرقى للمسلمين داخل أوربا فى البوسنة والهرسك وكوسفوا ومقدونيا التى جمع فيها المسلمين فى مدن سميت بالمناطق الآمنة تحت راية الأمم المتحدة، وتم التخلص منهم فى مذابح جماعية تضم كل منها عشرات الآلاف فى هذا العصر الحديث وفى أوربا التى تدعى التقدم والرقى وحماية حقوق الإنسان.

وكان أحدث هذه الحروب ومازالت حرب الخليج ضد العراق، وحرب أفغانستان التى يطلق عليها الآن الحرب ضد الإرهاب والمقصود هو

الإسلام، حيث تهدد الولايات المتحدة الأمريكية كل العالم الإسلامى تحت مسمى الحرب ضد الإرهاب والقضاء على محاور الشر فى العالم.

2 - هيمنة القوى العظمى على شئون العالم:

دائما ما تَعْمد القوى العظمى فى العالم على السيطرة على شئونه، فإن كانت هذه القوى من قوى الظلم والجبروت قامت باستعمار الأمم الضعيفة ونهبت ثرواتها وسخرت شعوبها من أجل تحقيق مطامعها، أما إن كانت من قوى العدل والحق فإنها تعمل على نشر الرخاء والعدل والمساواة بين باقى الأمم والأخذ بيدها.

لقد ساد العالم قبل الإسلام قوتان: الرومان والفرس، حيث سيطرت دولة الرومان على الجزء الغربى من العالم القديم، وسيطرت دولة الفرس على الجزء الشرقى منه، وكانت الشعوب التى تحت سيطرتهما تعانى من الظلم والاضطهاد والعبودية، كما نهبتا ثروات هذه الشعوب، حتى جاء الإسلام وحرر هذه الشعوب من كل ذلك، ونعمت هذه الشعوب بعدل الإسلام ورحمته، وأصبحت هى نفسها جزءاً من العالم الإسلامى تتمتع بما فيه بل تنشره فى باقى بقاع الأرض، فلقد انتشر الإسلام فى الأندلس على يد شعوب شمال إفريقيا نفسها وأقامت فيها حضارة من أرقى الحضارات فى الغرب كما انتشر الإسلام فى الشرق حتى وصل إلى الفليبين وأندونيسيا شرقا، ونعم العالم بعدل الإسلام.

ولقد حكى لنا القرآن الكريم مثال آخر مثل ذلك تماما وحتى قصة ذى القرنين الذي قاد دولة عظمى فى عصره نشرت العدل بين البشرية شرقا وغربا) وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ([طه: 105]

) وَيَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً* فَأَتْبَعَ سَبَبا* حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا إن تُعَذِّبَ وَإِمَّا إن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً* ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً* حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً* كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً* ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً* حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إن يَأْجُوجَ

وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى إن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُوا إن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً ((الكهف 83: 98]

وفى الوقت الحالى الذي كان الاتحاد السوفيتى والحلف الأطلنطى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية هما القوتان العظميان فى العالم، احتل الاتحاد السوفيتى دول وسط آسيا، واحتلت الدول الغربية معظم دول العالم الأخرى فى آسيا وأفريقيا وساد النهب والسلب والعبودية لهذه المستعمرات، وبعد زوال الاتحاد السوفيتى أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى القوى العظمى العسكرية الوحيدة فى العالم، كما أنها القوة العظمى الوحيدة التى تهيمن على الاقتصاديات العالمية، والقوة العظمى الوحيدة فى حقل المعلومات، لذلك انفردت بالهيمنة والسيطرة على العالم ونشرت فيه الرعب والخوف وهددت كل دول العالم بأن أى دولة ليست معها فهى ضدها ولابد من محاربتها.

وتخفى الولايات المتحدة الأمريكية مطامعها الاستعمارية والتسلطية تحت شعار أنها تحارب الإرهاب، وتعمل على نشر العدل فى العالم وتقضى على محاور الشر فيه، وهذا ما بينه لنا رب العزة فى قوله ") وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ ([البقرة: 11-12]

3-تعاظم دور الشركات الاقتصادية متعددة الجنسيات (الشركات العالمية)

ظهر فى العصر الحديث العديد من الشركات الاقتصادية العملاقة التى لها فروع فى معظم دول العالم التى أصبحت تحتكر ما تقوم بتصنيعه ولا تستطيع الدول الفقيرة أو الشركات الصغيرة منافستها فى ذلك، وتشكل ظاهرة اندماج الشركات والمصارف واحدة من أبرز سمات عولمة الاقتصاد، ويأخذ الاندماج فى حالات عدة فى شكل ابتلاع وتملك للشركات والمصارف الأضعف نسبيا، وهذه الظاهرة يسميها البعض " وليمة المفترسين " ويسيطر عدد محدود من هذه الشركات العملاقة على المفاصل الرئيسية للاقتصاد العالمى. وهذه الشركات تتبع الدول

الغنية ومعظمها شركات صهيونية تفرض سيطرتها على العالم فهى تنهب ثروات الدول الفقيرة وترغمها على شراء منتجاتها بأغلى الأثمان، كما أنها توجه دفة النواحى السياسية فى كل دول العالم الغنى فيها والفقير لتحقيق مصالحها، فبأموالها تسقط الحكومات التى تعارضها وتنشئ أخرى موالية لها، ففى الولايات المتحدة الأمريكية لا يصل أى رئيس إلى البيت الأبيض إلا عن طريق هذه الشركات.

ومن أبرز محاولات هذه الشركات للسيطرة على اقتصاديات العالم هو فرض ما يسمى بالتجارة الحرة لفتح أسواق العالم أمامها دون منافسة أو حماية جمركية فى اتفاقية عالمية تسمى " الجات "

4 – تعاظم دور وسائل الإعلام والاتصالات وانتشارها عالميا:

أصبحت وسائل الإعلام من أقمار الإرسال التليفزيونى الصناعية تغطى كل أنحاء العالم وتدخل كل بيت وتمكن الناس على طرفى كوكب الأرض من استقبال طائفة واسعة من المؤثرات الثقافية، كما إن شبكة الإنترنت العالمية تدفع الحياة إلى ما وراء الحواجز الطبيعية القديمة للزمان والمكان، إذ بوسع أى إنسان إن يتجول بواسطتها حول العالم دون مغادرة منزله، ويمكنه إن يقيم صداقات جديدة، وأن يتصل برواد الفضاء وهم يدورون حول الأرض وأن يتبادل نتائج الأبحاث والتجارب المعملية مع زميل له على الناحية الأخرى من المحيط.

وعلى الرغم من الفوائد الجمة لهذه الوسائل، إلا أنها تحمل فى داخلها مخاطر أكبر، فقد أصبحت قدرة الإنسان غير فعالة على نحو متزايد فى السيطرة على الطريقة التى تشكل بها تكنولوجيا المعلومات حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ولا يمكن لأحد إن يتنبأ باتجاه تطور الأوضاع الحالية، فكل تطور يحمل داخله نقيضه، فبنظرة متروية لكيفية عمل وسائل الإعلام فى عالم اليوم يتبين إن الإعلام عرضة لتلاعب السلطة السياسية، والقوى الاقتصادية للشركات العالمية لتحقيق مصالحها الذاتية، وتحكم هيمنتها على العالم.

إننا نعيش الآن عولمة القطب الواحد، تهيمن فيه الولايات المتحدة الأمريكية على حركة المرور الكونية فى مجال المعلومات والأفكار، فالأفلام والموسيقى والبرامج التليفزيونية، وبرامج الكمبيوتر الأمريكية قد أصبحت شديدة الهيمنة، ورائجة جدا حتى أنها توجد فى كل مكان على

الكرة الأرضية، وتؤثر تأثيرا شديدا على أذواق وحياة وتطلعات كل الأمم، وهو ما يؤثر على أسلوب الحياة، والمعتقدات واللغة، وكل مكونات الثقافة الأخرى، مما يؤثر سلبا على تماسك المجتمعات وتقاليدها، فهى تنتهك خصوصيات هذه المجتمعات، وتقتحم خلاياها الأسرية، ناشرة قيما وأنماط حياة وسلوكا غريبة عن هذه المجتمعات، وكلها وسائل يصعب مراقبتها والحد من تدخلها.

إننا ندخل بالفعل – سواء وعينا ذلك أم لا – عالما جديدا اسمه " العالم الافتراضى " الذي تخلقه هذه الوسائل فى عقول الناس، عالماً وهمياً يسيطر على فكر الناس ومشاعرهم تحت تأثير عمليات غسيل الأدمغة، تجعل المرء يعيش لحظته وكأنها لحظة فى الهواء، لا جذور لها، مستقلة عما قبلها وما بعدها، فالبرامج والأفلام والمسلسلات التى تبثها هذه الوسائل تعزل الناس عن واقع الحياة والهدف الذي خلقت من أجله البشرية وذلك رغبة فى الاستحواذ على انتباه الآخرين واهتمامهم، فالثقافة التى تروج لها هذه الوسائل هى ثقافة القطيع ثقافة عديمة الاتجاه تفتقر إلى أى شئ يمكن إن يفسر على أنه وعى اجتماعى أو قيمة روحية أو إنسانية.

كل هذا يعيشه عالمنا الإسلامى مع باقى العالم فى غيبة من الوعى لمخاطر هيمنة وسائل الإعلام والاتصالات العالمية، والأدهى من ذلك والأمر هو تبعية الكثير من وسائل إعلامنا فى كثير من الأقطار الإسلامية لهذا الإعلام العالمى وهيمنته مما يزيد من هذه المخاطر على أبناء الأمة وسلامة ترابطها وتماسكها.

دور المناهج فيما يخص طبيعة العلاقات الدولية:

1- دراسة أبناء الأمة لطبيعة العلاقات الدولية وما يسودها من ظلم وهيمنة من جانب القوى الطاغية، وبيان مظاهر هذه الهيمنة وآثارها السلبية على أمتنا.
2- أن تتضمن مناهج التربية صراع الأمة الطويل مع جحافل الظلم والعدوان الصليبى والصهيونى وما عانته الأمة من صنوف العذاب والقتل والنهب والاستبعاد على مر التاريخ من هذا العدوان، والأسباب الكامنة وراءه من بغض للإسلام والطمع فى ثروات الأمة.

3- دراسة أبناء الأمة لعوامل ضعفها التى أدت إلى وقوعها فريسة لأعدائها، ودراسة كيف نالت هذه الأمة حريتها بكفاحها وجهادها وأخذها بأسباب القوة والوحدة والاعتصام بكتاب ربها.

4- أن تتضمن مناهج التربية سلبيات وإيجابيات انتشار وسائل الإعلام والاتصالات العالمية وكيفية تعامل أبناء الأمة معها بما يقاوم هذه السلبيات ويعظم الإيجابيات، بل العمل على إن يكون للأمة دور السبق والمبادرة فى توجيه هذه الوسائل وقيادتها لتحقيق أهداف الأمة داخليا ودوليا وتوجيه العالم باستخدام هذه الوسائل لتحقيق الغاية من وجود البشرية على هذه الأرض بخلافة الإنسان لله فى الأرض بالمنهج الربانى.

5- دراسة دور الجوانب الاقتصادية والتجارية فى المعاملات الدولية وأهميتها فى تحقيق سيادة الأمة، وأن تعمل المناهج على تربية أبنائها على إن يكونوا طاقة إنتاجية فاعلة في جميع المجالات الزراعية والصناعية والتكنولوجية والتجارية، والأخذ بأسباب العلم فى اكتشاف كل وسائل التقدم والرقى، وجعل كل ذلك شكلا من أشكال الجهاد الذي يحقق خلافة الإنسان لله فى الأرض لتحقيق العبودية لله، وعدم الاعتماد على الغير والتسول من الأعداء.

بعض القوى المؤثرة فى العلاقات الدولية وأساليبها:

أولا: الصليبية الغربية:

لقد أدى تدخل رجال الدين المسيحى فى حياة الناس فى أوربا ونهب ثرواتهم، ومعارضتهم للاكتشافات العلمية وتكفير العلماء إلى ثورة أوربا على الكنيسة وعزلها عن ممارسة سلطانها ومكانتها القديمة وتدخلها فى شئون الحياة، ومن أجل إن تستعيد الكنيسة دورها ومكانتها مرة أخرى، تفتق عقل رجال الكنيسة إلى توجيه أنظار شعوب أوربا إلى العالم الإسلامى عن طريق إثارة مشاعرهم وحقدهم وتعصبهم الدينى ضد المسلمين، فحرضوا النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدى الكفار – أى المسلمين – وجاءت هذه الأحقاد متلاقية مع طموحات حكام أوربا وأمرائها لاستعمار بلاد المسلمين ونهب ثرواتها، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح والصليب إلى بلاد المسلمين يقتلون ويسفكون الدماء بوحشية ليس لها مثيل، ويذكر التاريخ إن الحملة الصليبية - على سبيل المثال لا الحصر – عند دخولها بيت المقدس فى 15 مايو 1099 قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلى صدورها فى الدماء، وفى أنطاكية قتلوا أكثر من مائة ألف مسلم.

ومن المعـروف إن أوربـا شـنت ثمـانى حملات صـليبية على الشـرق الإسلامى حيث بدأت الحروب الصليبية منذ منتصف القرن الحـادى عشـر واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر، وبعد مضى أكثر من قـرنين من الحـروب الداميـة، اشـتد حمى وطيسـها بين المسـلمين وجحافـل الشـر الصليبى ارتدت الحروب الصليبية، وقد باءت بالإخفاق والهزيمة، ثم عادت القـوات الصـليبية الأوربيـة مـرة أخـرى لتغـزو العـالم الإسـلامى بعـد إن أسـقطت الخلافـة الإسـلامية فى تركيـا واحتلت معظم العـالم الإسـلامى ونهبت ثرواته، واستعبدت شعوبه، وبعد كفاح طويل لهـذه الشـعوب نـالت استقلالها وعادت القـوات الصـليبية الأوربيـة مـدحورة، إلا أنهـا زرعت فى المنطقة دولة لليهود حتى يستمر لها وجود فى المنطقة.

لقد عانى عالمنا العربى الإسلامى من " الاسـتبداد الغـربى " الـذي غلبت عليه السـمة العسـكرية الاقتصـادية حـتى نهايـة الحـرب العالميـة الثانيـة، وبعدها دخل " الاستبداد الغربى " مرحلة جديـدة – نسـبيا – تعمـد الـدلوج إلى العقل العربى المسلم قبل التسلل إلى الأرض والاقتصاد، انطلاقا من مسـلمة أساسـية، مفادهـا إن احتلال العقـل يسـهل احتلال الأرض الـتى يعيش عليها هذا العقل، ولكن العكس ليس صحيحا.

لقد وجد الصليبيون إن خير طريق لغـزو العـالم الإسـلامى وإخضـاعه هـو سلوك الفـرد الفكـرى، بتغيـير فكـر المسـلمين، والتشـكيك فى عقيـدتهم وشريعتهم، وكل مالـه صـلة بالإسـلام، حضـارة وثقافـة ولاشـك إن الغـزو الفكرى أعمق أثـرا وأشـد فتكـا فى حيـاة الأمـة من الغـزو المسـلح لأنـه يتسلل إلى عقولها وقلوب أبنائها، ويمضى بين الناس فى صـمت ونعومـة وخفاء، مما يجعل النـاس يتقبلـون كـل جديـد تـدريجيا، ولـو خـالف قيمهم وعقائدهم وأفكارهم.

من هنا بدأت الاستراتيجية الغربيـة (الأوربيـة الأمريكيـة) تخطـط لعمليـة تحكم واسعة النطاق فى العقـل السياسـى والثقـافى العـربى الإسـلامى، مستخدمة خبرتهـا الطويلـة فى اسـتعمار العـالم، وأحـدث هـذه الوسـائل سيطرة ما يسمى بالبحوث الميدانية المشتركة بين علمـاء البحث العلمى ومؤسسـاته الغربيـة ذات الصـلة الوطيـدة بـأجهزة المخـابرات وصـناعة القـرار السياسـى الغـربى والإسـرائيلى من جهـة وبعض العلمـاء العـرب ومؤسسـات البحث السياسـية والاجتماعيـة من جهـة أخـرى، لتمثـل أنجح وسـائل الاسـتراتيجية الغربيـة للتحكم والسـيطرة والتغلغـل فى العقـل العـربى الإسـلامى، داخـل كـل قطـر على حـدة، ووفـق خطـة مبرمجـة

ومتعددة الأدوار والأدوات، وأصبح البحث العلمى والعلم والمشتغلون به مجرد أدوات طبيعية للسيطرة داخل هذه الأقطار وخارجها، وفى ظل غياب السياسات الواعية تجاه موجات الغزو الثقافى وأدواتها الكثيرة داخل هذه الأقطار وقع الاحتلال العقلى.

وكان من أهداف هذا الغزو الفكرى:

1. تطبيق مناهج التربية والتعليم الغربية فى المجتمعات الإسلامية، وبذلك يحال بين أبناء الأمة الإسلامية وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها، ليحل محلها تاريخ تلك الدول الغربية وسير أعلامها وقادتها، كما يتم تهميش اللغة العربية وتدريس اللغات الأوربية، ومادام الإنسان لا يفكر إلا باللغة فإن إضعاف لغة الأمة الإسلامية هو إضعاف لفكرها وإسلامها.
2. إضعاف قيم الإسلام ومثله العليا، والعمل على إن تسود مجتمعاتنا الأخلاق والعادات والتقاليد الغربية، وإثبات تقدمها وتحضرها، وإظهار التمسك بالإسلام على أنه رجعية وتخلف.
3. تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف والرجعية وعدم قدرته على إمداد الحضارة بشئ مفيد، وتشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضارى بدعوى إن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها.
4. إحياء الجوانب الضعيفة فى التراث الإسلامى خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية التى وقعت بين المسلمين أنفسهم والتركيز على دعوات الحركات الباطنية وإخراجها بصورة جميلة مضيئة ووصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكرا عالميا متحررا.
5. إثارة الخلافات والثغرات القومية بين شعوب الأمة الإسلامية عن طريق إحياء القوميات التى كانت لهم قبل الإسلام وبذلك يتم تفريق الأمة ويدب بين أبنائها الشقاق.

بعض أساليب الصليبية للغزو الفكرى:

1 – العلمانية:

والعلمانية تعنى عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وأبنائه وجعله حبيسا فى ضمير الفرد، لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففى الشعائر التعبدية، لأن ترجمة العلمانية

هى – اللادينية أو الدنيوية، وهـذا يعـنى إقامـة الحيـاة على العلم الوضـعى والعقل ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين.

وقـد نشـأت فكـرة العلمانيـة نتيجـة وقـوف الكنيسـة الأوربيـة ضـد العلم وهيمنتها على الفكر وتشكيلها لمحاكم التفتيش واتهام العلماء بالهرطقـة. ولليهود دور بارز فى ترسيخ العلمانية من أجل إزالة الحاجز الـدينى الـذي يقـف أمـام اليهـود حـائلا بينهم وبين أمم الأرض، وهنـا اتفقت الصـليبية والصهيونية على هذا الفكر ليكون فكرا صليبيا صهيونيا.

وقـد اتخـذت الصـليبية العلمانيـة وسـيلة للغـزو الفكـرى للعـالم الإسـلام، ونجحت فى إسقاط الخلافة الإسلامية فى تركيا، وإعلان الدولـة العلمانيـة فيها على يد كمـال أتـاتورك بعـد الحـرب العالميـة الأولى، ولا يخفى على أحد نجاح الصهيونية الصليبية فى غزو فكـر بعض المثقفين المتفـرنجين – الـذين تربـوا تربيـة أوربيـة وتثقفـوا بالثقافـة الغربيـة فى معاهـد العلم الإنجليزى والفرنسى وفي الولايات المتحدة الأمريكيـة أخـيرا – وكـان من الطبيعى إن يعود هؤلاء بآراء العلمانيـة إلى بلادهم الإسـلامية، واختـير من هؤلاء القادة والمفكرين وصانعى القرار فى بلادهم وضـعت لهم الصـليبية الصهيونية بطولات ضخمة، وأثارت حولهم الغبار الكثيف، حتى خيل للأمـة إن بأيـديهم مفتـاح نهضـتنا وبنـاء مجـدنا، فطأطـأت لهم الـرأس حـتى إذا تمكنوا منها أنزلوا بها من الذل والدمار وخراب العقيدة مـا لم تذقـه على يـد أسـيادهم من الصـليبيين الصـهاينة، وبـذلك نجحت خطتهم فى فصـل السلطة الدينية عن السلطة السياسية دون جلبة أو ضوضاء.

وكان أول نجاح تم تحقيقه فى هذا المضمار على يد " كرومر " فى مصـر قلب الأمة العربية الإسلامية لما لها من ثقل فى الأمة برمتها، ولذلك كان تأثيرهـا كبـيرا على الأمـة الإسـلامية من خلال النظم السياسـية السـائدة فيهـا، ولم يفلت أى بلـد إسـلامى فى آسـيا وأفريقيـا من ممارسـات الاستعمار العلمانية.

ويظهر المنهاج العلمانى واضحا فى منـاهج التعليم فى الـدعوة إلى أحيـاء الدراسات التاريخيـة السـابقة للإسـلام، كالحضـارة الفرعونيـة فى مصـر، والفينيقيـة فى الشـام والبابليـة والآشـورية فى العـراق، والبربريـة فى الجزائر بقصد إحياء النزعات القومية وعزل العالم الإسـلامى عن الربـاط الدينى الإسلامى الذي يوحـد صـفوفه وينهض بحياتـه، حيث جعلت التربيـة الإسلامية خارج نطاق التقويم للطلاب بهدف إهمال تعلمها.

2 – التغريب:

التغريب تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمى إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربى ليكونوا أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية، وذلك بتشكيك المسلمين فى دينهم، بغسل الدماغ الإسلامى، وكسب المريدين والأتباع من بلاد المسلمين وإيهام المسلمين إن الحضارة الغربية حضارة عالمية وأنها ثمرة تجارب الإنسانية، وعلى ذلك فلا مناص لمن أراد التقدم إن يتبنى مفاهيمها، ويقتبس نظمها، ويربط مصيره بمصيرها.

وقد استخدمت الصليبية الصهيونية أبواق أبناء الأمة الإسلامية، الذي ظلت تسقيهم من مائها، وتسكب فى عقولهم من لوثتها، حتى صاروا تلاميذ نجباء لهم وأبواقا تحسن الصفير بما يملى عليها لتحقيق أهداف التغريب.

وقد تحيز قادة التغريب المجالات التى تتسم بالحساسية الشديدة لبث سمومهم فيها، تلك المجالات التى تمس المجتمع وتعالج الفكر الذي هو شريان الأمة النابض بحياتها مثل: التعليم، والإعلام، والحياة الاجتماعية، والاقتصاد.

ويعتبر التعليم من أكبر المجالات التى نالت نصيبا كبيرا من حركة التغريب وذلك للقضاء على الذاتية الإسلامية المرتبطة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، واللغة العربية التى هى لغة القرآن، فقد استطاعت وسائل التعليم الحديثة ومناهجه إن تبتر الصلة بين الشباب المسلم وتراثه العريق وحضارته التى حررت الإنسان من عبودية الإنسان، والعقل البشرى من عبودية الوثنية والخرافة.

كما أفسدت الحياة الاجتماعية وما يسودها من قيم خلقية وآداب سلوكية، وكان تعريف المرأة له الأولوية والأهمية الكبرى لكونه أسرع السبل لإفساد المجتمع كله، وقد استغلت حركة التغريب وسائل الإعلام فى تحقيق ذلك لأنها تخاطب الملايين مباشرة وتغزو المسلم داخل بيته وخارجه.

3 – الاستشراق:

ويقصد به ذلك التيار الفكرى الذي يتمثل فى الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامى، التى تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته،

ولذلك فهو المصنع الذي يمد المستعمرين بالمواد الفكرية التى يسوقونها فى العالم الإسلامى، لتحطيم عقيدته وتخريب عالم أفكاره والقضاء على شخصيته الحضارية التاريخية، وذلك بمحاولة إلغاء النسق الإسلامى، وتشكيل العقل المسلم وفق النسق الغربى الأوربى، وإنجاب تلاميذه من أبناء العالم الإسلامى لممارسة هذا الدور، والتقدم باتجاه الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات والإعلام والتربية فى العالم الإسلامى لجعل الفكر الغربى والنسق الغربى هو المنهج والمرجع والمصدر.

وقد انتشرت مراكز البحوث والدراسات التى تختص بالاستشراق فى معظم الجامعات العلمية فى أوربا وأمريكا، لتتبع ورصد كل ما يجرى فى العالم الإسلامى، ومن ثم دراسته وتحليله مقارنا مع أصوله التراثية التاريخية ومنابعه العقيدية، ثم مناقشة ذلك مع صانعى القرار لتبنى على أساسه الخطط وتوضع الاستراتيجيات الثقافية والسياسية وتحدد وسائل التنفيذ تبعا لذلك لتحقيق أهداف الاستشراق الخبيثة.

ثانيا: الصهيونية العالمية:

الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمى إلى إقامة دولة لليهود فى فلسطين أرض الميعاد، تمتد من النيل إلى الفرات، لتحكم من خلالها العالم كله، كما وعدهم إلههم " يهوه "، وتستمد الصهيونية فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة التى حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية فكرها فى كتاب " بروتوكولات حكماء صهيون ".

ويدعى الصهاينة إن اليهود هم شعب الله المختار والعنصر المميز الذي يجب إن يسود، وكل الشعوب الأخرى خدم لهم، وأن الله قد هيأهم لحكم العالم وزودهم بخصائص وامتيازات لا توجد عند الأميين.

ويتبع الصهاينة العديد من السبل لتحقيق أحلامهم فى السيطرة على العالم، كاستخدام الرشوة والخديعة والخيانة والاغتيالات السياسية، وإغراق باقى البشرية فى الرذيلة عن طريق الملاهى والألعاب والمنتديات العامة والفنون والجنس والمخدرات، وهدم دولة الإيمان فى قلوب الشعوب ونزع فكرة وجود الله من عقولهم، ويستخدم اليهود وسائل الإعلام المختلفة من صحافة ودور نشر وإذاعة وتليفزيون وسينما وإنترنت وغيرها لتحقيق ذلك حيث يسيطرون على غالبية هذه الوسائل فى العالم، ويوجهون الرأى العام العالمى نحو ما يريدون، ويبثوا الشائعات والأخبار الموجهة، وقد أفقدوا الرأى العام العالمى التفكير السليم، بإشاعة المتناقضات وإلهاب الشهوات وتأجيج العواطف.

كما عمل اليهود على السيطرة على اقتصاديات العالم بامتلاكهم الذهب والأموال والبنوك العالمية والشركات الكبيرة العالمية، واستخدموها فى نهب ثروات الأمم عن طريق إيداع أموال هذه الأمم والأغنياء فى العالم فى بنوكهم، وبذلك استطاعوا إن يتحكموا فى اقتصاديات العالم وافتعلوا الأزمات الاقتصادية وتلاعبوا بأسعار العملات والأسهم فى البورصات العالمية التى ابتدعوها، وأصبحوا يمتلكون الشركات الدولية العملاقة التى تهيمن على الاقتصاد العالمى.

وعمد الصهاينة إلى التدخل فى تعيين رؤساء الدول وحكامها على إن يكونوا من أصحاب الصحائف السوداء غير المكشوفة، وبذلك يكونون أمناء على تنفيذ أوامرهم خشية الفضيحة والتشهير، كما يقومون بصنع الزعامات وإضفاء العظمة والبطولة عليها، وفى نفس الوقت يعمدون

إلى توسيع الشقة بين الحكام والشعوب وبالعكس، ليصبح الحاكم كالأعمى الذي فقد عصاه ويلجأ إليهم ليثبت كرسيه.

كما يتفنن الصهاينة فى إشعال الخصومات الحاقدة بين كل القوى لتتصارع، وجعل السلطة هدفا مقدسا تتنافس كل القوى للوصول إليه، ويشعلون نار الحرب بين الدول بل داخل كل دولة، كما أوجدوا التنافر بين مصالح الأمم المادية والقومية، وأشعلوا نار النعرات الدينية والعنصرية فى المجتمعات، وخططوا من أجل إن تكون مقاليد القوى فى أيديهم ويتم السيطرة على جميع الوظائف وتكون السياسة بأيدى رعاياهم، وبذلك تضمحل القوى وتسقط الحكومات وتقوم حكومتهم العالمية على أنقاض هذه الحكومات.

وللصهيونية العديد من المنظمات العالمية منها ما يعمل فى الخفاء مثل الماسونية ومنها ما هو معلن مثل الروتارى.

الماسونية والروتارى:

الماسونية هى منظمة سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، معظم أعضائها من الشخصيات المرموقة فى العالم، يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام.

ويتم إحاطة الشخص الذي يقع فى حبالهم بالشباك من كل جانب لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون وهو ينفذ صاغرا كل أوامرهم، ويشترط فى الشخص الذي ينضم إليهم التجرد من كل رابط دينى أو أخلاقى أو وطنى وجعل ولاءه خالصا للماسونية، وإذا تململ أو عارض فى شئ تدبر له فضيحة كبرى، وقد يكون مصيره القتل، وكل شخص استفادوا منه ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة.

وتقوم الماسونية بتنفيذ كل أهداف الصهيونية سابقة الذكر وبنفس أساليبها، أما الروتارى فهو الواجهة الجديدة العلنية للماسونية والتى تسير على نفس خطاها.

دور المنـاهج فيمـا يخص بعض القـوى المـؤثرة فى العلاقـات الدوليـة وأساليبها:

يتضح من طبيعة القوى المؤثرة فى العلاقات الدولية وأسـاليبها المختلفـة اعتمادها على مسلمة أساسـية مفادهـا " إن احتلال العقـل يسـهل احتلال الأرض " لذلك كان الطريق إلى غزو العالم الإسلامى وإخضاعه هو الغـزو الفكرى، بتغيير فكر المسلمين والتشكيك فى عقيـدتهم وشـريعتهم، وكـل ما له صلة بالإسلام حضارة وثقافة، ولاشك إن الغزو الفكـرى أعمـق أثـرا وأشد فتكا فى حيـاة الأمـة من الغـزو المسـلح، لأنـه يتسـلل إلى عقولهـا وقلوب أبنائها، ويمضى بين الناس فى صمت ونعومـة وخفـاء، ممـا يجعـل الناس يتقبلون كل جديد تدريجيا ولو خالف قيمهم وعقائدهم وأفكارهم.

ومن المسلمة التى تقول بأن الحجـة لا تقرعهـا إلى الحجـة، فـإن ا لغـزو الفكـرى لا يقاومـه إلا الفكـر الناضـج والعقـل المسـتنير والقلب المملـوء بالإيمان، وهنا يكمن دور مناهجنا التربوية فى تحقيق ذلك عن طريق:

1- تبصير أبناء الأمة بطبيعـة القـوى المعاديـة للأمـة من الصـليبية الغربيـة والصـهيونية العالميـة: نشـأتها، وأهـدافها، وأفكارهـا، ومعتقـداتها، ومـدى انتشارها ونفوذها، وأساليبها المختلفة من العلمانية، والتغريب، والتبشـير، والاستشراق، والمؤسسات الصهيونية من ماسونية وروتارى.
2- تنقية مناهجنا مما شابها من الغزو الفكـري الـذي يعظم ثقافـة الغـرب وما هو عليه من عادات وتقاليد ويحط من شأن ثقافتنا وقيمنا.
3- تربية أبناء الأمـة على الاعـتزاز بحضـاراتهم وأنفسـهم ومقـدرتهم على الإسهام فى حل مشاكل العالم بالمنهج الإسلامى وعدم الاعتزاز بما عليه الغرب من تقدم مادى دون سند روحى.
4- الاهتمام بلغتنا العربية بأن يكون لها الدور الأكبر فى مناهجنا التعليمية، وأن تكون هى وسيلة تعلم كـل فـروع العلـوم الأخـرى من طب وهندسـة وصـيدلة وحاسـب آلى .... الخ، لأن هـذه اللغـة هى الـتى سـتحافظ على هويتنا وثقافتنا وتوقف التأثيرات السلبية للغزو الثقافى فى عصر العولمة، كمـا أنـه يجب الاهتمـام بتطـوير اللغـة العربيـة وطريقـة تعلمهـا لأبنائهـا ولغيرهم، وتذليل صعوبات تعلمها مع المعرفـة الحديثـة من خلال التـأليف بهـا والترجمـة لهـا، وتقليـل غربتهـا عن المنـاخ العلمى من خلال دخولهـا التدريجى إلى قاعات الدروس ومعامل البحوث وإشاعتها فى لغـة الإعلام المـرئى والمسـموع والمقـروء وفى المـؤتمرات والمحافـل المحليـة والدولية.

5- إبراز الدور الإيجابى للحضارة الإسلامية وفضلها على البشرية عبر العصور المختلفة فى كل فروع المعرفة المختلفة التى كانت فيها أوربا تغط فى تخلف عميق فى العصور الوسطى، وكيف حافظت الحضارة الإسلامية على التراث العالمى للبشرية فى شتى العلوم، وكيف طورتها وأبدعت فيها خدمة للبشرية قاطبة.
6- تنقية التاريخ الإسلامى مما ألصقه به الغرب من افتراءات وإعادة كتابته على أصوله.
7- الاهتمام فى مناهج التربية بالجوانب الإيمانية والخلقية، وترسيخها فى نفوس أبناء الأمة لأنها الصمام الذي يعصمهم من سلبيات عمليات الغزو الثقافى والانحلال الأخلاقى الوارد لنا من الغرب.
8- تبصير أبناء الأمة بمخاطر الفكر العلمانى على الأمة وأبنائها، وعلى العالم أجمع والتأكيد على شمولية الإسلام وإنسانيته فى مقابل التأكيد على أزمة الحضارة الغربية بسبب الإفراط فى المادة.
9- أن تمنح كل الطاقات الممكنة لإبراز " إسلامية المعرفة " فى مجالات توجيه العلوم الطبيعية وإعادة بناء العلوم الاجتماعية والإنسانية، أى إعادة صياغة العلوم وتوجيه أنساق الحضارات العالمية بأسلوب غاية فى التحيد، يتلخص فى تحويل العلوم الطبيعية من علوم جزئية مفككة، كما هو عليه حالها اليوم إلى علوم كونية وتركيبية تعنى بالظاهرة الطبيعية والإنسانية فى مجالها الكونى كله والكشف عن ارتباطها بالله تعالى، ولا تتوقف عند ما تكشف عنه مناهج وأدوات ووسائل البحث الموضوعى أو الموضعى المحدد.
10- تبصير أبناء الأمة بالشبهات والطعون المفتراة من جانب المستشرقين لتحطيم عقيدة العالم الإسلامى والقضاء على شخصيته الحضارية التاريخية، وإعداد الردود عليها من جانب المتخصصين، وتسليح أبناء الأمة بهذه الردود، حتى لا يقعوا فريسة لهذه الشبهات، كما تكون عندهم القدرة على محاورة الغير وإقناعهم للدفاع عن أمتهم بالفكر والحجة الدامغة.

العلاقات الدولية بين الأمة الإسلامية وغيرها من دول العلام من المنظور الإسلامى:

علاقة المسلمين بغيرهم علاقة تعارف وتعاون وبر وعدل) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إن اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ((الحجرات: 13)،) لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ

الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ إن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إن اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ([الممتحنة: 8]

إن فى روح الإسلام من السماحة الإنسانية ما لا يملك منصف إن ينكره أو يراوغ فيه، وهي سماحة مبذولة للمجموعة البشرية كلها لا لجنس فيها، ولا لأتباع عقدية معينة، إنما هى للإنسان بوصفه إنسانا، وهي روح تمكن له من إقرار السلام فى الأرض، ومن تأليف الأجناس والألوان ومن إشاعة السماحة والود والتراحم بين بنى البشر.

إن السلام مبدأ من المبادئ التى عمق الإسلام جذورها فى نفوس المسلمين، فالإسلام يوجب العدل ويحرم الظلم ويجعل من تعاليمه السامية وقيمه الرفيعة من المودة والرحمة والتعاون، والإيثار والتضحية وإنكار الذات ما يلطف الحياة ويعطف القلوب ويؤاخى بين الإنسان وأخيه الإنسان، فقد أرسل الله رسوله برسالة الإسلام رحمة لكل البشرية)وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ([الانبياء: 107]

ولكى يتحقق هذا السلام لكل البشرية فكان لزاما على الأمة الإسلامية القيام بما يلى:

1 - الدعوة إلى الإسلام:

قيام العالم الإسلامى بواجبه الدعوى لكل البشرية، فلزاما عليه إيصال هذه الدعوة واضحة نقية إلى جميع غير المسلمين فى الأرض، دولا كانوا أم شعوبا وقبائل أو حتى أفرادا) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ [آل عمران: 110]) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ([آل عمران: 104]

وابتداء يتعين علينا القيام بالدعوة وحمل لوائها إلى غير المسلمين باستخدام أساليب السلم، بالقول اللين والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن، والصبر على الأذى، والصفح والعفو، والإعراض والمهادنة، لأنه من غير الجائز شرعا ولا من المتصور منطقا وعقلا إن يتم تبليغ الدعوة الإسلامية وتبصير غير المسلمين بها فى جو من العداء والقتال، كما أنه لا إكراه لأحد على اعتناق الإسلام أو غيره) لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ([البقرة: 256]، ") وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ

مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ([يونس: 99]

والقيام بالدعوة ضرورة لاستقرار السلام العالمى حيث أنها تحول غير المسلمين إلى مسلمين، وبذلك يكونون جزءا من الأمة الإسلامية ومن هنا تسود المحبة وتطبيق شرع الله بينهم، أما الذين لم يتحولوا إلى الإسلام فإن الدعوة تبين لهم أننا لسنا أعداء لهم ولكننا نريد لهم الخير الذي شرعه الله لنا ولهم تحت ظلال الإسلام حتى وإن لم يؤمنوا بالإسلام، فالإسلام فيه العدل والمساواة للجميع بغض النظر عن انتماءاتهم أو ألوانهم أو عقائدهم.

2 – إعداد القوة:

ولتحقيق السلام العالمى واستمرار الدعوة يتحتم على الأمة الإسلامية إن تكون من القوة بما يؤهلها للقيام بالدعوة ويهيئ لها الجو الملائم لنشرها، ويكفل حمايتها ضد أى اعتداء) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ([الأنفال: 60]

فالأمة الإسلامية مطالبة بأن تعد من أسباب القوة العسكرية بكل أشكالها والقوى الفكرية والعلمية والاقتصادية ما يجعلها مهابة الجانب مسموعة الكلمة، قوة تحمى ولا تبطش، تعدل ولا تظلم، تبنى ولا تهدم، فهى الرادع لكل من سولت نفسه الاعتداء على الأمة، وبذلك يتحقق السلام بدون حروب.

3 – اللجوء إلى الحرب:

على الأمة الإسلامية ألا تلجأ إلى الحرب إلا فى حالتين:

أ- حالة الدفاع عن النفس، والعرض، والمال، والوطن) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إن اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ([البقرة: 190]، ") وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ([البقرة: 246].

ب- حالة الدفاع عن الدعوة إلى الله إذا وقف أحد فى سبيلها بتعذيب من آمن بها أو بصد من أراد الدخول فيها، أو يمنع الداعى من تبليغها) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ([البقرة: 193]،ـ)وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً([النساء: 75]

إن الجهاد شأنه شأن السلم له أهميته فى نطاق الدعوة الإسلامية وهو يشكل ركنا مهما وأساسيا فى الشريعة الإسلامية والجهاد قائم إلى يوم القيامة لا ينكره إلا كافر إذ يقول رسول الله (ﷺ): (الجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى إن يقاتل آخر أمتى الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل) (سنن أبى داود)

4 – عدم موالاة الأعداء:

على الأمة الإسلامية ألا توالى الدول التى تظل على عدائها لها، وذلك بعدم إظهار المودة والمحبة للأعداء، أو الركون إليهم أو الاغترار بقوتهم وشوكتهم، وعدم طلب العون والنصرة منهم، أو مخالفتهم ومظاهرتهم على المسلمين وعدم مداراتهم أو مجاملتهم على حساب الدين، وعدم اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين وتمكينهم بذلك من الاطلاع على أسرار المسلمين وتتبع عوراتهم.

5 – نصرة المسلمين على الأعداء:

فيجب على الدول المسلمة إن تقف صفا واحدا لتحرير بلاد المسلمين من كافة أشكال الاحتلال والسيطرة، ودفع أى عدوان قد يقع على أحدها

من قوى خارجية، والدفاع عن المسلمين المظلومين والمضطهدين فى كافة أنحاء العالم، والعمل بشتى السبل على ضمان تمتعهم بالحريات والحقوق الفردية والجماعية التى تكفلها لهم الشريعة الإسلامية.

دور المناهج فيما يخص العلاقات الدولية بين الأمة الإسلامية وغيرها من دول العالم

1- بيان عظمة أمة الإسلام على مر التاريخ وكيف انتشر العدل والسلام وزال ظلم الجبابرة والطغاة على البشرية، وساد الرخاء وتقدمت الحضارة فى ظل دولة الإسلام التى سادت شرقا وغربا، وبيان سماحة الإسلام مع كافة الشعوب والأمم، ومقارنة ذلك بظلم الدول الاستعمارية وبطشها وتنكيلها بالبشرية على مر التاريخ وانتهاكها لكل حقوق الإنسان والإبادة الجماعية للبشر بالآلاف بل بالملايين حتى فى ظل ما يسمونه بالشرعية الدولية كالذى حدث لمسلمى البوسنة والهرسك وتحت راية الأمم المتحدة وبمساعدة قواتها.
2- إنشاء أقسام متخصصة بالجامعات تقوم بدراسة ما يعانيه الغرب من مشكلات اجتماعية وأخلاقية وفكرية وتقديم الحلول لها، انطلاقا من منهجية القرآن العظيم ومعرفته، ومنهج الرسول (ﷺ) فى تطبيقها ومن ثم تكون هى المدخل إلى عملية الدعوة الإسلامية للغرب.
3- تسليح أبناء الأمة بأدوات فكرية تواكب متغيرات العالم، مما يجعلها جزءا من حاضره وقضاياه، وفتح قنوات اتصال وتفاعل إيجابى مع المجتمعات الأخرى، دون إن نفرض أنفسنا عليهم قسرا أو عنوة، وتأسيس مبادئ دعويه تقوم على الإقناع والمجادلة بالتى هى أحسن، وبتأسيس قاعدة رفض الإكراه فى الدين والعقيدة.
4- العمل على إن تسهم المناهج فى تزويد الأمة بكل المتخصصين والمبدعين المخلصين لأمتهم وعقيدتهم فى كل المجالات بما يحقق للأمة قوتها العسكرية والاقتصادية والفكرية والإعلامية والدعوية حتى تتبوء مقعدها المنوط بها لقيادة البشرية بمنهج الله لتحقيق السلام العالمى المنشود لكل البشرية.
5- بث روح الجهاد فى أبناء الأمة لبذل النفس والمال والجهد والوقت فى سبيل رفع راية الأمة الإسلامية التى أعزها الله بشرف الدعوة إلى الله، الجهاد بمعناه الشامل، بالنفس والكلمة والقلم والفكر، جهادا يدفع الأعداء وينشر العدل والسلام فى أنحاء العالم.
6- تربية أبناء الأمة الإسلامية على الولاء لله ثم الأمة، وعدم موالاة الأعداء والانخراط فى مؤسساتهم التى تنخر فى عظام الأمة.

تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفصل السابع

الأساس السادس

طبيعة الكون

الفصل السابع

الأساس السادس: طبيعة الكون

الكون هو كل ما خلقه الله، وهو آية الله الكبرى، ومعرض قدرته المعجزة المبهرة، أراده الله فكان بمشيئته.وكل شئ فيه خاضع لإرادة الله وتدبيره ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ إن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(40) ﴾. [النحل: 40]

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: 83]

والكون قسمان: كون محسوس (عالم الشهادة)، كون غير محسوس (عَالِمُ الْغَيْبِ) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22]

الكون المحسوس (عالم الشهادة) أو عالم المادة:

كالشمس والقمر والسماء والأرض والنجوم والكواكب ﴿ إن رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾.[الأعراف: 54]

كما يشمل ما على الأرض من جبال وأنهار ومياه كما مهد الله الأرض للإنسان وجعلها صالحة لمعيشته﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(30)أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) [النازعات: 30-32]

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا.﴾[النبأ: 6-7]

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: 26-27]

ويشمل على نباتات وأشجار شتى ﴿ فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا* وَعِنَبًا وَقَضْبًا *

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا* وَحَدَائِقَ غُلْبًا* وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ [عبس: 24-32]

(هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ(10)يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ. [النحل: 9- 11]

كما يشمل هذا الكون البحار وما بها من كائنات لا تحصى ولا تعد وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [النحل: 41].

ويشمل هذا الكون كل الدواب التي تدب على سطح الأرض على اختلاف أنواعها: من طيور، وحيوانات، وحشرات، وكائنات دقيقة منها ما نعلمه ومنها مالا نعلمه. وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُون* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إن رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ [النحل: 5-8]

كما يشمل أيضا ما في باطن الأرض من معادن وصخور وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ [النحل: 13]

فكل ما يمكن إدراكه بالحواس البشرية يشكل هذا الكون وإن كانت تتباين من حيث أحجامها الضخمة كالسماوات والأجرام السماوية والنجوم إلى مالا يمكن رؤيته إلا بأدق الأجهزة الالكترونية المكبرة، بل إن هناك ما لم يستطع الإنسان رؤيته حتى الآن بهذه الأجهزة كما إن هناك ما لم يدركه الإنسان بحواسه لبعده الكبير عنه رغم إن كل هذه الأشياء مادية فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لا تُبْصِرُونَ([الحاقة: 38-39]

وهذا الكون من الاتساع والضخامة الهائلة بما لا يتصوره عقل الإنسان، فالمسافة بين الشمس والأرض تقدر بنحو ثلاثة وتسعين مليونا من الأميال، وهذه المسافة على بعدها ليست شيئا يذكر حين تقاس بالمسافة بين الشمس وأقرب نجم لها، فهى تقدر بنحو أربع سنوات ضوئية، وسرعة الضوء تقدر بستة وثمانين ومائة ألف من الأميال فى الثانية الواحدة. ورغم هذا الاتساع الهائل إلا إن هذا الكون فى اتساع مستمر)

وَالسَّـــــــــمَاءَ بَنَيْنَاهَـــــــــا بِأَيْـــــــــدٍ وَإِنَّا لَمُوسِـــــــــعُونَ ([الذاريات: 47]

ورغم اتساع هـذا الكـون الضـخم الهائـل واسـتمراره فى الاتسـاع وتعـدد عناصره الـتى لا تحصـى ولا تعـد، فإنـه يعمـل فى نظـام متكامـل متنـاغم متناسق عجيب وفق قوانين الخالق عـز وجـل، فمـا نشـاهده على سـبيل المثال فى حركة الشمس والقمر يعبر عنها القرآن الكريم أفضل تعبـير) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِـكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيـزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَـرَ قَـدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا إن تُـدْرِكَ الْقَمَـرَ * وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ([يس: 38 – 40]

لقد سـخر اللـه هـذا الكـون على ضـخامته وتعـدد مكوناتـه، للإنسـان هـذا الكائن الصغير على الرغم من ضعف قوته، فمن السـماء إلى الأرض ومـا بينهما كلها مسخرة للإنسان) اللَّهُ الَّذِي خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْـزَلَ مِنَ السَّـمَاءِ مَـاءً فَـأَخْرَجَ بِـهِ مِنَ الثَّمَـرَاتِ رِزْقـاً لَكُمْ وَسَـخَّرَ لَكُمُ الْفُلْـكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار * وَآتَاكُمْ مِنْ كُـلِّ مَـا سَـأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُـدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إن الْأِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ([إبراهيم: 32 – 34]

دور المناهج نحو الكون المحسوس:

1- تعريف التلاميذ إن الله قد سخر هذا الكون لخدمة الإنسـان، خصوصـا الأرض فقد جعلها مقرا صالحا لنشأته بجوها وتركيبها وحجمها وبعـدها عن الشمس والقمـر، ودورتهـا حـول الشـمس وميلهـا على محورهـا وسـرعة دورتها إلى آخره. هذه الموافقات الـتي تسـمح بحيـاة هـذا الجنس عليهـا، وأودع هذه الأرض من الأقوات والأرزاق ومن القوى والطاقات مـا يسـمح بنشـأة هـذا الجنس وحياتـه، وبنمـو هـذه الحيـاة ورقيهـا معـا. وجعـل هـذا الجنس سيد مخلوقات هذه الأرض قادرا على تطويرهـا واسـتخدامها، بمـا أودعـه اللـه من خصـائص واسـتعدادات للتعـرف إلى بعض نـواميس هـذا الكون وتسخيرها في حاجته.

فالإنسان يعيش في كون مأنوس صديق، وفى رعاية قوة حكيمـة مـدبرة، يعيش مطمئن القلب، مستريح النفس، ثابت الخطـو، ينهض بالخلافـة عن الله في الأرض في اطمئنان الواثق بأنه معانُ على الخلافة، ويتعامـل مـع الكـون بـروح المـودة والصـداقة، ويشـكر اللـه كلمـا اهتـدى إلى سـر من

أسرار الوجود، وكلما تعرف على قانون من قوانينه التي تعينه في خلافته، وتيسر له قدرا جديرا من الرقى والراحة والمتاع.

2- أن يدرك التلميذ إن الإنسان سيد هذه الأرض، ومن أجله خلق كل شئ فيها، فهو إذن أعز وأكرم وأغلى من كل شئ مادي، ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعا، ولا يجوز إذن إن يستعبد أو يستذل لقاء توفير قيمة مادية، أو شئ مادي ولا يجوز إن يُعتدى على أي مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة.
3- تدريب التلاميذ وتعويدهم على التفكر فى هذا الكون المحسوس، الذي هو بمثابة كتاب الله المفتوح، واكتشاف أسراره العلمية وكنوزه المادية.
4- تدريب التلاميذ على الاستفادة بما فى القرآن الكريم من آيات قرآنية فى الكشف عن أسرار الكون.
5- تعريف التلاميذ بطبيعة هذا الكون المادي وخصائصه وعناصره وفوائد هذه العناصر للإنسان، سواء في السماء من كواكب ونجوم، كأن تعرفهم عدد السنين والحساب، والطاقة التي تمدنا بها الشمس، وما ينزل من السماء من ماء، وما في الأرض من جبال وأنهار ونباتات وحيوانات والبحار والمعادن، وما إلى ذلك - وذلك عن طريق المقررات الدراسية، والزيارات الميدانية واستخدام بعض الوسائل التعليمية من أفلام وبرامج التليفزيون والنماذج والمجسمات.
6- تعريف التلاميذ بالوسائل والطرق المختلفة، للاستفادة من كل المصادر الطبيعية، وكيفية توظيفها لخدمة الإنسان، وما يستخدم من وسائل تكنولوجية حديثة، للتعرف والبحث عن هذه المصادر، وكالاستشعار من بعد باستخدام الأقمار الصناعية والطرق الحديثة للاستفادة من المياه في الزراعة كالتنقيط والرش المحوري.
7- تعريف الإنسان ببعض عناصر الكون التي قد تصيب الإنسان بالضرر وكيفية الوقاية منها كالأعاصير والبراكين والزلازل وبعض الكائنات الحية كالحيوانات المفترسة والجراثيم وكيفية الوقاية منها.
8- دراسة التلاميذ بيئة الأقاليم الجغرافية المختلفة وخصائصها وكيفية التعايش معها مثل إقليم البحر الأبيض المتوسط والمناطق الاستوائية ومناطق القطب المتجمد الشمالي والمصادر الطبيعية بكل منها.
9- إكساب التلاميذ المهارات الخاصة بالتعامل مع ما يحيط بهم من الطبيعة، مثل التعامل مع الطقس وحماية أنفسهم من مخاطر الكائنات

والجراثيم ومهارات الاستفادة من هذه الطبيعة واستغلال ما بها من فوائد للإنسان من زراعة وصناعة وبناء وغيرها.

10- تكوين اتجاهات إيجابية لدى التلاميذ للمحافظة على الطبيعة وعدم إفسادها فقد خلق الله الطبيعة للإنسان وهي خادمة له، فيجب المحافظة عليها بعدم تلويثها بالمخلفات وعدم إفساد الهواء بالغازات السامة وذلك بغرس الوعي عند التلاميذ من خلال دراستهم ومن خلال المعسكرات والزيارات الميدانية والمشاركة في نظافة الحي وردم البرك وتشجير الطرقات ومقاومة الحشرات الضارة.

11- إرشاد التلاميذ إلى إن تسخير الكون واكتشاف أسراره إنما هو لخدمة الإنسانية عامة ونشر الخير للجميع، المؤمنين وغير المؤمنين.

12- تبصير التلاميذ بما هو محرم عليهم من عناصر هذا الكون لما يسببه لهم من ضرر، قد لا ندركه مثل أكل الميتة والدم ولحم الخنزير والخمور والمخدرات ....

الكون غير المحسوس (عالم الغيب)

وسمى عالم الغيب لأنه مغيب عن حواس الإنسان ولا يستطيع إدراكه فهو عالم لا يدخل في حدود الكون المادي، الذي يمكن إن ندرك مكوناته بالحواس ومن هذا العالم: الملائكة والجن والروح والجنة والنار. والملأ الأعلى وكل ما أنبأنا الله عن وجوده ولكن لا نستطيع إدراكه بحواسنا وعقولنا.

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: 3]

فنحن نؤمن بوجوده وتأثيره في حياتنا بناء على أخبار الله لنا به. فعلى الرغم من إن الروح من مكونات الإنسان إلا أنه لا يدرك كنهها ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.﴾[الإسراء: 85]

وهناك الملائكة على اختلاف أنواعها ووظائفها المتعددة ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: 1]

منهم حملة العرش ومنهم خزنه جهنم ومنهم حفظة للإنسان وفى خدمته بأمر الله كما أوردنا من قبل، ومنهم من في الأرض ومنهم من في السماوات، والكل لا يعصون الله ما أمرهم، جبلوا على الطاعة، لا اختيار لهم، يسبحون ويستغفرون ويعبدون الله لا يسأمون من عبادته.

ومن عالم الغيب: الجن، وقد خلقوا من النار ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.﴾ [الأعراف: 12].

منهم المسلمون ومنهم الكافرون﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا.﴾ [الجن: 14-15].

ومنهم الشياطين الذين يزينون للناس الأعمال الضارة، والمعاصي المهلكة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.[الكهف: 50]

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيم * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17]

فهم أعداء للإنسان إلا إن تقوم الساعة ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. ﴾[البقرة: 36]

ومن عالم الغيب، الملأ الأعلى، ومن عوالم الملأ الأعلى سدرة المنتهى، والعرش والكرسي، واللوح المحفوظ، والبيت المعمور...وغيرها مما لا يعلمه إلا الله﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: 69].

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [النجم: 1- 13]

ومن عالم الغيب التى نبأنا الله بها وأمرنا إن نعمل من أجلها " الجنة " وما بها من نعيم لا يحصى ولا يعد، وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أعدت للذين آمنوا بالله وكتبه ورسله، وساروا على هدى الله ﴿ إِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ [الكهف: 30 -31]، ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ *)أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ* ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ* مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ* وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ* جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً * إِلَّا قِيلاً سَلاماً سَلاماً* وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ* فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ* وَظِلٍّ مَمْدُودٍ* وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ* وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ* وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ* إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ

إِنْشَـــاء*)فَجَعَلْنَـــاهُنَّ أَبْكَـــاراً* عُرُبـــاً أَتْرَابـــاً * لِأَصْـــحَابِ الْيَمِينِ [الواقعة: 10– 38]

ومن عالم الغيب أيضا النار – التى أعدت للكافرين – وما بها من أصناف العذاب وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً [الكهف: 29]

(هذه جهنم التى كنتم توعدون إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون، اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) [يس: 63 – 65]

دور المناهج نحو عالم الغيب:

1- تعليم التلاميذ الإيمان بهذه الغيبيات لأنها جزء من إيمان المسلم الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [البقرة: 1-3]
2- تعريف التلاميذ بهذه الغيبيات كما وردت بالقرآن الكريم والسنة المطهرة بدون زيادة أو نقصان، وليس للإنسان الاجتهاد فيها أو البحث عنها لأنها تخرج عن نطاق قدرة الإنسان لإدراكها بحواسه وعقله.
3- تعليم الإنسان كيفية التعامل مع بعض هذه الغيبيات كشياطين الجن التي توسوس للإنسان وتجرى منه مجرى الدم، والتي تقعد للإنسان بالمرصاد من أجل غوايته يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [البقرة: 168-169]

فيجب على الإنسان إن يتخذه عدوا له ويتجنب وسوسته ويستعيذ بالله منه.

4- أن تتضمن مناهج الدراسة سواء فى التربية الدينية أو فى مواصفات اللغة العربية الآيات القرآنية التى تصف الجنة ونعيمها، والنار وسعيرها، حتى يتربى التلاميذ من صغرهم على اتقاء النار والعمل للفوز بالجنة.

الفصل الثالث

الطرق والوسائل والأنشطة التعليمية

الفصل الثالث

الطرق والوسائل والأنشطة التعليمية

تناولنا من قبل عنصرين من عناصر المنهج، وهما الأهداف، المحتوى وقد بينــا إن هنــاك تفــاعلا بين عناصــر المنهج بعضــها البعض، فالأهــداف الموضوعة تؤثر على اختيار المادة الدراسية، وهذان بدورهما يؤثران على اختيار طريقة التدريس والوسائل والأنشطة التعليمية المناسبة وذلـك لأن كلاً من المحتوى، وطرق التدريس، والوسائل، والأنشـطة التعليميـة تعتـبر وسائل لتحقيق الأهداف الموضوعة.

وقد يتصور البعض إن وجود المحتوى، وصحة تنظيمه يعني صلاحية المنهج للتنفيذ، فقد غالى البعض في هذا الأمر مما ترتب عليه نقـل منـاهج بعض الدول المتقدمة بحجة نقل هذا التقـدم إلي المجتمـع، إلا إن هـذا الأمـر لا يمكن قبوله أو تصـوره من الناحيـة العلميـة، فمـع كـون إن هـذه المنـاهج المنقولـة تمثـل ثقافـات وأفكـاراً مغـايرة لثقافتنـا، فهي مغـايرة أيضـا للإمكانيـات والكفـاءات المهنيـة اللازمـة لتنـاول المنهج على المسـتوى التنفيـذي ممـا يـؤدي إلى عـدم تحقيـق تلـك المنـاهج المنقولـة للأهـداف المرجوة من ورائهـا لـذلك فـإن المنهج الجيـد من حيث أهدافـه ومحتـواه ومستواه وتنظيمه لا يعني شيئا بدون تنفيذه بالطريقة والوسيلة والنشاط التعليمي المناسب.

ويعتبر التدريس موقف يتميز بالتفاعل بين المعلم والطـالب حيث يسـعى المعلم خلال هذا الموقف في ظل توافر شروط معينـة في ضـوء أهـداف تعليميـة محـددة إلى مسـاعدة الطـالب على اكتسـاب بعض المعلومـات والمهارات والقيم والاتجاهات، وينظر إلى طريقة التدريس على أنهـا تلـك الإجراءات والأفعال المرتبـة الـتي يقـوم بهـا المعلم بهـدف تعليم الطلاب موضوع دارسي معين أو جزء من موضوع دراسي أو معلومة معينة سـعيا من خلال ذلك إلى تحقيق أهداف تعليمية معينة.

وحيث إنه توجد العديـد من الطـرق والوسـائل والأنشـطة التعليميـة الـتي تجعل الاختيار من بينها أمراً يحتاج إلي كفاءة عالية من جانب المعلم حتى يختار منها ما يناسب الأهداف المرجوة والمحتوى المحدد.ولقد لوحـظ إن الكثير من المعلمين يتسـاءلون عن أفضـل الطـرق والوسـائل والأنشـطة لدرس ما، وقد يذهب البعض مؤكدا إن طريقة أو وسيلة أو نشاط مـا هـو

أفضل ما يكون لتدريس مادة من المواد الدراسية، وهذا الرأي القاطع خاطئ في أساسه، لأن إذا صلحت طريقة أو وسيلة أو نشاط لتدريس درس معين، فقد تكون هي نفسها أسوأ طريقة أو وسيلة أو نشاط لتدريس درس آخر. وهذا أمر يدعونا إلى محاولة تحديد الشروط الواجب توافرها في الطريقة أو الوسيلة أو النشاط المختار لتدريس درس ما.

الشروط الواجب توافرها في الطريقة والوسيلة والنشاط التعليمي

1- ملاءمة الطريقة والوسيلة والنشاط للهدف المحدد.

سبق إن ذكرنا إن هناك تفاعلا متبادلا بين عناصر المنهج وبعضها وأن طريقة التدريس والوسائل والأنشطة التعليمية جميعها هي وسائل لتحقيق الهدف المحدد، لذلك فإن تحديد الهدف بوضوح يجعل المعلم قادرا على الاختيار المناسب للطريقة والوسيلة والنشاط بما يحقق هذه الأهداف ومن جهة أخرى فإن أهداف الدرس مشتقة أصلا من أهداف المنهج وتحتوي على مستوى الأداء المطلوب إن يصل إليه التلاميذ، وكل ذلك يعتبر من الأمور الهامة التي تساعد على تحديد الطريقة أو الوسيلة أو النشاط المناسب. فإذا كان الهدف من تدريس مفهوم ما هو إكساب التلاميذ القدرة على الاستقراء، فمن المنطقي إن يستخدم المعلم الطريقة الاستقرائية في التدريس؛ لأن هذه الطريقة هي أنسب الطرق لإكساب التلاميذ هذه القدرة، كما قد يكلف المعلم التلاميذ على القيام ببعض الأنشطة التي تحقق هذا الهدف كإجراء بعض التجارب، وملاحظة النتائج في كل حالة أو يكلفهم بحل أو عمل بعض التدريبات التي تعتبر أمثلة لهذا المفهوم مما يساعدهم على استقرائه. كما إن هذه الأنشطة قد تحتاج إلى بعض الوسائل المعينة لإجراء التجارب في المعمل أو تحتاج إلى بعض الأدوات الهندسية لعمليات الرسم، أو تزويد التلاميذ ببعض الرسومات أو ما إلى ذلك من أجل تحقيق النشاط. وهذا يوضح مدى الارتباط بين الأهداف والطرق والوسائل والأنشطة التعليمية.

2- ملاءمة الطريقة والوسيلة والنشاط للمحتوى:

إذا كانت ملاءمة الطريقة والوسيلة والنشاط للهدف المحدد شرطا أساسيا يجب توافره، فإنه من المنطقي أيضا ملاءمة الطريقة والوسيلة والنشاط للمحتوى بحيث يكون هناك ارتباط وثيق بينهم، وطبيعة المحتوى وأسلوب معالجته وتتابعه تفرض استخدام طريقة أو وسيلة أو نشاط

معين دون غيره. فإذا كان المحتوى ذا طبيعة نظرية فإن الطريقة المناسبة لتدريسه تختلف عما إذا كان المحتوى ذا طبيعة عملية؛ ففي الحالة الأولى تكون الطرق المناسبة هي المحاضرة، والمناقشة، أما في الحالة الثانية فإن طريقة الاستقراء أو الطريقة المعملية أو طريقة العروض العملية تكون أكثر الطرق ملاءمة لطبيعة المحتوى.

وبمثال آخر إذا كان المحتوى عبارة عن مفهوم أو تعميم فإن طريقة تدريس المفهوم تقوم على الاستقراء والتي قد تبدأ بإعطاء التلاميذ أمثلة متنوعة للتوصل إلى المفهوم، أما في حالة التعميم فالوضع يختلف حسب طبيعة التعميم أيضا: هل هو تعميم له برهان؟ ومن ثم تستخدم الطريقة الاستنباطية في تدريسه أم تعميم ليس له برهان؟ وبالتالي يتم استخدام الطريقة الاستقرائية في تدريسه.

وتبعا لاختلاف الطريقة طبقا لطبيعة المحتوى، فإن الوسائل والأنشطة التعليمية ستختلف أيضا بما يتمشى مع الطريقة المناسبة.

3- ملاءمة الطريقة والوسيلة والنشاط لمستويات التلاميذ:

من أهم الشروط التي يجب إن تراعي عند اختيار الطريقة والوسيلة والنشاط المناسب هو مناسبتهم لمرحلة العمر العقلي التي يمر فيها التلاميذ. ففي المراحل الأولى من العمر العقلي يتم استخدام طريقة الاستقراء، والألعاب التعليمية، والوسائل التعليمية المجسمة، والصور وما إلي ذلك بما يناسب الأطفال في هذه المراحل، وعندما يتم النضج العقلي للتلاميذ يتم الانتقال إلي المجردات واستخدام المنطق العقلي. وبذلك يمكن استخدام طريقة الاستنباط. ومن المفيد في هذا الصدد الاستفادة بما توصل إليه بياجيه، حيث قام بتحديد خصائص المراحل العقلية المختلفة بما يساعد على اختيار الطرق والوسائل والأنشطة التعليمية المناسبة لكل مرحلة عقلية.

وما يقال عن إختلاف الطرق والوسائل والأنشطة طبقا لاختلاف المراحل العقلية يقال أيضا باختلافهم طبقا لميول واتجاهات وحاجات التلاميذ بحيث تكون الطرق والوسائل والأنشطة مشبعه ومحققه لها بما يسهم في تحقيق أكبر قدر من فاعلية التلاميذ ونشاطهم ودافعيتهم في عملية التعلم والتعليم.

كما يجب إن تتواءم هذه الطرق والوسائل والأنشطة مع الخبرات السابقة للتلاميذ والمتوافر لديهم من مفاهيم وثيقة الصلة بموضوع الدرس، وخلفياتهم الثقافية بما يسهم في تحقيق الأهداف المرجوة.

4- مدى مشاركة المتعلم:

من الملاحظ إن عملية التدريس ظلت ولا تزال إلي حد كبير تقوم على عرض المعلم لنقاط الدرس وانحصار دور المتعلم على الاستماع، حيث يُعتبر المحتوى الدراسي غاية في حد ذاته، ولذلك يكون المعلم في عجلة لإنهاء المقررات الدراسية الموزعة على أسابيع وشهور السنة الدراسية ولكن من المفروض ألا يكون دور المعلم هو الدور الوحيد الذي يؤدي أثناء العملية التعليمية، بل يجب إن يصبح للتلميذ دور مهم في هذه العملية فلا يجب إن تتم عملية الاتصال في اتجاه واحد (من المدرس إلى التلميذ)، بل يجب إن تأخذ الاتجاهات التالية: من التلميذ إلى المدرس، وبين التلميذ وأقرانه، ومن التلميذ إلي ذاته، حيث لم يعد الاهتمام منصبا على نقل المعرفة، بل يجب إن يكون الاهتمام بالمتعلم وتربيته تربية شاملة في جميع النواحي الفكرية، والإيمانية، والأخلاقية، والجسمية، والنفسية، والاجتماعية.

إن كل تلك النواحي التي تشتمل عليها أهداف المناهج تعني أنه لا سبيل إلى ذلك دون استخدام طرق ووسائل وأنشطة تعليمية يتحمل فيها المتعلم مسئولية أدوار عديدة. مثال ذلك بأن يكلف المعلم التلاميذ بتجميع البيانات وقراءة القصص ونصوص معينة أو دراسة جداول أو إحصائيات أو رسوم بيانية أو تجميع بعض العينات أو القيام بزيارة بعض الأماكن بحيث يتم استخدام كل ذلك كمحور للنقاش وتوجيه الأسئلة داخل الفصل مما يسهم في تنمية تفكير التلاميذ واكتساب القدرة على حل المشكلات وتنمية اتجاهاتهم الإيجابية نحو التعلم واكتساب المهارات العملية وما إلي ذلك.

5- مدى التنوع:

توجد العديد من الطرق والوسائل والأنشطة التعليمية التي يمكن إن نحقق بها هدفاً بعينة، وهذا التنوع يعطي المعلم مجالا واسعاً ومرونة في تنويع تلك الطرق والوسائل والأنشطة بما يجدد نشاط التلاميذ، ويدفع عنهم الملل والسأم، إذ إن المتعلم في حاجة دائما إلى إثارة مواقف أو

مشكلات تجعله أكثر استعدادا لتركيز انتباهه واستثارة دوافعه، فلا يكتفي بأن تكون الطريقة أو الوسيلة أو النشاط ملائمة للهدف والمحتوى ومستوى التلاميذ، لأن تكرار استخدامها وفق نمط واحد أو على وتيرة واحدة يصيب المتعلمين بالملل والخمول. ومن هنا كان التنوع مطلوبا إلي جانب إشاعة روح المرح والتنافس أثناء عملية التعليم والتعلم مما يحدد نشاط المتعلمين بما يسهم في تحقيق الأهداف المرجوة. وهذا يتطلب إن يكون المعلم على دراية كافية بأنواع الطرق والوسائل والأنشطة المختلفة وكذلك الإمكانات المتاحة التي يمكن إن تسهم في هذا التنوع.

طرق التعليم والتعلم

أصبح من المسلم به أنه لا توجد طريقة واحدة تؤدي بالطلاب إلي درجة واحدة من النجاح وأنه لا توجد طريقة يمكن وصفها بأنها الطريقة المثلى التي يجب اتباعها تحت مختلف الظروف والمناسبات داخل الفصل الدراسي، بل أصبح هناك تنوع في الطرق، بما يتمشى مع نوع الهدف وطبيعة المادة الدراسية وخصائص التلاميذ. وفيما يلي عرض موجز لبعض هذه الطرق:

طريقة المحاضرة

تعد طريقة المحاضرة من أقدم الطرق التدريسية، كما أنها الأكثر شيوعا، وتعتبر هذه الطريقة من الطرق التي يغلب فيها استخدام المعلم للجانب اللفظي من سلوكه لتحقيق أهداف الدرس، وفيها تكون عملية الاتصال في معظم الأحيان من المدرس إلى التلميذ الذي يتلقى ما ينقل إليه من معلومات، حيث يكون الغرض الأساسي من طريقة المحاضرة هو تقديم مجموعة من المعلومات التي تشتمل على الأفكار، والحقائق، والمفاهيم والتعميمات؛ لذا فقد وُجه إليها كثير من النقد على أساس إن البعض يؤديها بشكل يقوم على التلقين من جانبه والحفظ والاستظهار من جانب الطلاب، مما يؤدي إلى ضعف الصلة والتفاعل بين الطالب والمعلم، وتنمية روح الإذعان لدى الطلاب وتسريب الملل والروتين إلى نفوسهم، وافتقادها إلى التغذية الراجعة المباشرة وعدم مراعاتها للفروق الفردية وعدم إتاحة الفرصة للطالب للبحث والتطبيق.

وبالرغم من النقد المستمر لهذه الطريقة فإن معظم السلبيات لا ترجع بالضرورة إلى طريقة المحاضرة، وإنما قد ترجع إلي شخصية مستخدميها وإعدادهم الوظيفي والمهني وقدراتهم التعليمية والنظرية والعملية. فمن الممكن إخراج المحاضرة من سياقها التلقيني والخطابي الذي يقوم فقط على قوة اللغة والمعنى وجمال الأسلوب ودقته في إقناع التلاميذ بما استمعوه من معلومات وآراء. وذلك بتطعيم المحاضرة بالعديد من الأساليب لتشويق المستمعين وإقناعهم مثل الاستقراء والاستنتاج والوسائل التعليمية والمناقشة والأسئلة واستخدام المطبوعات والنشرات مما يزيد من جذب انتباه التلاميذ ويدفعهم إلي المشاركة والإيجابية في المحاضرة.

وتمر طريقة المحاضرة بعدة مراحل مرتبة يمكن بيانها كما يلي:

1- مرحلة الإعداد للمحاضرة التي يتم فيها تعيين أهدافها والنقاط الرئيسية لها والأنشطة التي من المتوقع إن يقوم بها التلاميذ والأساليب والوسائل التي تستخدم في المحاضرة.
2- مرحلة التعريف والتقديم للمحاضرة، بمراجعة بعض المعلومات السابقة والتعريف بموضوع المحاضرة وأهميته والهدف من تدريسه وتسجيل بعض العناصر الرئيسية للمحاضرة.
3- مرحلة عرض المحاضرة ويطلق عليها مرحلة جسم المحاضرة ويقوم خلالها المحاضر بعمليات العرض وتعليم الطلاب محتوى المحاضرة من معارف ومفاهيم وتعميمات.ويمكن تبويب العمليات في هذه المرحلة إلى: عمليات تعليمية، وعمليات تنظيمية، وعمليات تفاعلية، وعمليات شخصية.
4- مرحلة الخاتمة حيث يقوم فيها المحاضر بتلخيص أهم النقاط والأفكار التي جاءت بالمحاضرة وقد يطلب المعلم من التلاميذ كتابة بعض التقارير عن موضوع المحاضرة أو تجميع بعض المعلومات عنها أو يزودهم ببعض الأسئلة للإجابة عليها فيما بعد.

طريقة المناقشة

تقوم هذه الطريقة على تبادل الأسئلة والأجوبة بين المعلم وتلاميذه في الفصل فهي لون من الحوار الشفوي بين المدرس والتلميذ. يؤدي في النهاية بالتلميذ إلى التوصل إلى المعلومات والمفاهيم الأساسية.

وهذه الطريقة تتضمن اشتراك التلاميذ في الدرس اشتراكا إيجابيا حيث تجعلهم يشاركون المعلم فيما يعرضه من أفكار وآراء في تدريسه ويبدون الآراء والملاحظات في بعض هذه الأفكار. وتعد المناقشة وسيلة الاتصال الفكري بين المعلم وتلاميذه، وقد يكون الحوار موقفا تعليميا فعالا.. وينتقل هذا الأسلوب بالطلاب من الموقف السلبي إلى الموقف الإيجابي حيث يسهمون مع المعلم في التفكير وإبداء الآراء.

ويمكن للمعلم إتباع الخطوات التالية لاستخدام هذه الطريقة:

1- أن يحدد المعلم الموضوع الذي سوف يناقشه مع الطلاب وعناصر هذا الموضوع وأبعاد كل عنصر.
2- أن يعد المعلم مجموعة من الأسئلة المرتبة التي تعطي إجاباتها معلومات كافية عن كل عنصر من عناصر الموضوع.
3- أن يلقي المعلم هذه الأسئلة بنفس ترتيب إعدادها على الطلاب وينقح إجاباتهم ويبلورها.
4- أن يربط المعلم في نهاية الدرس بين المعلومات الخاصة بكل عنصر من عناصر الموضوع ويضعها في كل له معنى.

الطريقة الاستنباطية (القياسية)

يعتبر الاستنباط أحد أشكال الاستدلال، حيث يبدأ السير من الكل إلي الجزء أومن العموميات إلى الخصوصيات. وتلك الطريقة هي التي يعرض فيها المعلم قاعدة عامة أو نظرية أو قانون ويقوم بشرح المصطلحات والمفاهيم الجديدة الكامنة فيها والعلاقة بينها التي تتمثل في النظرية أو القانون، وثم يعلم الطلاب كيف يطبقون القاعدة العامة أو النظرية أو القانون في الحالات الفردية أو الجزئية أو الخاصة التي تندرج تحت هذه التعميمات عن طريق أمثلة وحالات فردية تنطبق عليها هذه التعميمات، فهي تصلح مثلا لتدريس النظريات والقوانين في الرياضيات والفيزياء والكيمياء وفي تدريس قواعد اللغة بصفة عامة، وأيضا في تعميمات بعض فروع المواد الاجتماعية.

الطريقة الاستقرائية

الاستقراء هو عملية الوصول إلي التعميمات من خلال دراسة عدد كاف من الحالات أو المواقف الفردية واستخراج الخاصية التي تشترك فيها هذه الحالات أو المواقف ثم صياغتها في صورة تعميم أو قاعدة عامة تنطبق على الحالات الفردية السابقة والحالات المشابهة أيضا:

وهناك خطوات يمكن للمعلم إن يتبعها لاستخدام هذه الطريقة:

1- أن يقدم المعلم عددا مناسبا من الحالات الفردية أو المواقف التي تشترك في خاصية أو صفة معينة.
2- أن يساعد المعلم طلابه على اكتشاف هذه الخاصية بتوجيه نظرهم إليها.
3- إن يساعد طلابه علي صياغة عبارة عامة تصف هذه الخاصية وأن توضع في صورة قاعدة أو نظرية حسب الحالة.
4- أن يختبر الطلاب ما توصلوا إليه من قاعدة عامة أو نظرية على مزيد من الحالات الفردية.

وتستخدم هذه الطريقة عندما يكون الهدف المراد الوصول إليه هو تدريب الطلاب على اكتشاف تعميمات أو قاعدة أو نظرية من دراسة عدد من الحالات الفردية.

طريقة حل المشكلات

عندما يكون لدى الفرد هدف واضح يسعى إليه.ولكن يحول بينه وبين هدفه عائق وأن ما لدى الفرد من معلومات متاحة وخبرات سابقة غير كامتين لكي يتخطى بواسطتها هذا العائق وهنا يمكن القول بأن الفرد يواجه موقف مشكل.

وتصلح هذه الطريقة لأي مادة دراسية وذلك لمرونتها وملاءمتها لطبيعة المواد الدراسية المختلفة ويمكن للمعلم إن يستخدم الخطوات التالية لتنفيذ هذه الطريقة: -

1- تقديم المشكلة ومساعدة الطالب على تحديدها بدقة ووضوح.

2- توجيه نظر الطالب إلي البيانات المرتبطة بالمشكلة.
3- توجيه الطالب ليربط بين الهدف المراد الوصول إليه بالمعلومات المتاحة لكي يفترض عدة حلول.
4- مساعدة الطالب على اختيار هذه الحلول واختيار المناسب منها.
5- تقويم كل ما توصل إليه الطالب.

طريقة التعليم بالاكتشاف

يهتم هذا الاتجاه بتدريب الطالب نفسه على أسلوب البحث عن المعرفة من مصادر متنوعة مثل الكتب، والمراجع، والمختبرات، والملاحظات الميدانية والرحلات العلمية وغيرها.

ويقوم المعلم في الطرق التي تنتمي إلى مجموعة الاكتشاف بدور الموجه أو المرشد أثناء عملية التعليم والتعلم بينما يكون الطالب في حالة إيجابية يدرس ويفحص المعلومات المتاحة لديه ويربط بين أجزائها ويدرك ما بينها من علامات محاولا الوصول إلى حل مشكلة معينة أو إلى قاعدة أو تعميم، أو معلومة معينة وذلك تحت إشراف وتوجيه من قبل المعلم تختلف درجته فأحيانا يكون التوجيه جزئيا، وأحيانا أخرى يكاد ينعدم. والطالب هنا يقوم بدور المكتشف الصغير ويشترط في هذه الطريقة إن لا يكن الطالب على علم بما سيصل إليه من معلومات أو قواعد أو تعميمات.

والتعلم عن طريق الاكتشاف له فوائد كثيرة تعود على الطالب، منها أنها تنمى القدرة العقلية الكلية للطالب فيصبح قادرا على التصنيف، وإدراك العلاقات، والتمييز بين المعلومات التي ترتبط أولا ترتبط بالموقف الذي يواجهه، ويكسب الطالب القدرة على استخدام أساليب البحث والاكتشاف، وينقل ذلك إلى مواقف الحياة العملية، ويزيد من قدرته على تذكر المعلومات ودوامها لفترة طويلة على أساس من الفهم والاستيعاب الواعي، وعلاوة على ذلك فإنه يعتبر أسلوبا مشوقا للطالب يحفزه على الاستمرار في التعلم، بخاصة عندما يحصل على الرضا عند وصوله إلى اكتشاف ما.

طريقة العروض العملية

ونقصد بالعروض العملية ذلك النشاط التعليمي الذي يقوم به المعلم أمام الطلاب في المعمل أو المدرج، بقصد توضيح فكرة أو حقيقة أو قانون أو قاعدة أو نظرية أو تطبيقاتها باستخدام بعض الوسائل التعليمية مثل العينات والنماذج والصورة والرسوم والأفلام أو التجارب العملية واللوحات وغيرها من الوسائل والأدوات والأجهزة التعليمية المناسبة لنشاط العروض العملية، هذا إلى جانب الشرح الشفوي، كأن يقوم المعلم بتوضيح عمل القلب والدورة الدموية في جسم الإنسان، أو تركيب أحد الأجهزة الإلكترونية وكيفية عملها، أو تشريح أحد الكائنات الحية، أو تحضير إحدى المركبات الكيميائية.

والواقع إن نشاط العروض العملية متعددة ومتنوع وهو يشمل كل نشاط تعليمي هادف يقوم به المعلم وقد يشارك بعض الطلاب، ولا يعتمد على الإلقاء، والشرح اللفظي ومن أهم خصائص هذا النشاط أنه يعتمد على المشاهدة من جانب الطلاب لما يعرض من أوجه النشاط الذي نستخدم فيه الوسائل والأدوات التعليمية.

وتمر طريقة العروض العملية بمراحل ثلاث هي: مرحلة الإعداد للعرض، ومرحلة العرض، ومرحلة ما بعد العرض.

طريقة التجريب العملي

تقوم هذه الطريقة على إتاحة الفرصة للطلاب لتقويم أنفسهم بفحص الأشياء أو بتفكيكها وتركيبها أو تشغيلها أو إجراء التجارب وغيرها من النشاط العملي، الأمر الذي يؤدي إلى اكتساب الطلاب خبرات مهمة مباشرة وغير منقولة من الآخرين وبذلك يكتسب الطلاب مفاهيم وتعميمات ومهارات حية وواقعية لأنها وليدة استخدام حواسهم بالإضافة إلي اكتساب الاتجاهات والقيم والميول.

ويقوم المعلم في هذه الطريقة بنفس الأدوار التي يقوم بها في حالة طريقة العروض العملية إلا إن الذي يقوم بعملية العمل والفحص والتجريب هم الطلاب أنفسهم كل على حده أو في مجموعات صغيرة يتناوب فيها الطلاب العمل ودور المعلم هنا في هذه الحالة التوجيه والإرشاد والمتابعة.

التعليم البرنامجي

ان التعليم البرنامجي هـو أسـلوب من أساليب التعليم يمكن التلميـذ من تعليم نفسه، وفقا لقدراته وسرعته في التعلم.

ويقوم التعليم البرنامجي على أساس تقسيم المادة التعليميـة إلي أجـزاء صغيرة نسبيا، وترتيبهـا ترتيبـا متسلسـلا، وتقـدمها للمتعلم في خطـوات متتابعة ومتدرجة في الصعوبة ويطلـق على كـل خطـوة "إطـار" ويتطلب كل إطار إجابة معينة، فإذا كانت صحيحة تعزز فوريا وذلك باطلاع التلميـذ على الإجابـة الصحيحة ومقارنتهـا باسـتجابته، وعندئـذ ينتقـل إلي الإطـار الثاني وهكذا. وفي حالة كون الإجابة خطأ، فإن البرنامج يوجه التلميذ إلى ما يمكن عمله أو الاطلاع عليه قبل إن ينتقل للإطار الثاني.

ومن مميزات التعليم البرنامجي أنه يجعل المتعلم نشطا أثناء تعلمه وأنـه يقوم بتعليم نفسه وتقويم تعلمه أولا بأول، ويسير في عمليـه التعلم وفقـا لقدرته وسرعته، ولكن هذا لا يعـني إن التعليم البرنـامجي يمكن إن يحـل محل المعلم في جميع الأحوال، وإنما يمكن اعتبـاره كمسـاعد للمعلم في بعض المواقف.

طريقة التعلم التعاوني

يطلب في هذه الطريقة من التلاميـذ العمـل مـع بعضـهم البعض والحـوار فيما بينهم فيما يتعلق بالمـادة الدراسـية، وأن يعلم بعضـهم بعضـا، وأثنـاء هذا التفاعـل الفعـال تنمـو لـديهم مهـارات شخصـية واجتماعيـة وإيجابيـة ولذلك يرى البعض أنها تحقق هدفين معاً أولهما أهـداف المـادة الدراسـية وثانيهمـا تنميـة مهـارات السـلوك الاجتمـاعي، وليس معـنى ذلـك إن دور المعلم هنـا ليس موجـودا، فـالمعلم هـو العامـل الرئيسـي في نجـاح أيـة عملية تعليمية فعليه يقع عبء نجاح هذه الطريقة فهو قبل تنفيـذها يقـوم بتحديـد الأهـداف التعليميـة المرجـوة وتحديـد حجم مجموعـات العمـل وتكوينهـا وتحديـد أدوار الأفـراد في المجموعـة الواحـدة وإعـداد وتجهـيز الأدوات والخامات اللازمـة للتـدريس ثم يقـوم بوصـف العمـل المطلـوب إنجازه وتحديد السلوك الاجتماعي المطلوب التركيز عليـه وإعـداد بطاقـة لملاحظة كل ذلك. وفي أثناء الدرس يقوم بمراقبـة المجموعـات وتجميـع بيانات عن أداء التلاميذ ويمدهم بالتغذية الراجعة أثناء عملهم، وفي الختام يتم تقويم كل هذا العمل بالمشاركة مع التلاميذ.

النشاط المدرسي

يمثل النشاط المدرسي عنصرا أساسيا في نشاطات التعليم والتعلم المدرسي والذي يعمل بدرجة كبيرة على تحقيق الكثير من الأهداف التعليمية ويقصد بالنشاط المدرسي كل جهد عقلي أو بدني يقوم به التلميذ لإنجاز هدف محدد، ومن هنا يتضح إن أي نشاط يجب إن يكون محققا لهدف يرجى، لذلك فالنشاط المدرسي له مضمون وله خطة يجب السير عليها، كما يجب التأكد من مدى تحقيق التلاميذ لهدف النشاط.

الوظائف الأساسية للنشاط المدرسي:

1- إكساب التلاميذ بعض المعارف وتنمية مهاراتهم المعرفية:

فعند قيام التلميذ بالمشاركة في المواقف التعليمية التي تتطلب نشاطا معينا فإنه يستغل طاقته ومهارته الفكرية كما قد يجري بعض المقارنات أو يعمل على إيجاد علاقات أو تفسيرات أو استنتاجات ... وغير ذلك، حيث إن النشاط يثير الاهتمام ويدفع إلى تساؤلات مما يعد أسلوبا جيدا لتعلم أساليب التفكير المختلفة كما قد يتوصل من خلال ذلك إلى بعض المعارف.

2- تنمية الميول والاتجاهات والقيم:

إن عملية التدريس التقليدية التي لا يزاول فيها التلاميذ النشاط لا تسهم في تنمية الميول والاتجاهات والقيم، بل على العكس من ذلك فهي تحبط الميول وتنمي لدى التلاميذ اتجاهات سلبية نحو التعلم. في حين إن النشاط المدرسي يعد فرصة حقيقية لتنمية جوانب إيجابية للاتجاهات وتعديل الخاطئ منها وتكوين قيم إيجابية لها مغزاها التربوي وتعمل على إكساب التلميذ العادات والأخلاقيات الحميدة.

3- تطبيق ما تم تعلمه نظريا:

فالكثير مما يدرسه المتعلم داخل جدران الفصل الدراسي يكون قليل الأهمية بل والدلالة والمعنى حتى إذا ما قام التلميذ بتطبيقه يزداد التلميذ اقتناعا بما تعلم وترسخ في ذهنه معانيه ودلالاته مما يجعل التعليم ذا معنى ويبتعد عن اللفظية وهذا لا يتأتى إلا باشتراك المتعلم في مواقف لإجراء التجارب أو لتصميم النتائج أو غير ذلك من النشاطات التي تقيم الصلة المباشرة بين الحقائق النظرية وتطبيقاتها العملية.

4- تعلم التلاميذ التخطيط والعمل في فريق:

كثيرا ما يحتاج النشاط المدرسي إلي قيام فريق من التلاميذ بالعمل المشترك لإنجاز العمل بدءا من التخطيط له وتنفيذه وتقويمه ومتابعته والتعاون في مثل هذه النشاطات يكسب التلاميذ مهارات التخطيط والعمل في فريق متعاونين كل حسب قدراته.

تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة
www.alukah.net

5- تنمية مهارات الاتصال وآداب النقاش:

فالتلميذ عند قيامه بالأنشطة التعليمية وتفاعله مع معلمه أو زملائه من التلاميذ يكتسب الكثير من مهارات الاتصال من تحدث واستماع وكتابة وقراءة كما يتعلم آداب الحديث: متى يتحدث وكيف يناقش آراء الآخرين وكيف يختلف معهم في الرأي وكيف يعبر عن رأيه كل ذلك في نظام واحترام للآخرين. وكلها مهارات وآداب تلزم الإنسان في حياته العملية.

اختيار وتنظيم المواقف التعليمية للنشاط:

في ضوء اختيار موضوعات المحتوى وتنظيمها يمكن اختيار المواقف التعليمية للنشاط، حيث إن هذه المواقف تلعب دورا مهما في تحقيق أهداف المنهج؛ وذلك لأن المحتوى قد لا يحقق إلا جانبا من الأهداف، وهي تلك الخاصة بالمعرفة أما باقي الجوانب فيحتاج تحقيقها إلى تصميم مواقف للخبرات والأنشطة التعليمية المناسبة التي تساعد التلاميذ على اكتساب السلوك المتوقع نتيجة قيامهم بهذه الأنشطة، فتحقيق أهداف كتلك التي تتعلق بعمليات التفكير أو اكتساب اتجاهات معينة أو مهارات التعلم المختلفة لا ترتبط مباشرة بالمحتوى بقدر ارتباطها بأنواع معينة من النشاط الذي يعين على اكتساب التلاميذ الخبرات التعليمية في هذه المجالات.

واختيار هذه المواقف لكل فكرة محورية وما تحتويها من مادة يجب إن يكون على أساس إن كل موقف من هذه المواقف المختارة له وظيفة معينة تؤدى إلى تحقيق الأهداف المنشودة من الفكرة المحورية ومحتواها، كذلك يجب مراعاة ما يحتاجه التلاميذ وميولهم واتجاهاتهم عند قيامهم بالأنشطة التعليمية ؛ حتى يمكنهم اكتساب أنماط سلوكية وكفايات معينة، وكذلك مراعاة ترتيب هذه المواقف التعليمية كما هو الحال في ترتيب المحتوى.

كما يجب عند اختيار هذه المواقف التعليمية إن تكون مناسبة لتعلم الفكرة المحورية والهدف من هذه الفكرة بما يحقق في نفس الوقت أهداف المحتوى ككل وأن تهيئ التلاميذ للاشتراك بإيجابية في عملية التعلم بحيث يتعلم التلاميذ من خلال العديد من الأنشطة مثل القراءة والكتابة، والملاحظة والتنظيم وتجميع البيانات وعمل التقارير وتحليل

البيانات ومناقشاتها وجدولتها واستخلاص النتائج، وما إلى ذلك.كما يجب مراعاة مستوى قدرات التلاميذ واستعداداتهم أثناء اختيار هذه المواقف.

ويتبع عمليه اختيار هذه المواقف عملية تنظيمها وفقا لتسلسل معين يؤدي إلي استمرار تتابع وتكامل عملية التعلم، وذلك عن طريق – ما يتعلمه التلاميذ في خبرة تعليمية معينة أساسا لتعلم خبرة تعليمية تالية، وكذلك تتدرج بهم من البسيط إلى الأكثر تركيباً ومن المعلوم إلى المجهول. ولتنظيم مواقف الأنشطة التعليمية يجب وضعها في مراحل متتالية كما يلي:

1-مرحلة التمهيد والتنشيط:

إن وظيفة المواقف التعليمية في هذه المرحلة هو مساعدة التلاميذ على ربط خبراتهم السابقة بالخبرات الحالية وإثارة اهتماماتهم ودوافعهم والكشف عن ميولهم، ومعرفة نواحي القصور لديهم في معلوماتهم السابقة والعمل على معالجتها بما يسهل عملية اكتساب الخبرات التالية والعمل على خلق الدافعية لدى التلاميذ التي تدفعهم للاشتراك بإيجابية في المواقف التعليمية.

2- مرحلة التجميع والتحليل والدراسة للمعلومات:

إن وظيفة المواقف التعليمية في هذه المرحلة هو إثراء معلومات التلاميذ عن الأفكار التي يدرسونها عن طريق القراءة والبحث وتجميع البيانات وتحليلها، ويمكن في هذه الحالة تكوين مجموعات عمل بين التلاميذ يتم داخلها عملية التخطيط والتنفيذ وعرض نتائج دراساتهم وفي هذه المرحلة يجب إن تتنوع هذه المواقف بما يسمح باشتراك كل تلميذ فيها بما لديه من استعدادات وقدرات لإثراء عملية تعليمه.

3- مرحلة التعميم:

يتبع مرحلة التجميع والتحليل والدراسة مرحلة يقوم فيها التلاميذ بعملية التعميم حيث تساعد المواقف التعليمية في هذه المرحلة على حث التلاميذ على ربط أفكارهم في كل معين وصياغته بأسلوبهم الخاص، وأن يقارنوا بين المواقف لتحديد أوجه التشابه والاختلاف بينها ويستخلصوا النتائج ويتوصلوا إلى صياغة في صورة تعميم عام. فهذه المرحلة تعتبر

المتطلبات الأساسية التي تمكن التلاميذ من القدرة على التعميم من خلال أنشطتها.

5- مرحلة التطبيق والتلخيص والتقويم:

تأتي هذه المرحلة بعد عملية التعميم حيث يقوم التلاميذ بتطبيق ما توصلوا إليه من تعميمات في المراحل السابقة على مواقف جديدة لم يمروا بها من قبل، كما يقوم التلاميذ بأنشطة يلخصون فيها ما تعلموه من أفكار وخبرات ويحاولون ربطها بالخبرات الأخرى، مع البحث عن أوجه الاختلاف الشبه بينهم مما يساعدهم على عملية التقويم لخبراتهم الجديدة، كما يقومون بتقويم عملهم السابق الذي قاموا به وكيفية تطويره إلى الأفضل إذا ما أتيح لهم القيام به مرة أخرى.

الشروط التي يجب توافرها في مواقف النشاط:

إن عملية اختيار وتصميم مواقف الأنشطة التعليمية عمل علمي موجه لتحقيق الأهداف التربوية التي تم تحديدها في المنهج ولذلك يجب إن يتوفر في هذه المواقف ما يلي:

1- يجب إن تتيح هذه المواقف الفرصة للتلاميذ لممارسة نوع السلوك المتضمن في الهدف التربوي، فمثلا إذا كان الهدف هو تنمية مهارة أو اكتساب بعض الاتجاهات والقيم أو التعود على بعض الآداب أو تنمية أسلوب حل المشكلات فإن ذلك الهدف لن يتحقق ما لم تتح هذه المواقف للتلاميذ فرص مزاولة هذه المهارات والإحساس بتلك القيم والاتجاهات والقيام بتلك الآداب وممارسة ذلك الأسلوب لحل المشكلات.
2- أن يحصل التلاميذ على الإشباع والرضا والإحساس بالذات في مزاولتهم للسلوك المطلوب من خلال هذه المواقف التعليمية، ففي حالة أسلوب حل المشكلات التي يمر بها التلميذ خلال هذه المواقف يجب إن يشعر التلميذ بالمشكلة ويكون قادرا على حلها مما يشيع لديه الرغبة في حل هذه المشكلة والإحساس بذاته وقدرته على الحل، مما يشعره بالراحة النفسية لتغلبه على المشكلة.كما يجب إن تكون هذه المواقف متمشية مع ميول وحاجات التلاميذ ومشبعة لها.
3- يجب إن تكون المواقف متمشية مع قدرات واستعدادات التلاميذ بما يمكنهم من ممارسة أنشطتهم في هذه المواقف والاستمرار فيها حيث

إن أي إحباط للتلاميذ يؤدي إلى فقد رغبته في التعلم وبالتالي عدم تحقيق الأهداف المنشودة.

4- إن تتنوع مواقف النشاط التي تحقق نفس الأهداف من أجل مواجهة اختلاف التلاميذ في الميول والفروق الفردية بين التلاميذ بما يتيح الفرص للجميع بالمشاركة الإيجابية.

5- يمكن استخدام نفس المواقف التعليمية لتحقيق أكثر من هدف فمن الممكن إن يكون موقفا واحدا يكتسب خلاله التلميذ أسلوب حل المشكلات وفي نفس الوقت يحصل على معلومات جديدة مع تنمية اتجاهاته نحو موضوع المشكلة أو اتجاها إيجابيا نحو الموقف أو أسلوب حل المشكلة نفسها.

6- إن تعمل هذه المواقف التعليمية على إن يقوم التلميذ منفردا ببعض الأنشطة في جوانبها، كما يحتاج البعض الآخر من جوانبها إلي الجهود الجماعية من التلاميذ في أدائها.

7- أن تساعد هذه المواقف التعليمية على إن يقوم كل من المعلم والتلاميذ بالتخطيط المشترك لأنشطتها وتنفيذها.

8- أن تكون هذه المواقف مرتبطة بحياة التلاميذ وثقافتهم والبيئة التي يعيشون فيها.

الفصل الرابع

تابع الجديد والحصري على شبكة الألوكة
www.alukah.net

التقويم

الفصل الرابع

تقويم المنهج

يعد تقويم المنهج العنصر الرابع من عناصر المنهج وهـو من أهم العوامـل التي تؤثر تأثيراً مباشراً على العملية التعليمية، فهو يؤثر في باقي عناصـر المنهج من أهداف ومحتوى ونشاطات التعليم المختلفة ويتأثر بها وعمليـة التقويم شاملة لكل هذه العناصر أيضا، فكل مـالا يخضـع للتقـويم بصـورة دقيقة يكون بمنأى عن التحسين والتجديد كما أنه سوف يـؤدي إن آجلا أو عاجلاً إلى استخفاف به مهما أمعنا في تأكيد أهميتـه، بـل قـد يصـل الأمـر بالمتعلم إن يدرك إن ما ندعيه من أهداف عليا تعليمية كالجانب الوجداني والمهاري وحل المشكلات مثلا لا يعدو إن يكون جزءا من ضـروب النفـاق التعليمي.

ولكي يتضح لنا مفهوم التقويم يجب إن نفـرق بينـه وبين مفهـوم القيـاس وأدوات القياس ومفهوم التقييم.

مفهوم القياس:

تختلف الأشياء في صـفاتها وخصائصـها كمـا يختلـف الأشـخاص أيضـا في خصائصهم وصفاتهم، فلكل فرد صـفات مثـل الطـول أو الـوزن أو العمـر وهذه الخصائص أو الصفات للأشخاص أو الأشياء قد تتغير ولـذلك تسـمى بالمتغيرات، ولكي تتضح لنا هـذه الفـروق في الخصـائص والصـفات فإننـا نقوم بقياس مقدار أو كمية ما في الأشياء والأشخاص من الخاصية المراد قياسها وبالتالي يمكن التمييز بين الأشياء والأشخاص ومقارنتها بنـاءا على الاختلاف في خواصها أو سماتها.

فالقياس عملية منظمة يتم بواسطتها تحديد كمية أو مقدار مـا يوجـد في الشـئ أو الشـخص من الخاصـية أو الصـفة المـراد قياسـها بدلالـة وحـدة قياس مناسبة، ويعبر عن القياس بقيمـة رقميـة كـأن نقـول إن أحمـد قـد حصل على سبع درجات من عشـر في اختبـار اللغـة العربيـة أو نقـول إن وزن الطفل 7 كم.

أدوات القياس:

تستخدم في عملية القياس أدوات مناسبة لتحديد كم أو مقدار وجود الخاصية أو الصفة في الشئ أو الشخص، وتختلف أدوات القياس من صفة أو خاصية إلى أخرى طبقا لطبيعتها فنحن نستخدم في قياس الأطوال أداة مثل المسطرة أو المتر، ونستخدم في قياس أوزان الأشياء الميزان ونستخدم الترمومتر لقياس درجة الحرارة أما في النواحي الإنسانية فقد نستخدم أدوات مثل الاختبار التحصيلي لقياس الجانب المعرفي لدى التلاميذ ونستخدم أداة الملاحظة لقياس المهارات الأدائية ونستخدم مقياس الاتجاهات والميول لقياس الجوانب الوجدانية وهكذا، وكلها تسمى أدوات قياس.

التقييم:

سبق إن قلنا إن القياس هو عملية تحديد كم أو مقدار الصفة أو الخاصية فمثلا نقول إن التلميذ قد حصل على سبع درجات في اختبار اللغة العربية أو إن وزن الطفل عشرة كيلو جرام، وهذه المقادير لا تمثل دلالة معينة إلا إذا قارناها بمعايير معينة فنقارن درجة التلميذ (سبع درجات) بمتوسط درجات أقرانه في الصف فإذا كان هذا المتوسط سبع درجات مثلا فيمكننا إن نقول إن هذا التلميذ مستواه متوسط أما التلميذ الذي يحصل على تسع درجات في نفس هذا الاختبار فيمكن إن نقول إن تحصيله مرتفع أو ممتاز عن أقرانه وهكذا، كما إن وزن الطفل يمكن مقارنته بمتوسط أوزان أقرانه في نفس السن فإذا كان متوسط أوزان هؤلاء الأطفال 12 كجم فنستطيع إن نقول إن وزن هذا الطفل أقل من أقرانه، كما يمكن مقارنة درجة التلميذ في الاختبار التحصيلي بدرجاته السابقة لتحديد ما إذا كان هناك نمو في تحصيله أو تدني وبالمثل يمكن مقارنة وزن هذا الطفل بأوزانه السابقة وهكذا.

وعلى ذلك يمكن القول إن عملية التقييم تتمثل في إعطاء قيمة أو دلالة لكمية أو مقدار وجود الخاصية أو الصفة في الأشياء أو الأشخاص وذلك بمقارنتها بمعايير مناسبة (وسنوضح هذه المعايير فيما بعد). فتقييم الصفة أو الخاصية تعنى إعطائها قيمة أو دلالة، فنقول قيَّم الشئ أي قدر قيمته. فعملية التقييم تستخدم نتائج القياس التي نحصل عليها في إعطاء دلالة لدرجة القياس.

التقويم:

في عملية التقويم يكون هناك إجابة للسؤال التالي: لماذا نقيس خصائص أو صفات الأشياء أو الأشخاص؟ فالطبيب الذي يقيس عدد كرات الدم الحمراء أو البيضاء في الدم، أو مقدار الأجسام المضادة في الدم، يكون غرضه من ذلك هو تشخيص حالة المريض بمعنى التوصل إلى أسباب مرضه من أجل العمل على علاجه، بالمثل عندما نقوم بقياس مدى تحصيل التلميذ يكون الهدف من ذلك هو تحديد نقاط القوة ونقاط الضعف عند هذا التلميذ وتشخيص أسباب هذا الضعف، ومن ثم العمل على علاج نقاط الضعف، وتعضيد نقاط القوة، وعلى ذلك يعتبر التقويم عملية شاملة لكل من القياس والتعميم ثم تتعدى ذلك لعملية التشخيص والعلاج، فنقول إن تقويم المنهج أى تحديد مدى النجاح أو الفشل لتحقيق أهداف هذا المنهج، وكذلك نقاط القوة والضعف به حتى يمكن تحقيق الأهداف المنشودة بأقصى درجة ممكنة، وعلى ذلك يمكن تعريف التقويم في العملية التعليمية التعلمية بأنه: "مجموعة الأحكام التي نزن بها أي جانب من جوانب التعليم – التعلم وتشخيص نقاط القوة والضعف فيه واقتراح الحلول التي تصحح مساره وتقوي دعائمه.

معايير التقويم:

يوجد معياران للتقويم: السيكومتري، والأديومتري

1- المعيار السيكومتري:

سبق إن قلنا إن أي درجة يحصل عليها الفرد في اختبار ما لا يكون لها معنى أو دلالة إلا بمقارنتها بمتوسط درجات أقران هذا الفرد على نفس المقياس، ومن ثم فالمعيار السيكومتري معيار جماعي مرجع، أي إن أداء التلميذ يقارن بأداء أقرانه الآخرين في الفصل، إلا إن هذا المعيار يشوبه عدم الصحة، لأن الله عز وجل قد خلق الناس مختلفين في قدراتهم واستعداداتهم، وإذا كنا نرغب في جعل التلاميذ يحصلون على نفس الدرجة على نفس المقياس وبنفس المناهج التعليمية فإننا نكون بذلك قد خالفنا الطبيعة التي خلقها الله عز وجل في البشر.

ومن أبرز المساوئ التي قد تنجم عن استخدام المعيار السيكومتري أي مقارنة التلميذ بغيره، صرف الانتباه عن تدهور العملية التعليمية وعجزها عن تحقيق أهدافها لأن ذلك لا يساعدنا على معرفة موقع هذا التلميذ وغيره بالنسبة لما ننشده من أهداف، فقد يكون أفضل التلاميذ بالنسبة

لأقرانه مثلا لا يستطيع قـراءة جملـة باللغـة العربيـة قـراءة صـحيحة أو لا يستطيع إن يحلل مقدار جيري وهنا يبرز سؤال: هل يعد موقع هذا التلميذ بالنسبة لأقرانه دليلا على تفوقه في اللغة العربية أو في الرياضيات؟

والإجابة بالطبع هي النفي والاستنكار.

كما إن هناك نقداً آخر للأخذ بالمعيار السيكومتري الذي يقوم أساساً على إن تكون نتائج اختبار ما على شكل المنحنى الاعتدالي المعياري، وهـو إن هذا لا يعني نجاح العملية التعليمية بـل يعـني فشـلها لعـدم وصـول نسـبة عالية من الطلاب إلي مستوى تحقيق الأهداف.

2- المعيار الأديومتري:

نتيجة الشك في قيمة المعيار السيكومتري من الناحية الإنسانية ظهر في السنوات الأخيرة معيار جديد، حيث أصبح من المسلم بـه ضـرورة الأخـذ بيد كل فـرد ليتعلم لأقصـى درجـة تمكنـه بهـا قدراتـه بصـرف النظـر عن موقعه بالنسبة للآخرين، وإيمانا بظاهرة الفروق الفردية والاقتناع بها يبرز المعيار التربوي أو الأديـو مـتري الـذي على أساسـه تفسـر الدرجـة الـتي يحصـل عليهـا التلميـذ إمـا في ضـوء مسـتواه من قبـل، وإمـا في ضـوء المحكات الموضوعة أي الأهداف المنشودة من دراسة الوحدة التعليمية. ففي حالة مقارنة التلميذ بنفسه من وقت لآخر فإن ذلك يسمى المعيار " فردي المرجـع"، وأمـا إذا تمت المقارنـة على أسـاس المحـك المطلـوب الوصول إليه فإن ذلك يسمى المعيار (محك المرجع).

وهناك من الآراء من يفضل استخدام المعيارين السيكومتري والأيدومتري جنبا إلى جنب في عملية التقويم من أجل فهم أكثر لمعـنى الدرجـة الـتي يحصل عليها التلميذ من أجـل الوصـول إلى حكم شـامل وأكـثر وعيـا لمـا يحدث في العملية التعليمية.

خصائص التقويم الجيد:

1-الشمول: يعتبر التقويم شاملا إذا انصب على جميع الجـوانب فيجب إن يشمل التقويم جميـع جـوانب العمليـة التعليميـة من مـدخلات ومخرجـات فيشمل تقويم الأهداف والمحتوى والطرق والوسائل والأنشطة التعليميـة وكذلك التقويم ذاته.كما يجب إن يشمل التقويم جميع جـوانب التعلم عنـد التلميذ من إيمانية وأخلاقية وجسمية وعقلية ونفسية واجتماعية.

2- الاستمرارية: من الأسس التي يجب الأخـذ بهـا في عمليـة التقـويم إن يكـون مسـتمرا، بمعـنى إن يتلازم التقـويم مـع كـل خطـوة من خطـوات العمـل سـواء كـان في تخطيـط المنهج أوفي تنفيـذه كمـا يجب إن يتلازم أيضا مع جميع خطـوات العمليـة التعليميـة، من بدايـة الـدرس إلى نهايتـه ومن بداية العام الدراسي إلى آخره.

3- التكامل: يقصد بعملية التكامل هنا إن تتكامل وسائل التقويم المختلفة في تقويم الهدف المراد تحقيقه بحيث تتضـافر كلهـا وتعطينـا في النهايـة صورة متكاملة عن الموضوع أو الفرد المراد إخضاعه لعملية التقويم، كما

تعني أيضا تكامل عمليات التقويم مع عمليات التدريس وهذا يعني ما ذكرناه من قبل بتأثير عملية التقويم في كل جوانب أو عناصر المنهج من أهداف ومحتوى وطرق ووسائل وأنشطة تعليمية بحيث تعطي عملية التأثير والتأثر في منظومة المنهج أثرها في تطوير المنهج.

4- التعاون: لكي يكون التقويم تعاونيا يجب إن تشارك فيه كل الجهات المختصة والتي لها خبرة في هذا المجال وألا يقتصر التقويم على فرد أو مجموعة بعينها، وهنا يجب إن نشير أيضا إلى إن يشترك في عملية التقويم كل من يعنيه الأمر من التلميذ والمعلم وولي الأمر والموجهين وخبراء المواد والمتخصصين في المناهج.

5- أن يكون التقويم اقتصاديا: بمعنى إن يكون اقتصاديا في الوقت والجهد والتكلفة فمن العبث ما نراه الآن في عمليات التقويم التي تأخذ من العام الدراسي ما يقرب من ربع العام الدراسي بل أكثر من ذلك ففي الترم الأول تستغرق عمليه التقويم ما لا يقل عن شهر وفي آخر العام قد تصل المدة إلى شهرين ناهيك عن تعطل عملية الدراسة من أجل إن تنتهي مرحلة تعليمية ما من عملية التقويم ثم تبدأ مرحلة ثانية وهكذا، ناهيك عن جيوش المصححين من المعلمين التي تجند من أجل عمليات المراقبة والتصحح، بالإضافة إلى الأموال الطائلة التي تحتاجها هذه العمليات والجهد المبذول من انتقال المعلمين من مكان لآخر وتوقف أولياء الأمور عن أعمالهم من أجل متابعة أبنائهم في هذه الامتحانات وما يصاحبه من طوارئ نفسية ومالية ودروس خصوصية.

6- إن يبنى التقويم على أسس علمية: لكي يكون التقويم على أسس علمية يجب إن يتصف بالصدق والثبات والموضوعية والتنوع والتمييز.

الصدق:

ويقصد بالصدق إن تكون أداة القياس لديها القدرة على قياس الشئ المراد قياسه بدقة بدون إن تتأثر النتيجة بعوامل أخرى، فإذا كان المراد قياس قدرة التلميذ على الفهم فيجب إن تكون الأسئلة الخاصة بها تقيس بالفعل عملية الفهم وليس التذكر. وهذا يعني إن تكون هذه الأدوات تقيس الهدف المراد قياسه بدقه.

وللصدق صور متعددة منها: صدق المحتوى الذي يعنى مطابقة محتوى الاختبار (أي أسئلته) لمحتوى المادة وأهدافها، وبالقدر الذي تكون فيه

أهداف التدريس ممثلة في الاختبار يكون الاختبار صادقا في محتواه، ويتم ذلك بأخذ آراء مجموعة من المحكمين ذوي الاختصاص والخبرة للتأكد من ذلك، أما صدق المحك فيقاس بدرجة العلاقة بين أداة القياس ومقياس المحك الذي يثبت لدينا صدقه من قبل لقياس نفس الهدف المراد قياسه. أما صدق البناء فيستخدم في حالة المقاييس السيكولوجية ففي هذه الحالة يمكن وضع إطارٍ نظريٍّ للسمة أو التكوين العقلي يشتق فيه توقعات أو تنبؤات محددة يمكن اختبارها وبالقدر الذي تتحقق فيه هذه التوقعات بالتجربة يكون ذلك دليلا على صدق الاختبار كمقياس للسمة (صدق البناء).

الثبات:

ويقصد بالثبات أنه لو أعيد تطبيق نفس أداة القياس عدة مرات على نفس التلاميذ وفي نفس الظروف فإنها تعطينا نفس النتائج تقريبا، وتوجد طرق عديدة لحساب ثبات الأدوات كإعادة تطبيق أو تطبيق صور متكافئة أو بالتجزئة النصفية أو التجانس الداخلي.

الموضوعية:

ويقصد بالموضوعية عدم تأثر النتائج التي يتم التوصل إليها بالعوامل الشخصية لمن يقوم بعملية التقويم وحتى تكون عملية التقويم عملية موضوعية فيجب إن تختار لها الوسائل المناسبة التي تساعد على تحقيق هذا الهدف مثل الاختبارات الموضوعية والملاحظة العملية الدقيقة.

التمييز:

والمقصود به القدرة على إظهار الفروق الفردية الحقيقية بين التلاميذ، وهذا الأمر يساهم في الكشف عن ميول وقدرات واستعدادات واتجاهات التلاميذ، فيسهل توجيههم نحو المجالات المناسبة لدراستهم كما تسهم في الكشف عن مواهب التلاميذ ومن ثم يمكن استغلال هذه المواهب وتنميتها.

أنواع التقويم

يمكن تصنيف التقويم طبقا لزمن القيام به والهدف منه كما يلي:

1- التقويم القبلي:

وهذا التقويم يتم قبل البدء في تدريس موضوع ما لتحديد مستوى التلميذ قبل عملية التدريس، ويهدف التقويم هنا إلى قياس مدى تمكن التلميذ من المفاهيم والمهارات والمعلومات اللازمة لتعلم الموضوع الجديد، وقد يسمى هذا التقويم أيضا تقويم تمهيدي.

2- التقويم البنائي أو التكويني:

يجرى هذا التقويم أثناء سير عملية التعليم والتعلم نفسها بهدف متابعة التلميذ في تعلمه والتأكد من أنه يسير في اتجاه تحقيق الأهداف المرجوة له بالشكل المناسب، بما يوفر تغذية راجعة تجعل عملية التدريس عملية متطورة حيث يتم التشخيص والعلاج والبناء في نفس الوقت.

3- التقويم البعدي(الختامي):

ويتم هذا التقويم بعد الانتهاء من عملية التدريس بهدف التأكد من مدى تمكن التلميذ من المهارات والمعلومات والمفاهيم والقيم والاتجاهات التي تناولتها عملية التدريس أو بمعنى آخر التأكد من مدى تحقيق الأهداف المرجوة في ختام الدرس أو الوحدة التعليمية.

أغراض التقويم:

1- تحديد مستوى القبول:

هناك بعض المدارس أو الجامعات أو المؤسسات التعليمية التي تقوم بتقويم المتقدمين إليها بتطبيق اختبارات قبول خاصة للتأكد من تمكن المتقدم إليها من بعض القدرات الخاصة اللازمة للدراسة بها أو لتحديد مستوى معين للقبول بها.

2- تحديد المتطلبات السابقة:

وذلك للتأكد من امتلاك التلميذ لأنواع من المعلومات والمهارات اللازمة التعلم موضوع جديد وهذا التحديد ضروري في الحالات التي قد تتطلب فيها الموضوعات الجديدة حداً أدني لامتلاك معلومات ومهارات أساسية لا يمكن تعلمها دون توفر المتطلبات السابقة.

3- التشخيص:

وذلك بتحديد نقاط الضعف عند التلاميذ والكشف عن الأسباب التي تعوق تعلمهم لموضوع ما بهدف علاج هذا القصور.

4- التشكيل أو التكوين:

يكون التقويم هنا جزءا لا يتجزأ من العملية التعليمية حيث يتم تعليم وتعلم التلاميذ وتحسين وتطوير عملية التدريس أثناء التنفيذ ويتم ذلك بمتابعة تقدم التلميذ في تعلم المفاهيم والمهارات والمعلومات الجديدة من خلال التقويم المستمر والمتلازم مع عملية التدريس.

5- تحديد نواتج التعلم:

وذلك لتحديد مدى تحقق الأهداف المرجوة من تدريس وحدة دراسية أو أكثر أو تدريس منهج معين.

6- التقويم لأغراض الإرشاد والتوجيه:

إن نجاح برامج الإرشاد والتوجيه في أي نظام تربوي يتوقف على تحديد قدرات وميول التلاميذ وتشخيص الصعوبات والمشكلات التي تواجههم. ويستخدم لهذا الغرض اختبارات الاستعداد والتشخيص وقوائم الميول

المهنية وغيرها.

الباب الرابع

تنظيمات المناهج

الباب الرابع

تنظيمات المناهج

إن عملية التربية لأفراد المجتمع لا تحدث من فراغ وإنما تعني بتأسيس الأفراد وتنشئتهم كلبنات بناء المجتمع. فكل مجتمع يريدُ إن يحافظ على وجوده وكيانه، وبذلك فهو يعمل علي تربية هذه اللبنات بما يتمشى مع تحقيق ذلك، وكل مجتمع يمر بأطوار نمو مختلفة وتؤثر في نموه مجموعة من القوى المساعدة للنمو وأخرى مضادة لذلك. وبذلك يقع العبء على التربية في إعدادها للأفراد وفي توجيه الأنماط السلوكية المرغوبة. وهذا يتطلب إعداد مناهج مناسبة على أسس سيكولوجية تراعي فيها الدارسين نفسيا، وأسس اجتماعية تتفق مع حاجات المجتمع ورغباته، كما تتفق هذه التربية مع الأسس والنظريات التربوية التي يقوم عليها النظام التربوي الخادم للمجتمع، وعلى ذلك يمكن القول إن نظريات المناهج وتنظيمها تتصف بالتبعية لكل مجتمع واقعا وفكراً، وهذا ما سنلاحظه في تنظيمات المناهج فيما بعد.

منهج المواد الدراسية

يعد منهج المواد الدراسية من أقدم المناهج وأكثرها شيوعا في المدارس حيث إن المادة الدراسية هي حجر الأساس في هذه المناهج، وذلك لأن المعرفة تنظم في شكل مواد دراسية ينفصل بعضها عن البعض الآخر. وتنقسم مناهج المواد الدراسية إلي:

1- منهج المواد الدراسية المنفصلة.
2- منهج المواد الدراسية المترابطة.
3- منهج المجالات الواسعة.

1- منهج المواد الدراسية المنفصلة (المنهج التقليدى)

يعتبر هذا النوع من المناهج من أقدم أنواع المناهج وأكثرها شيوعا حتى بداية الربع الأول من القرن العشرين، وبعد ذلك لم يعد يستخدم في الدول المتقدمة واقتصر استخدامه على الدول المتخلفة، ولعل كل عاقل يستطيع إن يدرك السبب في ذلك حيث إن المنهج يعتبر مرآة تعكس الوضع الاجتماعي السائد، فقد كان معظم العالم الثالث مستعمراً ولا

يملك حريته وكان نظام الحكم به استبداديا من جانب المستعمرين ولذلك انعكس ذلك على تربية الأفراد حيث كان الهدف منه هو تخريج الموظفين التابعين للنظام الحاكم سواء أكان الاستعمار أو الحكام المستبدين، ولذلك كان الاهتمام منصبا على إعداد أفراد تابعين خانعين مستسلمين للمستعمر أو النظام الحاكم، ومن ثم اقتصرت العملية التعليمية على نقل المعلومات في صورة مواد دراسية منفصلة موزعة على مدار العام.

خصائص هذا المنهج:

1- الفصل بين المواد الدراسية التي يتضمنها المنهج:

في ظل هذا المنهج تدرس كل مادة على حدة، كما إن لها مدرس وكتاب وامتحان خاص بها.

2- التنظيم المنطقي للمادة الدراسية:

لما كانت هذه المناهج تدور حول المادة الدراسية، حيث أنها هي الهدف في ذاتها لذلك فكان تنظيم المقررات الدراسية يتبع تنظيم المعرفة سواء من البسيط إلي المركب أو من السهل إلي الصعب أو من الماضي إلي الحاضر أومن الجزء إلى الكل دون مراعاة الخصائص وقدرات وميول واستعدادات التلاميذ.

3- طريقة التدريس المتبعة هي طريقة الإلقاء:

طريقة التدريس المتبعة في هذا التنظيم هي الإلقاء من جانب المعلم والحفظ والاستظهار من جانب التلميذ. فكلما استطاع التلميذ إن يردد أو يدون ما عرفه فإن ذلك يعد دليلا على التحصيل التربوي المرضي ولا يخفي ما في هذه الطريقة من مساوئ فالمادة الدراسية هي غاية قي ذاتها والمدرس هو مصدر المعلومات والتلميذ في موقف سلبي يقتصر عمله على تلقي المعلومات وتنفيذ ما يطلب منه دون اعتراض، وهذا هو انعكاس لشكل المجتمع الذي يقبع تحت نير الاستعمار والحكم المستبد.

4- عدم تكامل أهداف التعليم:

يقتصر الهدف من التعليم في هذا التنظيم على نقل المعلومات إلي عقل التلميذ وحفظها مع إهمال تنمية التفكير وأساليب حل المشكلات ناهيك عن قفل النواحي الوجدانية داخل التلميذ فليس هناك قيمة لمشاعره وميوله وأحاسيسه ولا اعتبار للقيم والاتجاهات. ومن هنا كان الإهمال الشديد للجوانب الإيمانية والأخلاقية والجسمانية والنفسية والاجتماعية.

5- الكتاب المدرسي هو المصدر الوحيد للمعلومات:

لما كان الهدف الرئيسي للمنهج هو المادة الدراسية لذلك أصبح الكتاب الدعامة التي يقوم عليها هذا المنهج لأنه يتضمن المعلومات المراد تزويد التلاميذ بها، وأصبح للكتاب دور مقدس في هذا المنهج فلا يجيد عنه المعلم والمتعلم فالكل يتقيد بما فيه من معلومات ويعمل على استيعاب كل ما يتضمنه من معلومات ثم تعمل امتحانات على قياس مدي ما حصل التلاميذ من معلومات بالكتاب المقرر حتى ولو كان خطأ، وامتحانات الثانوية العامة ليست عنا بعيدة حيث تأتي امتحانات الثانوية العامة ونماذج الإجابات عليها من الكتاب المدرسي بالنص ولا يستطيع المصححين الخروج عن ذلك لأن الكتاب المدرسي به نفس المعلومة رغم خطئها، ويحول كل من يخرج عن هذا الأمر للتحقيق لخروجه عن الطاعة لمرؤسيه.

6- يخطط المنهج مقدما بالتفصيل:

لما كان المنهج لا يهتم بدراسة ميول واتجاهات وحاجات التلاميذ ولا يهتم بالفروق الفردية لذلك كان يخطط للمنهج مقدما ومفصلا بكل دقائق ولا يترك لآي معلم حرية التفكير أو الابتكار أو نقد المنهج وكان يفرض على الجميع وينتظر منه إن يصلوا إلي مستوى واحد من التحصيل.

7- اقتصار التقويم على التحصيل فقط:

لما كان هذا التنظيم يهتم بالجوانب المعرفية فقط مقتصرا منها خاصة على الحفظ والاستظهار لذلك اقتصر التقويم على الجانب التحصيلي وتجاهل باقي الأهداف التربوية وخير دليل على ذلك ما نسميه بسباق الحواجز ونقصد به امتحانات الشهادات العامة، والذي يعني في جوهرة التنافس والتحصيل للحصول على أعلى الدرجات دون اعتبار لمدى تأثير المعارف التي تم تحصيلها على الجوانب الشخصية الأخرى للمتعلم والتي تعتبر أهم وأرقى بالنسبة له ولمدى فاعليته في مجتمعات تسعى للتقدم،

فما نراه من انحطاط الجوانب الأخلاقية وانتشار الأمراض النفسية نتيجة هذا الصراع لأكبر دليل على ذلك.

2- منهج المواد المترابطة

نتيجة للانتقادات التي وُجهت لمنهج المواد الدراسية المنفصلة ظهر ما يسمى بمنهج المواد المترابطة بقصد تحسينه، والفكرة التي بني عليها هذا المنهج هي عملية ربط بعض المواد التي يتضمنها المنهج، وقد تم ذلك على الوجه التالي:

- الربط بين بعض أجزاء المواد المتشابهة التي تدرس في نفس العام مثل الجبر والهندسة، الاقتصاد والاجتماع، الجغرافيا والتاريخ والتربية القومية، والطبيعة والكيمياء.

فعلى سبيل المثال يمكن تدريس شبه جزيرة سيناء جغرافيا وما بها من موارد اقتصادية ومواقع سياحية، كما يمكن تدريسها في مادة التاريخ على اعتبارها أنها البوابة الشرقية لمصر والتي كانت مقبرة لكل الغزاة الذين حاولوا الاعتداء على أرض الكنانة.

- الربط بين أجزاء المواد غير المتشابهة مثل الربط بين موضوعات القراءة والأدب بالتاريخ أو الجغرافيا بالجيولوجيا، والتاريخ وبالقراءة.

فعلى سبيل المثال يمكن دراسة فترة تاريخية معينة لمصر مثل الفتح الإسلامي لمصر وفي نفس الفترة تدرس الحركات الأدبية والإنتاج الأدبي لبعض الأدباء والشعراء في مثل هذه الفترة.

إلا إن المتفحص لمنهج المواد المترابطة يتضح له عدم اختلاف بينه وبين منهج المواد المنفصلة في كل الخصائص إلا في حالة الربط بين بعض المواد التي يدرسها التلاميذ في نفس العام الدراسي، وإن كانت عملية هذا الربط لم يكتب لها النجاح المطلوب حيث كان في أغلبه ربطا اصطناعيا ولذلك شابت هذا المنهج كل عيوب منهج المواد الدراسية المنفصلة.

3- منهج المجالات الواسعة

نتيجة عدم نجاح عملية الربط بين المواد على النحو الذي كان يرجى منه وبقاء نفس عيوب منهج المواد الدراسية المنفصلة به، كانت هناك محاولة جديدة لتطوير منهج المواد الدراسية في شكل منهج المجالات الواسعة وتتلخص فكرة هذا المنهج في تجميع المواد الدراسية المتشابهة ومزجها في مجال واحد، بحيث تزول الحواجز بينها تماما، ومن هنا أصبح المنهج يتكون من عدة مجالات من أهمها:

- مجال الرياضيات: ويشتمل على: الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات.
- مجال العلوم العامة ويشمل: الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا.
- مجال المواد الاجتماعية وتشمل الاجتماع والتاريخ والجغرافيا.
- مجال التربية الفنية ويشمل: الرسم والموسيقى والأشغال والتصوير.
- مجال اللغات ويشمل: جميع فروع اللغة من تعبير وأدب وقواعد ونصوص وقراءة ونقد وبلاغة وإملاء وخط.

وقد استخدم هذا المنهج في الصفوف الأخيرة من المرحلة الابتدائية حيث إنها لا تحتاج إلى عمق كبير في دراسة المواد بها، وعلى الرغم من إن هذا قد ساعد إلى حد ما على وجود بعض التكامل في جوانب المعرفة وتذويب بعض الفواصل بين المواد وإظهار وحدة الموضوع مما ساعد إلي حد ما على ربط المواد بالحياة والتعرض لدراسة بعض المشكلات إلا إن هذه المناهج قد واجهتها صعوبات كبيرة في عملية الدمج بينها، كما لا زال المنهج يركز على النواحي المعرفية مهملا باقي الجوانب التعليمية كما إن هذا التنظيم قد يفيد في أساسيات المعرفة بدون تعمق في تفاصيلها لها، وبذلك قد يستفاد به في المرحلة التعليمية الأولى.

منهج الوحدات الدراسية

نتيجة للعيوب والسلبيات التي ظهرت في منهج المواد الدراسية وفي محاولة للبحث عن صورة جديدة لتنظيم المنهج بحيث يتم فيه الدمج بين المواد بصورة حقيقية وفعالة، ظهر منهج الوحدات الدراسية والذي يقوم على الأسس التالية:

1- وحدة المعرفة وإزالة الحواجز بين المواد الدراسية:

سبق إن رأينا عيوب منهج المواد الدراسية المنفصلة وفشل محاولات التخلص من عمليات الفصل بينها بما يسبب تفتيت المعرفة، ومن هنا جاء

منهج الوحدات الدراسية ليعالج ذلك بإزالة الحواجز والفواصل بين المـواد الدراسية تماما، فالوحدة الدراسية تنصب على موضـوع من الموضـوعات أو على مشـكلة من المشـكلات، لـذلك فالمعلومـات الـتي يتوصـل إليهـا التلاميذ من خلال دراستهم للوحدة الدراسية يؤدي إلي وحدة المعرفة.

فلـو تم تـدريس وحـدة مثـل وحـدة (سـيناء) في المرحلـة الابتدائيـة فمن الممكن إن تتعرض الدراسة في هـذه الوحـدة إلى موقـع سـيناء ومناخهـا وسكانها وما بها من مياه جوفية ونوع التربة بها وسبل المعيشة فيهـا ومـا بهـا من معـادن ومنـاطق سـياحية والبطـولات التاريخيـة الـتي دارت على أرضها لقهر الغزاة ومكانتها الدينيـة، ومن هنـا نجـد إن دراسـة مثـل هـذه الوحـدة تكسـب التلاميـذ مفـاهيم وحقـائق جغرافيـة وتاريخيـة واجتماعيـة واقتصادية وعلمية .... ومن هنـا يشـعر التلاميـذ بوحـدة المعرفـة وتكامـل أجزائها.

2- بناء الوحدة على أساس نشاط التلاميذ وإيجابيتهم:

في تصميم الوحدات الدراسية يعطي للتلاميذ فرصة للقيام بسلسلة من النشاطات المختلفة مثل تخطيط الوحدة وتنفيذها وجمع البيانات والمعلومات وتحليلها والقيام بالزيارات وعقد الندوات وإدارة المناقشات وكتابة التقارير وذلك تحت إشراف وتوجيه المعلم.

3- دور المعلم هو الإرشاد والتوجيه:

ينحصر دور المعلم في تدريس الوحدة في عمليات الإرشاد والتوجيه والتدريب للتلاميذ للقيام بالأنشطة المختلفة كما سبق إن ذكرنا.

4- ربط الدراسة بحياة التلاميذ:

في الغالب تدور موضوعات الوحدات الدراسية على موضوعات تهم التلاميذ أو حول مشكلة من المشكلات التي تواجههم وبالتالي فهي ترتبط بحياة التلاميذ.

5- شمول الأهداف التربوية:

فعن طريق تدريس الوحدات الدراسية يمكن تحقيق الأهداف التربوية في المجالات المتعددة سواء عقلية أو وجدانية أو مهارية بحيث تشمل جوانب التعلم المختلفة إيمانية وأخلاقية وعقلية واجتماعية ومهارية.

6-للوحدة هيكل عام يسترشد به المعلم والتلاميذ:

يتم التخطيط مسبقا للوحدة من جانب الخبراء والمتخصصين لاختيار الوحدة وإعداد مرجع لها في صورة هيكل عام يتضمن الخطوط العريضة، أما عند التنفيذ فإن التلاميذ يشتركون مع المعلم في التخطيط وتحديد مراحل التنفيذ والفترة الزمنية اللازمة لكل مرحلة وتحديد الأنشطة المختلفة، والتي سيقوم بها التلاميذ، والهدف من كل نشاط والطرق والأساليب التي يجب اتباعها لتحقيق هذا الهدف، وكذلك تحديد دور كل تلميذ في تنفيذ هذه الأنشطة وفقا لقدراته واستعداداته ورغباته.

أنواع الوحدات الدراسية:

1- الوحدات القائمة على المادة الدراسية.

يرتبط هذا النوع من الوحدات بالمادة الدراسية، ولكن ليس معنى ذلك إن المادة الدراسية هدف في ذاتها ولكن تتخذ انطلاقا لتحقيق أهداف أخرى كتنمية القدرات واكتساب المهارات وتكوين العادات والاتجاهات ويتم ذلك من خلال الأنشطة المستمرة التي يقوم بها التلاميذ.

وتوجد صور عديدة للوحدات القائمة على المادة الدراسية فمنها ما يدور حول موضوع من موضوعات المادة الدراسية، ومنها ما يدور حول مشكلة من المشكلات أو حول تعميم أو مفهوم.

2-الوحدات القائمة على الخبرة:

هذا النوع من الوحدات يجعل الخبرات محورا يرتكز عليها حيث تتاح للتلاميذ فرص أكبر للقيام بأكبر قدر من الأنشطة وذلك بربطها بحاجاتهم أو مشكلاتهم ولذلك يتم اشتراك التلاميذ اشتراكا مباشرا في عملية اختيار الوحدة وفي رسم الخطط وتحديد الأنشطة وتوزيعها.وليس معنى ذلك إن هذه الوحدات لا يخطط لها مقدما قبل عرضها على التلاميذ، بل يتم قبل كل ذلك وضع الخطوط العريضة أو الهيكل العام المميز للوحدة ثم يعرض هذا الهيكل على التلاميذ لمناقشته وإبداء الرأي فيه وقد يحدث تعديل في هذا الهيكل أو الخطوط العريضة له. ولذلك فإن هذه الوحدات تتطلب ما يلي:

1- ارتباط الوحدة ارتباطا قويا بحاجات التلاميذ ومشكلاتهم.
2- وضع الخبراء والمتخصصين الخطوط العريضة وبناء الهيكل العام لعدد كبير من الوحدات.
3- قيام التلاميذ بالاختيار من هذه الوحدات ثم يشتركون بعد ذلك مع المعلمين في تخطيط جوانب الوحدة في ضوء الخطوط العريضة لها.
4- يتم من خلال الأنشطة المتنوعة اكتساب التلاميذ المعلومات والحقائق والمفاهيم عن طريق التعلم الذاتي وإكسابهم المهارات وتنمية قدراتهم وتكوين العادات والاتجاهات الإيجابية.

5- يتم مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ على نطاق واسع.

مرجع الوحدة:

يتم إعداد مرجع وحدة لكل وحدة من الوحدات سواء كانت قائمة على المادة الدراسية أم على الخبرة، وهذا المرجع يخص المعلم فهو كتاب للمعلم يساعده على أداء رسالته ويقدم له المقترحات التي تيسر له عملية تنفيذ الوحدة. ويتضمن مرجع الوحدة النقاط التالية:

1- عنوان الوحدة.
2- مقدمة الوحدة.
3- أهداف الوحدة.
4- تحديد نطاق الوحدة.
5- تحديد أنشطة الوحدة.
6- الطرق المقترحة لتدريس الوحدة.
7- الوسائل والأدوات المستخدمة لتنفيذ الوحدة.
8- القراءات الخاصة بالمعلم والتلاميذ.
9- عنوان الوحدة.

منهج النشاط

لقد ظهر منهج النشاط انعكاسا للأوضاع الاجتماعية التي سادت المجتمع الأمريكي بعد الاكتشافات الجغرافية للأمريكيتين حيث قامت دول أوروبا بنقل كل ما في سجونها من الخارجين على قوانينها إلي أمريكا للتخلص من شرورهم واستغلالهم في السيطرة على المجتمع الجديد ثم توالت الهجرة من أوروبا إلى أمريكا وقام الأوروبيون بتصفية الهنود الحمر السكان الأصليين لأمريكا، ومن هنا نشأت فكرة الحريات في هذا المجتمع الجديد فكل فرد في هذا المجتمع الناشئ أصبحت له حرية غير منظمة في مجتمع لا يعرفه فيه أحد، كما ساد في هذا الوقت الفكر القائل بحرية الإنسان وإطلاق غرائزه البهيمية في تحقيق شهواته نتيجة أفكار دارون عن حقيقة الإنسان البهيمية وتفسير فرويد للسلوك الإنساني على أساس الغرائز الجنسية، وغيرهم الكثير من اليهود لإغراق العالم في السلوك البهيمي – ومن هنا نشأت فكرة روسو، وجون ديوى، ووليم كالباترك، الذين نادوا بضرورة ربط المنهج بميول وحاجات التلاميذ ورغباتهم وإشباعها وعدم التدخل في ضبطها أو تهذيبها، إلا إن هذه الأفكار لم تحقق نجاحا في بدايتها لفشل المدارس التي أنشئت على هذا

الأساس في بادئ الأمر، كما فوجئ المجتمع الأمريكي بإطلاق أول قمر صناعي للاتحاد السوفيتي مما جعلهم يعيدون النظر في مناهج التعليم عندهم فأدخلت بعض التعديلات على هذه الأفكار، وظهر ما يسمى بمنهج النشاط الذي يقوم على الأسس التالية:

1- ميول التلاميذ وحاجاتهم التي تحدد محتوى المنهج:

تعتبر ميول وحاجات التلاميذ هي محور ارتكاز لكل ما يدرس في هذا التنظيم ونقطة انطلاق أنشطة التلاميذ لتحقيق كل الأهداف المنشودة مما يزيد من حماس التلاميذ وجهدهم المتواصل لتحقيق تلك الأهداف.

والمقصود بتلك الميول هي الميول الحقيقية التي يعبر عنها التلاميذ وليست تلك الميول التي يتخيلها الكبار، كما أنها ليست تلك الميول التي يحددها الأطفال كميول عابرة لا تمثل حقيقة ميولهم.

2- منهج النشاط لا يعد مقدما:

لما كان منهج النشاط يعتمد على ميول وحاجات ورغبات التلاميذ الحقيقية وهي متغيرة من وقت إلى آخر أو من بيئة لأخرى لذلك كان من الصعب تحديد ما يتم تدريسه مقدما. لذلك لا يتم التخطيط لهذا المنهج حتى تبدأ الدراسة ويلتقي المدرس بتلاميذه، ثم يتم اختيار الموضوعات أو المشروعات أو المشكلات التي تتجاوب مع ميول التلاميذ وحاجاتهم وذلك بالاشتراك سويا ويتم وضع الخطط المناسبة عن طريق التلاميذ تحت إشراف معلمهم.

3- طريقة حل المشكلات هي الطريقة المتبعة في تدريس هذا المنهج.

معظم المواقف التي يتم من خلالها مزاولة نشاط التلاميذ تكون في صورة مشروعات وأحيانا في صورة مشكلات، فمن خلال قيام التلاميذ بالتصدي لهذه المشكلات وتنفيذ مشروعاتهم يتم اكسابهم الكثير من الخبرات ذات الأثر الفعال في تشكيل سلوكهم ويكون التلاميذ أكثر فاعلية وإيجابية في تنفيذ المنهج حيث يتدربون على كيفية تحديد كل مشكلة والبحث عن البدائل المختلفة لحلها ثم تخطيط العمل الذي يصل بهم لهذا الحل وتوزيع الأدوار والمسئوليات بينهم ثم يتم تنفيذ ذلك كل حسب قدراته وميوله واستعداداته تحت إشراف المعلم.

4- الاعتماد على الأنشطة الإيجابية للتلاميذ:

مما سبق نلحظ إن التلاميذ في هذا المنهج يكونون أكثر إيجابية في كافة المواقف والمراحل، فهم الذين يقومون باختيار الأنشطة والتخطيط لها وهذا يعنى استمرارية هذا النشاط برغبة ودافعية بدون تلقي أوامر من المعلم في كل صغيرة وكبيرة لأن قيام التلميذ بالنشاط لا يعتبر كافيا لأنه من الممكن إن يقوم بأنشطة متنوعة ومتعددة ولكن بسلبية ملحوظة مما يجعله يقوم بالعمل أتوماتيكيا وهذا مالا يقصد في هذا المنهج؛ فإجابات التلميذ في هذا المنهج مطلقة مما يجعلها أساسا لتعلم مثمر ودافعا للنشاط المتجدد والمتواصل برغبة وحماس يؤدي في النهاية إلى تحقيق الأهداف المنشودة.

5- وحدة المعرفة وتكاملها في هذا المنهج:

ما يميز هذا المنهج عن غيره إن محتواه عبارة عن مواقف نشاط يمارسها التلاميذ لحل المشكلات أو تنفيذ المشروعات إشباعا لميولهم وتحقيقا لأغراضهم، مما يجعل هذا المنهج يقدم المعرفة في صورة متكاملة غير مجزأة، فالمعلومات والمهارات والاتجاهات كلها تكتسب في نفس الموقف مترابطة متكاملة.

صور تنفيذ منهج النشاط:

لقد كان لمنهج النشاط صور مختلفة من أبرزها طريقة المشروع وطريقة حل المشكلات الاجتماعية.

طريقة المشروع:

وفيها يتم التركيز على ميول التلاميذ وحاجاتهم عن طريق تنفيذ المشروعات من خلال سلسلة من النشاط الذي يقوم به التلاميذ لتحقيق أغراضهم برغبة وحماس.

خطوات المشروع:

يمر المشروع بأربع خطوات رئيسية:

1- اختيار المشروع: ويتم اختياره عن طريق مناقشة جماعية يشترك فيها المدرس مع التلاميذ، حيث تدور المناقشة حول أهمية وفائدة المشروع

وتؤخذ موافقة التلاميذ على المشروع على إن تتوفر فيه بعض الأسس منها إن يكون المشروع متمشيا مع ميول التلاميذ ومشبعا لحاجاتهم وأن يكون له فائدة ملموسة وشاملة وذلك بارتباطه بواقع حياة التلاميذ وذلك لربط حياتهم بالمجتمع، كما يجب تنوع الخبرات التي يمر بها التلاميذ خلال هذا المشروع. وأن تكون المشروعات في مجملها متنوعة ومتوازنة ومترابطة، على إن يراعي في المشروع مناسبته لإمكانات التلاميذ والمدرسة.

2- وضع خطة المشروع: يتم وضع خطة للمشروع من خلال التلاميذ وتحت إشراف المعلم على إن تكون أهدافه واضحة مع تحديد الموارد والإمكانات وما يجب عمله في هذا المشروع والوقت اللازم لتنفيذه وتحديد الأدوار التي يقوم بها كل تلميذ وكل مجموعة من خلال الأنشطة التي تحقق المشروع.
3- تنفيذ المشروع: يتم تنفيذ المشروع بتعاون التلاميذ جميعا وتحت إشراف وتوجيه معلمهم لمساعدتهم في حل المشكلات التي قد تواجههم مع الأخذ في الاعتبار إن الهدف من تنفيذ المشروع ليس الإنتاج ولكن اكتساب المهارات والعادات والمعلومات من خلال تنفيذه.
4- تقويم المشروع: يتم تقويم المشروع بصورة شاملة من أهداف وخطة وأنشطة ومدى تجاوب التلاميذ والنتائج التي توصلوا إليها مع كتابة تقرير عن ذلك للاستفادة به في تنفيذ المشروعات التالية:

طريقة حل المشكلات الاجتماعية:

وفيها يتم التركيز على مواقف اجتماعية مرتبطة بحياة التلاميذ بخلاف طريقة المشروع التي تركز على ميول التلاميذ وحاجاتهم، ويتم ذلك في صورة مشكلة تنبثق من موقف من مواقف الحياة في المجتمع أو حاجة من احتياجات المجتمع على إن تكون لهذه المشكلة أهمية في حياة الفرد والجماعة بحيث يشعرون بها وتكون عندهم الرغبة الصادقة في التصدي لها.

وتسير هذه الطريقة بنفس خطوات طريقة حل المشكلات على إن يكون التلاميذ هم الذين يقومون باختيار المشكلة ويحددونها ويقومون باقتراح الحلول لحلها، ووضع خطط لعملية حل هذه المشكلات وتنفيذها وذلك كله تحت إشراف وتوجيه من المعلم.

عيوب منهج النشاط:

1- من أهم عيوب هذا المنهج هو اقتصاره على صورة مشروعات فقط أو صورة مشكلات فقط، حيث إن لكل منهما عيوبه ويفضل الجمع بينهما للاستفادة من مميزات كل منهما.
2- تركيز هذا المنهج على ميول وحاجات ورغبات التلاميذ قد يؤدي إلي اختيار مشروعات غير مفيدة نتيجة انغماس التلاميذ في أمور لهو كالموسيقى والغناء وما إلى ذلك. فهل يمكن إن يكون هناك منهج يدور حول الموسيقى؟ أو منهج يدور حول مشروع تربية فنية وهل مثل هذه المشروعات تحقق الأهداف التربوية المنشودة؟
3- لا يسمح منهج النشاط بترابط الخبرات بطريقة جيدة ومنظمة فمن الصعب جدا إن تكون هناك مشروعات متوالية يحدث فيها الترابط الرأسي للخبرات، فقد يعجز المتخصصون في تحقيق ذلك فما أدراك إن يقوم التلاميذ هم بعملية اختيار المشروعات بأنفسهم.
4- لا يسمح هذا المنهج بالتعمق في المعلومات فهو لا يقدم سوى عموميات الثقافة دون التعمق الكافي لدراسة المواد الدراسية لذلك فهو لا يصلح إلا للمرحلة الابتدائية ولا يتناسب مع غيرها من المراحل التعليمية الأخرى.
5- في هذا المنهج يتم إهمال معلومات وخبرات هامة جدا بالنسبة للتلميذ ولكنها لا ترتبط بميولهم ارتباطا وثيقا وبالتالي يتم حرمانهم منها مثل تعلم قواعد اللغة والعمليات الرياضية والمعلومات الجغرافية والعلمية.
6- في هذا المنهج يتم التضحية بالماضي والمستقبل معا نتيجة تركيزه على ميول التلاميذ وحاجاتهم الحالية.
7- صعوبة تنفيذ هذا المنهج خاصة في الدول النامية لصعوبة تحديد ميول التلاميذ وعدم توفر المعلمين ذوى الكفاءة في هذا الخصوص وعدم توفر الإمكانات والتجهيزات والتمويل اللازم لهذه المشروعات.

المنهج المحوري

ظهر المنهج المحوري حديثا كرد فعل على المنهج التقليدي الذي جعل المادة الدراسية هدفا في حد ذاته، كما إن منهج النشاط الذي نقل مركز الاهتمام من المادة إلى التلميذ وجعله هو محور العملية التعليمية حيث تم التركيز على ميول ورغبات التلاميذ إلى حد كبير وصل إلى حد التطرف لدرجة إن أي نشاط لا بد وأن يتجاوب مع ميول التلاميذ ويتمشى مع رغباتهم، كما إن منهج النشاط يتلاءم مع مرحلة التعليم الابتدائي ثم جاء منهج الوحدات الدراسية أيضا مناسبا لهذه المرحلة ومن ثم لم يجد

التعليم الثانوي ما يناسبه من تنظيمات المناهج السابقة التي بنيت على النشاط الذاتي للتلاميذ وهذا يناسب خصائص الطفل في المرحلة الابتدائية، أما في المرحلة الثانوية قد وصل إلى درجة من النمو العقلي تسمح له بدراسة الحقائق والمفاهيم والنظريات على أسس منطقية مجردة.

كما إن طرق التعليم سابقة الذكر كانت اهتماماتها بعموميات الثقافة دون الدخول في التخصصات الدقيقة التفصيلية، أما المرحلة الثانوية فبطبيعة الحال هي التي تمهد للتعليم الجامعي الذي يحتاج إلى التخصص والاهتمام بالجوانب الأكاديمية، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الطرق التي ركزت على ميول ورغبات التلاميذ لم تجد مجالا للاهتمام بالمجتمع بالدرجة الكافية، أما طالب المدرسة الثانوية الذي هو على أبواب الجامعة التي تخوض معركة الحياة داخل المجتمع، فبالتالي يجب إن يهتم المنهج في المرحلة الثانوية بالمجتمع واتجاهاته ومشكلاته.

كل هذا دفع إلى التفكير في منهج يناسب المرحلة الثانوية يتم فيه إشباع حاجات الفرد في إطار اجتماعي، مع الاستفادة من مميزات منهجي النشاط وطريقة الوحدات، ومن هنا جاء مفهوم المنهج المحوري، فكما دارت مناهج المواد الدراسية حول محور المعلومات ومنهج النشاط حول محور التلميذ فقد جاء التفكير في وجود محور يدور حوله المنهج الجديد. لذلك ذهب البحث إلى محاور تدور حول حاجات التلاميذ ومشكلاتهم في إطار حاجات المجتمع ومشكلاته.

وعلى ذلك يمكن القول بأن مفهوم المنهج المحوري هو ذلك الجزء الرئيسي من المنهج الذي يشترك فيه جميع التلاميذ ويهدف إلي تزويدهم بالحقائق والمفاهيم والتعميمات وإكسابهم المهارات والاتجاهات اللازمة لهم في حياتهم كمواطنين، بما لهم من حقوق وعليهم من واجبات نحو وطنهم، ويتكون هذا الجزء من مجموعة من الميادين أو المجالات التي تم تصنيفها وتحديدها وفقا لحاجات التلاميذ ومشكلاتهم العامة ويتكون كل ميدان أو مجال من مجموعة من الوحدات الدراسية يقوم التلاميذ بالتخطيط لها وتنفيذها تحت إشراف المعلم وتوجيهه.

ويتكون المنهج في صورته الكلية من قسمين:

القسم الأول: خاص بـالخبرات التعليميـة المشـتركة الـتي تعتـبر ضـرورية لجميـع التلاميـذ الـذين يدرسـون في المدرسـة وهي خـبرات لازمـة لهم للتكيف مع المجتمع الذي يعيشون فيه وتتعلق بفهم مؤسساته ومنظماتـه وتعلم قيمه واتجاهاته، ويطلق عليه البرنامج المحوري.

القسم الثاني: فهو الخبرات الخاصة التي تختلـف طبقـا لحاجـات التلاميـذ نظرا لاختلاف قدراتهم وميولهم المهنية والحرفية.

ويشـكل القسـمان معـا المنهج الـذي يـدرس بالمرحلـة الثانويـة وهمـا متكاملان معا كأنهما وجهان لعملة واحدة.

الأسس التي يقوم عليها البرنامج المحوري:

1- مركـز الاهتمـام وحاجـات التلاميـذ ومشـكلاتهم المشـتركة في ضـوء حاجات المجتمع ومشكلاته.
2- ينظم البرنامج المحوري في صورة وحدات قائمة على حل المشـكلات مما يحقق وحدة المعرفة ويزيل الحواجز بين جوانبها.
3- يدرس كل التلاميذ البرنامج المحوري لأنه يتعرض في جـوهره لإشـباع الحاجات الرئيسية وتكوين الاتجاهات العامـة وتنميـة المهـارات الأساسـية لكل مواطن بصرف النظر عن ميوله أو استعداداته أو قدراته الخاصة.
4- يخصص البرنامج المحوري فترة زمنية في اليـوم الدراسـي قـد تصـل من ثلثه إلى نصفه لتنفيذ الوحدة وأنشطتها المتنوعة.
5- يكتسـب التلاميـذ مهـارات التفكـير العلمي حيث إن طريقـة حـل المشكلات هي الطريقة المتبعة في تدريس هذا البرنـامج ممـا يـؤدي إلى تنمية القدرة على التفكير العلمي واكتساب المهارات المطلوبـة في هـذا المجـال، وبـذلك يتكـون المـواطن القـادر على حـل مشـكلاته ومشـكلات مجتمعه.
6- دور المعلم الرئيسـي في تنفيـذ المنهج المحـوري والتوجيـه والإرشـاد حيث يقـوم المعلم بمسـاعدة التلاميـذ وتـوجيههم على وضـع خطـة حـل المشكلات وتنفيذها داخل كل وحـدة، كمـا يعمـل على إتاحـة الفـرص بين التلاميذ لاكتساب المهارات وتكوين الاتجاهات.

كيفية حصر وتحديد مشكلات التلاميذ وحاجاتهم المشتركة:

1- الاسـتفتاءات الـتي تطبـق على التلاميـذ والمعلمين وأوليـاء الأمـور والاخصائيين الاجتماعيين.

2- المقابلات الشخصية حيث يتم من خلالها مقابلة المتخصصين للتلاميـذ للتعرف على مشكلاتهم الحقيقية دون تزييف أو تحريف.

3- الملاحظـة حيث يتم ملاحظـة وتسـجيل سـلوك التلاميـذ في الأوقـات والأماكن الواقعية من أجل التوصل إلي مشكلاتهم وحاجاتهم.

عيوب تنظيمات المناهج السابقة

لقد تعددت أوجه العيوب التى لازمت تطبيق تنظيمات المناهج السابقة الذكر، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ما يلى:

1- لقد قامت تنظيمات المناهج السابقة على أساس علمانى بحت حيث تهتم هذه المناهج بالحياة الدنيا وتسقط من اهتماماتها الحياة الآخرة، أى استبعاد الدين من توجيه شئون الحياة الدنيا، فهذه المناهج لا دينية أى أنها دنيوية، تعمل على إقامة الحياة على العلم الوضعى والعقل ومراعاة المتعة الحياتية بعيدا عن الدين فهى تكرس التعليم لدراسة ظواهر خاضعة للتجريب والمشاهدة، وتهمل أمور الغيب من الإيمان بالله والبعث والثواب والعقاب، وينشأ بذلك مجتمع غايته متاع الحياة وكل لهو رخيص.

ومبدأ الدنيوية الذي تقوم عليه هذه المناهج يرى أنه لا يوجد خير آخر سوى خير الحياة الدنيا، وأن خير الحياة الدنيا هو خير حقيقى والسعى إليه هو خير أيضا.

لذلك نجد إن " جون ديوى " قد اقام منهجه الخاص بمنهج النشاط، على حرف الطهى والحياكة والنجارة، لأنها تشمل الأنشطة الخاصة بالبحث عن الطعام، والحصول على الملبس والمأوى، كما قام منهج " مدرسة كولنجز التجريبية " وهي أيضا إحدى مدارس النشاط فى أمريكا على اللعب والجولات القصيرة والقصص والأشغال اليدوية، كما قام المنهج أيضا فى مدرسة "مريام" على الملاحظة واللعب والرقص والقصص والعمل اليدوى.

وقد قام المنهج المحورى أيضا على أساس حل مشكلات التلاميذ الحياتية وتلبية حاجاتهم أيضا، كما إن منهج الوحدات الدراسية ووحدات الخبرة يدور حول مادة دراسية أو خبرة حياتية للتلاميذ.

ومن هنا نجد إن كل هذه المناهج التربوية تهتم فقط بأمور الحياة الدنيا وتحقيق المتعة الدنيوية للإنسان، وهذا ما أكده الله تعالى فى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: 12]

فكل هذه المناهج لا تقوم على هدى الله ولا تحقق الغاية من وجود الإنسان فى هذه الأرض، فهى لا تحقق خلافة الإنسان لله فى الأرض، بل تفصله عن خالقه.

2- إن هذه المناهج لا تحقق الغاية من وجود الإنسان فى الأرض فخلافة الإنسان لله فى الأرض بعبوديته لربه فى كل عمل يقوم به لا يتحقق بهذه المناهج التى استبعدت من تربيتها للإنسان هدى الله له، وجعلت تحقيق ميوله وحاجاته ورغباته هى غايتها فى تربيته.

3- إن هذه المناهج تهمل أهم جوانب تربية الإنسان وهي الجانب الإيمانى الذي هو غذاء لروحه، فإذا كان الإنسان مكونا من جسد أصله التراب، وروح أصلها من ورح الله عز وجل، وهذه المناهج تستبعد أى دور للدين فى تربية هذا الإنسان، فإن هذه المناهج تكون قد حكمت على هذا الإنسان بعدم إنسانيته وجعلته كباقى الكائنات التى خلقت من تراب فقط، وهذا ما نلحظه من سلوكيات الذين تربوا على هذه المناهج حيث ماتت فيهم المشاعر الإنسانية وقيمها النبيلة التى لا تسمو إلا بالتربية الإيمانية والخلقية، وبإهمال هذه الجوانب فى تربية الإنسان انتشرت الأمراض النفسية، وأصبح الإنسان يعانى من التوتر والقلق والحيرة من أمر نفسه وزادت نسب الانتحار والإجرام.

4- إن هذه المناهج عندما تقوم أساسا على ميول وحاجات التلاميذ، وتؤكد على ضرورة اعتبار التلميذ مركز الاهتمام الأول والأخير كما هو فى منهج النشاط فهى بذلك تغرس فيه الأنانية وحب الذات والجشع والطمع، والآثرة وعدم حب الخير للآخرين ويسود المجتمع التفكك الاجتماعى وتنحل عرى روابطه وتنتشر فيه الجريمة ومافيا العصابات، وهذا ما نلاحظه فى الدول الغربية جميعا.

وحتى عندما خففت المناهج الأخرى – المحورى والوحدات الدراسية – من تمحور المنهج حول التلميذ وحاولت إعطاء قدر من الاهتمام بالمجتمع فإنها اهتمت فى ذلك بالمواطنة المحصورة فى حدود البيئة الضيقة للتلميذ، فقد أثمرت هذه المواطنة الضيقة عن صراعات إقليمية ودولية تنتج عنها الحروب العالمية والإقليمية واحتلال لأراضى الآخرين، واغتصاب لحقوقهم، وتسخير لجهودهم فى خدمة غيرهم، وإذلال لآدميتهم وإنسانيتهم، بل إن الولايات المتحدة الأمريكية التى تولدت فيها هذه المناهج على يد المهاجرين الأوربيين، قد تم إبادة شعبها الأصلى من الهنود الحمر بالكامل على يد هؤلاء الأوربيين.

كما إن العالم الآن تهدده الولايات المتحدة الأمريكية، تلك التى تربى شعبها بهذه المناهج خاصة منهج النشاط وأعلنت حربها على جميع الدول التى لا تكون تحت سيادتها، وتقوم بنهب ثروات العالم بتهديد القوة، وما ذلك إلا لأن هذه الدولة تدار بيد " مواطنين " يريدون تسخير خيرات العالم كله لصالح شخصياتهم أو مواطنيهم على حساب الآخرين.

ونعود ونكرر إن كل هذا يعود إلى تربية هؤلاء بهذه المناهج الفاسدة وكل ما يعانيه العالم الآن لسوء هذه المناهج.

5- إن هذه المناهج جميعها قد فشلت فى تحقيق وحدة المعرفة التى تقدمها للتلاميذ، ومن المسلم به إن نجد هذا واضحا فى منهج المواد الدراسية المنفصلة، أما فى منهج النشاط الذي يقوم أساسا على المشروعات فإنه لم يحقق هذه الوحدة لعدم ارتباط هذه المشروعات بعضها مع بعض واستحالة تحقيق ذلك.

وهكذا الحال فى منهج الوحدات الدراسية، التى يصعب تحقيق الترابط بينها فهى وحدات منفصلة بطبيعة الحال، أما فى المنهج المحورى فالحال لا يختلف كثيرا لتعدد المحاور التى يدور حولها المنهج، فليس هناك محور واحد لجميع ما يدرسه الطلاب، ناهيك عن باقى المواد الدراسة المنفصلة التى يدرسها الطلاب إلى جانب البرنامج المحورى، لذلك فقد سادت المعرفة الإنسانية بهذه المناهج تفككا، وتحللا مما انعكس على فكر الشعوب التى تسودها هذه المناهج، فأزمات مناهج العلوم المعاصرة كافة فى شكل " الجدلية العلمية " و"الوضعية المنطقية " القائمة على " النسبية والاحتمالية " وكذلك أزمات الإنسان الحضارية العالمية وما فيها من صراعات إنما تنتهى إلى أزمة واحدة وهي " الحالة التفككية " لمناهج العلوم وأنساق الحضارات بحيث عجزت الحضارات الغربية المعاصرة عن " التركيب " الذي يستهدى بالضوابط الكونية التى فصلها القرآن المحيط بكل شئ.

6- لقد اقتصر اهتمام هذه المناهج على العلوم المكتشفة على زعمٍ بأنها تتصل بحياة الإنسان مباشرة، فنظمت خطتها التعليمية على أساسٍ ميول وحاجات الإنسان، أو المواقف الاجتماعية أو حل المشكلات، ومن ثم أهملت الشطر الهام من العلم المتعلق بعلوم الوحى على الرغم من إن الله قد أنزلها للإنسان ليهتدى بها فى عمارته للأرض حيث إنه يعجز عن اكتشافها بنفسه، فقد جاء الدين الإسلامى وافيا بكل مطالب الحياة

الإنسانية ليعالج مشكلاتها فى شتى المواقف الروحية والعقلية والبدنية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجا حكيما، لأنه تنزيل الحكيم العليم، ويضع لكل مشكلة بلسمها الشافى فى أسس عامة تترسم الإنسانية خطاها وتبنى عليها فى كل عصر ما يلائمها.

ولذلك فقد فشلت هذه المناهج فى علاج الكثير من مشكلات الإنسان خاصة المتعلقة بالقيم والأخلاقيات والنفس البشرية، والعلاقات الاجتماعية والدولية والتى نتج عنها الكثير من الأمراض النفسية والاجتماعية والمشكلات الدولية وقد سبق بيان بعض منها فى النقاط السابقة.

منهج الاستخلاف

بعد هذا البيان لبعض عيوب تطبيق تنظيمات المناهج: المواد ا لدراسية المنفصلة، والنشاط، والمحورى، والوحدات الدراسية، لم يعد هناك شك فى فشل هذه المناهج فى تحقيق حياة أفضل للإنسانية على الأرض ولا فى حياتها الآخرة التى ضربت بها عرض الحائط ولم تعمل لها أى حساب، ومن ثم لم يعد هناك مفر من الرجوع إلى المنهج الذي تم تأسيسه على هدى من الله ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا إن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 109- 110]

هذا المنهج الذي بينا أسسه فى هذا الكتاب:

الأساس الأول: هدى الله (أساس كل الأسس)

الأساس الثانى: طبيعة العلم والثقافة

الأساس الثالث: طبيعة الإنسان.

الأساس الرابع: طبيعة المجتمع

الأساس الخامس: طبيعة العلاقات الدولية

الأساس السادس: طبيعة الكون

هذا المنهج لا يمكن إلا إن نطلق عليه " منهج الاستخلاف " والذي يجب إن يتم تنظيمه على الأسس التالية والمشتقة من الأسس السابقة.

أسس تنظيم منهج الاستخلاف:

1- إن بناء هذا المنهج يقوم على تحقيق خلافة الإنسان لله فى الأرض، فالإنسان خُلق لمهمة كلفه الله بها فى هذه الأرض ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: 30] فهو مستخلف فى الأرض ليعمرها ويطور الحياة عليها بأمر من الله وعلى هدى منه فكل عمل يقوم به الإنسان على وجه الأرض يجب إن يحقق هذه الغاية، ﴿قُلْ

إن صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الأنعام: 162] وعليه فكل سلوك للإنسان يحقق هذه الغاية هو عباده لله وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذريات: 56].

فليست الغاية من هذا المنهج المادة الدراسية التى يدرسها التلاميذ وليست تحقيق ميول وحاجات ورغبات وحل المشكلات الحياتية للتلاميذ كما هو فى منهج النشاط والمنهج المحورى ومنهج الوحدات الدراسية، وصدق رسول الله () حيث قال: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به [كتاب الحجة] هذا تطبيقا لقول الله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً إِن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً [الأحزاب: 36]، بل يجب إن تكون المادة الدراسية وميول وحاجات ورغبات الإنسان كلها لتحقيق الغاية الكلية من خلق الإنسان.

2- يحقق المنهج وحدة المعرفة ويزيل الحواجز الفاصلة بين المواد الدراسية وهذا يتحقق من خلال كون إن العلم كله من عند الله، وأن الكون كله منظومة واحدة تتكافل عناصره بعضها مع بعض، وأن القوانين التى تنظم هذا الكون وتضبط حركته هى منظومة وضعها الخالق بقدرته، فالوجود كله وحدة متكاملة كل جزء فيه متناسق ومتكامل مع بقية الأجزاء لأنه صادر عن الإرادة المباشرة للواحد المطلق وهو الله.

إن الذي يتأمل تركيب الذرة وحركة الإلكترونات حول النواة فى مدارات ثابتة، والقوانين التى تحكم حركة هذه الإلكترونات، ويقارن ذلك بحركة الكواكب حول نجومها فى مداراتها لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا إن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [يّس: 40] ليدرك حقيقة وحدة الكون وحدة قوانينه ووحدة خالقه.

ففى هذا المنهج لا تنفصل علوم الوحى عن العلوم المكتشفة البحتة منها أو التطبيقية فكلها من مشكاة واحدة ويفسر بعضها بعضا مما يزيد من فهمها للإنسان ويسهل عليه تطبيقها، لذلك فقد ظهر ما يسمى " أسلمة المعرفة " أو "إسلامية المعرفة" فأسلمة العلوم الطبيعية والإنسانية، ومن خلال القرآن نفسه، يكون مدخلا إلى فهم القرآن، وهي عملية مزدوجة ومتبادلة التأثير، فالقرآن يُقِّوم مناهج المعرفة من ناحية، ومناهج المعرفة المقوَّمة تساعد على الدخول بشكل أعمق فى عالم القرآن الرحيب من ناحية أخرى، وتعين على حسن فهمه، وذلك من منطلق

الجمع بين القراءتين، الغيبية والموضوعية، أو قراءة الوحى وقراءة الكون، كما أمرنا الله تعالى فى قوله: " ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: 1 – 5]

ففى هذا المنهج تتحول العلوم الطبيعية والإنسانية من علوم جزئية مفككة إلى علوم كونية وتركيبية تعتنى بالظاهرة الطبيعية والإنسانية فى مجالها الكونى كله والكشف عن ارتباطها بالله تعالى، ولا تتوقف على ما تكشف عنه مناهج وأدوات ووسائل البحث الموضوعى أو الموضعى المحدود.

وبهذا المنهج يكون كل ما يتعلمه الإنسان له معنى واضح فى ذهنه لوجود هذه الوحدة المعرفية وارتباطها بواجدها، ووضوح الغاية من تعلمها لديه وتحقيق تعلمها لهذه الغاية، وهذا ما عجزت عنه تنظيمات المناهج العلمانية الغربية سواء منهج النشاط أو المنهج المحورى أو منهج الوحدات الدراسية، فأزمات مناهج العلوم المعاصرة كافة هى "الحالة التفككية " بحيث عجزت الحضارة الغربية المعاصرة عن " التركيب " الذي يستهدى بالضوابط الكونية التى فصلها القرآن المحيط بكل شئ، وكان من نتائجها إن تعززت الفردية الليبرالية العلمانية، التى تُفسد الآن فى الأرض، وتسفك الدماء وتهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد.

3- يهتم المنهج بالإنسان، كل الإنسان، روحه وعقله وجسده، فالإنسان وحدة واحدة متكامل الأجزاء، فهو ليس جسما مستقلا بذاته عن الروح والعقل، وليس عقلا منفصلا لا علاقة له بالجسم والروح، وليس روحا هائمة بلا رابط من الروح والعقل.

ومن ثم فإن هذا المنهج يعد الإنسان إعدادا شاملا متكاملا، فى جوانبه المختلفة: الإيمانية، والخلقية، والجسمية، والعقلية، والنفسية، والجنسية والاجتماعية، هذا الإعداد الشامل لا يطغى فيه جانب على جانب آخر، بل إن كل جانب يغذى الجانب الآخر وينميه، فالجانب الإيمانى الذي هو غذاء لروح الإنسان ووجدانه، هو أساس إصلاح الإنسان وملاك تربيته، فى جميع الجوانب الأخرى، كما إن التربية الاجتماعية تعتبر حصيلة كل أنواع التربية الأخرى.

كما يحرص هذا المنهج عند تربيته للإنسان فى الجوانب سابقة الذكر على تكامل جوانب الخبرات الإنسانية فى المنهج كما هى موجودة فى الحياة والكون كله ووحدة الوجود، ومن هنا تتحقق وحدة الإنسان الفرد واتزانه وسلامه مع نفسه ويكون قادرا على فهم الوجود بوحدته ووجدانية واحدة، فلا يوجد فى الوجود غير الله وفعله.

بهذه التربية الشمولية المتكاملة للإنسان يكون قادرا على تحقيق الخلافة التى كلفه الله بها فى الأرض.

4- يعتمد هذا المنهج فى تحقيق أهدافه على إيجابية ونشاط ودافعية المتعلم حيث إن هذا المنهج يربى هذا المتعلم ليكون خليفة الله فى الأرض، فدافعية المتعلم تتولد من رغبته فى تحقيق هذه الغاية، وقوة رغبة المعلم وهمته فى التعلم تكون أفضل ما تكون لسمو الغاية ونبالتها، وحيث إن هذه الغاية مستمرة طوال حياة الإنسان، لذلك فإن همته ونشاطه وإيجابيته لا تنتهى، فهى مستمرة ومتجددة، لأنها لا ترتبط برغبة وقتية، أو بحاجة منقطعة، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك أفضل تعبير قُلْ إن صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الأنعام: 162]

إن استغلال حاجات الإنسان لتوليد دوافعه تكون فى أدنى مستوياتها عندما ترتبط فقط بالمستويات الدنيا من الحاجات مثل: الحاجات الفسيولوجية من طعام وشراب ولذة حيوانية حياتية فهى حاجات وقتية ينتهى الدافع بإشباعها، ولكن الدافعية تسمو رفعة وتزداد قوة بسمو الحاجة ورفعتها، فعندما تكون حاجة الإنسان هى حاجته إلى الإحساس برضا ربه وحسن الصلة به، فإنه لا يألو جهدا فى تحقيق هذه الغاية، فهى منتهى أمله وسعيه وكدحه فى الحياة يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ [الانشقاق: 6]
وهذا لا يعنى إن هذا المنهج لا يستخدم كل الحاجات كدوافع للتعلم ولكنه دائما يربطها بتحقيق الغاية الكلية للإنسان حتى يسمو بالحاجات الدنيا لتكون هى نفسها وسيلة لتحقيق الحاجات العليا، فتحقيق الإنسان لحاجاته الفسيولوجية تكون عابدة لله إذا كان تحقيقها وفق شرع الله وبنية مرضاة الله، وما يؤكد ذلك قول رسول الله ( ) لصحابته ".. وفى بُضع أحدكم صدقة (أى الجماع) قالوا يا رسول الله: " أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال ( ): أرأيتم لو وضعها فى حرام كان عليه وزر؟ قالوا: بلى، قال: فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له فيها أجرا (مسلم)

لذلك يعمل هذا المنهج على تفعيل حاجات المتعلم كوحدة واحدة بغض النظر عن كونها حاجات مادية أو معنوية، فكلها تصب فى تحقيق الحاجة الكلية للإنسان، لذلك يتم وصل كل الحاجات فى هذا المنهج بحاجة الإنسان إلى رضا ربه ويعمل على استخدام هذه الحاجة فى توليد دافعيته ونشاطه وإيجابيته باستمرار عن طريق التربية الإيمانية، والعمل على زيادتها بزيادة قوة إيمان المتعلم، لأن إيمان الإنسان إما إن يكون فى زيادة، وإما إن يكون فى نقص، فعن ابن عباس وأبى هريرة قالا: " الإيمان يزيد وينقص " (سنن ابن ماجة)

كما يحث الإسلام المسلم على طلب العلم، ويستنفر قواه العقلية والحسية والوجدانية لإفراغ طاقته فى طلب العلم وفق معطيات العصر، ولذلك كان طلب العلم فريضة كما حث على ذلك رسول الله (ﷺ) فى قوله " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (سنن ابن ماجة) ومن هنا ندرك إن طلب العلم والسعى إلى تحصيله والاستفادة به فى الحياة بهذا المفهوم هى عبادة لله سبحانه وتعالى وما أسماه دافعا للتعلم.

5- يعتمد هذا المنهج فى تربيته للمتعلم على الخبرات المربية سواء كانت خبرات مباشرة أم خبرات غير مباشرة، فالخبرة تقتضى من المتعلم نشاطا ووعيا بأبعاد الموقف التعليمى وتفاعلا معه واستخدام النتائج والاقتناع بها، والعمل بها فى حياته، فالخبرة هى ما أدركه العقل وفقهه واقتنع به ووقر فى القلب واختلج به الوجدان وانفعل به وصدقته الجوارح بالعمل.

لذلك فإن هذا المنهج يعمل على توفير هذه الخبرات التربوية من واقع مهمة الإنسان فى هذه الأرض ورغبته فى تحقيقها، فهو منهج يتعامل مع الواقع، ليحرك الحياة فى واقعها ويحل مشكلاتها مستعينا بالله وما أمده به من خيرات، فهذا المنهج ليس نظرية تتعامل مع فروض قد يثبت صحتها أو عدم صحتها، فكل ما جاء به القرآن والسنة لتربية وتوجيه الإنسان هى أفعال وأعمال واقعية تتعامل مع واقع الإنسان وفطرته التى فطره الله عليها، فهو منهج عملى حركى جاد.

إن مجرد التصور الذهنى المعرفى لا يؤثر فى سلوك الإنسان ولا فى واقع حياته، فهى معرفة خاوية من المعنى ولا قيمة لها لأنها لا تعين الإنسان على أداء وظيفته فى عمارة الأرض وترقيتها وفق هدى الله.

إن تنظيم هذا المنهج يبدأ مع التلاميذ من حيث خصائص فطرتهم التى فطرهم الله عليها، والواقع العملى الحياتى الموجه بهدى الله، وينمو بهم، حيث تتبلور فى عقولهم النظرية من خلال الحركة والواقع، وتتحدد النظم وتكتسب القيم والمهارات من خلال الممارسة، وتكتشف القوانين والعلاقات فى ثنايا مواجهة الحياة الواقعية بمشكلاتها الحقيقية.

6- يراعى هذا المنهج الفروق الفردية بين المتعلمين حيث تتنوع قدراتهم واستعداداتهم التى فطرهم الله عليها، وذلك لتحقيق استخلاف الإنسان فى الأرض، فهذه الخلافة تحتاج إلى وظائف متنوعة واستعدادات شتى من ألوان متعددة كى تتكامل جميعها وتتناسق، وتؤدى دورها فى عمارة الأرض، فهذا المنهج لا يعد التلاميذ ليكونوا نسخا مكررة بل يراعى هذه الفطرة فى الإنسان ويعد كل تلميذ حسب قدراته واستعداداته التى وهبه الله إياها.

فهذا المنهج يزود كل المتعلمين بالخبرات المشتركة التى تتفق فيها قدراتهم واستعداداتهم والتى لا يكون المتعلم إنسانا إلا بها، ثم يزود كل متعلم بعد ذلك بما يناسبه من خبرات فيما يتميز به من قدرات واستعدادات عن غيره، فيكون هناك الطبيب والمهندس والعامل والفلاح.... الخ، وكل الوظائف التى لا تستقيم الحياة إلا بها.

7- انطلاقا من مراعاة الفروق الفردية فى منهج الاستخلاف فإن هذا المنهج يراعى ذلك أيضا بين الجنسين، لوجود العديد من الفروق بينهما من النواحى الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والميول والاتجاهات التى فطر الله كل جنس عليها وترتب على ذلك اختلافات فى أدوار كل جنس فى الحياة بما يوافق خصائصه، لذلك يعمل هذا المنهج على تزويد كل جنس بالخبرات التربوية التى تُفعل من دوره الخاص فى الحياة والقيام بمهامه التى خصه الله بها، فعلى سبيل المثال المرأة تحتاج إلى تزويدها بخبرات: الحمل والولادة، وتربية الأطفال وإدارة المنزل، والاقتصاد المنزلى، وما يخص أنوثتها، وكيفية التعامل مع زوجها.

8- تتعدد وتتنوع طرق التدريس والأساليب والوسائل التعليمية المستخدمة فى هذا المنهج، فلا يعتمد على طريقة واحدة، وذلك لمقابلة الفروق الفردية بين المتعلمين وطبيعة موضوع التعلم والهدف المراد تحقيقه، فهناك التعلم عن طريق الشرح والبيان والتوضيح، وعن طريق التجارب والممارسة والعمل، وعن طريق ضرب الأمثلة والقصص وعن

طريق القدوة والتجسيم والتصوير، وعن طريق الاستقراء والاستنباط... الخ.

9- يعد المنهج المتعلم ليكون إنسانا يحقق مفهوم الإنسانية التى أرادها الله له فى الأرض، فهو مستخلف فى الأرض، كل الأرض وليتعاون مع كل البشر على الخير، وليأخذ بيد أخيه الإنسان إلى تحقيق الغاية الكبرى من الوجود، فهذا المنهج لا يعد المتعلم داخل حدود إقليمية ضيقة فيما يسمى (بالمواطنة) فهذه الوطنية هى التى تسبب الأحقاد والحروب فى هذه الأرض، فوطن هذا الإنسان وقوميته وولائه هو هذه الإنسانية التى تحقق منهج الاستخلاف فى الأرض، فهى تتسع لتشمل كل الأرض، ومسئولياته تشمل كل البشرية، فهى تربية عالمية فمسئولية هذا الإنسان المؤمن تتعدى مسئوليته عن الأخوة الإيمانية إلى الأخوة الإنسانية.

لقد عبر الشيخ محمد الغزالى عن هذه المسئولية تعبيرا جميلا فى قوله: معرفتى بالإسلام تجعل ولائى للناس كلهم جزءا من ولائى للدين الذي أحببته، فنحن قد استجبنا لنداء الله، فنحن أمة الإجابة، أما غيرنا فهو مدعو مثلنا، ولم يجب بعد لعل النداء لم يصل إليه أو لعله وصل إليه مشوها لا يحرك دواعى القبول وأيا ما كان الأمر فهو مدعو.

وعلىَّ إن أبلغه ما جهل وأن أثير فيه دواعى التصديق، لقد عرفت الحق قبله فآمنت، ولست أولى منه بذلك الخير، وقد يكون خيرا منى لو عرف ما أعرف، والواجب يفرض علىَّ إن أكون صورة مُرغبة لا صورة مُنفرة، وإلا كنت مسئولا عن إضلاله أو حاملا معه بعض أوزاره.

إن منهج الاستخلاف هو المنهج الذي يستطيع إن يحقق مفهوم الإنسانية فى نفوس الناشئة دون غيره من المناهج العلمانية، لأنه يقوم على أساس هدى الله ومن ثم يحقق قول الله تعالى لرسوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الانبياء: 107] وهذه التربية بهذا المنهج تحقق السلام الاجتماعى كما تحقق السلام العالمى الذي ينشده الجميع بعد ما ساد الأرض الظلم والنهب والعدوان على الإنسان فى كثير من بقاع الأرض.

وبعد

فإنى أناشد كل مسئول عن التربية فى كل بقاع الأرض خاصة فى عالمنـا الإسلامى إن يأخذ بهذا المنهج فى تربية الأجيال عسى اللـه إن يجعـل لنـا مخرجا مما نحن فيه، فلا عاصم لنا اليوم فى عصـر العولمـة والكوكبـة إلا التمسك بهدى الله.

والله الموفق

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- القرآن الكريم
2- صحيح البخارى
3- صحيح مسلم
4- موطأ مالك
5- سنن ابن ماجة
6- سنن الترمذى
7- سنن النسائى
8- سنن أحمد
9- سنن أبى داود
10- سنن الدراقطنى
11- مجمع الزوائد

ثانيا: المراجع

1- أبو الفتوح رضوان: منهج المدرسة الابتدائية، ط3، الكويت، دار القلم، 1988.
2- أبو بكر جابر الجزائرى: منهاج المسلم، ط8، القاهرة، المكتب الثقافي، 1964.
3- أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين، القاهرة، دار الحديث، 1992.
4- أبو زكريا يحيى الغزالى: رياض الصالحين، بيروت، دار الجيل، 1985.
5- أحمد حسين اللقانى: المناهج بين النظرية والتطبيق، ط3، القاهرة، عالم الكتب، 1984.
6- أحمد عبد الرحيم السايح: العالم الإسلامى بين مصادر القوة وعوامل الضعف، قضايا إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 2000.
7- أحمد طالب الإبراهيمى: حوار الحضارات، الإسلام والغرب، كتاب العربى، 49، يوليو 2002.

8- توفيق الشاوى: فقه الشورى والاستشارة، ط2، المنصورة، دار الوفاء.
9- جابر عبد الحميد جابر وآخرون: مهارات التدريس، القاهرة، دار النهضة العربية، 1982.
10- جيرو لدكمب: ترجمة أحمد خيرى كاظم: تصميم البرامج التعليمية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1987.
11- حسن نافعه: الأمم المتحدة فى نصف قرن، دراسة فى تطور التنظيم الدولى منذ 1945، عالم المعرفة، الكويت، العدد 202، أكتوبر 1995.
12- حلمى أحمد الوكيل: محمد أمين المفتى: المناهج، مفهومها، أسسها، عناصرها، تنظيماتها، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993.
13- رجب البنا: الغرب والإسلام، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2002.
14- رشدى فام منصور: التقويم وأسسه، التقويم كمدخل لتطوير التعليم، المركز القومى للبحوث التربوية، 1979.
15- رشدى لبيب، فايز مراد مينا: المنهج منظومة لمحتوى التعليم، ط2، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993.
16- سليمان إبراهيم العسكرى: إعلام العولمة، الإسلام والغرب، كتاب العربى، 49، يوليو 2002.
17- سيد قطب: فى ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، 1982.
18- سيد قطب: نحو مجتمع إسلامى، ط5، القاهرة، دار الشروق، 1982.
19- سيد قطب: السلام العالمى والإسلام، ط 7، القاهرة، دار الشروق، 1983.
20- سيد قطب: الإسلام ومشكلات الحضارة، ط8، القاهرة، دار الشروق، 1983.
21- عبد المجيد صبح: المرأة فى الإسلام، مكانها ومكانتها، المنصورة، أم القرى.
22- عبد المجيد صبح: الرد الجميل على المشككن فى الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، المنصورة، دار المنارة، 2001.
23- عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب: منهجية البحث فى التربية الإسلامية، المنصورة، جامعة المنصورة، 1996.
24- على أحمد مذكور: المفاهيم الأساسية لمناهج التربية، ط1، الرياض، دار أسامة للنشر والتوزيع، 1989.

25- على أحمد مدكور: نظريات المناهج العامة، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1984.
26- على أحمد مدكور: منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، ط1، الكويت، مكتبة الفلاح، 1987.
27- على أحمد مدكور: مناهج التربية، أسسها وتطبيقاتها، القاهرة، دار الفكر العربى، 2001.
28- على جريشة: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ط3، المنصورة، دار الوفاء، 1990.
29- فاخر عاقل: التربية الجنسية، العربى، العدد 112 مارس 1968.
30- فؤاد محمد مرسى: نموذج مقترح للأهداف السلوكية لتدريس الرياضيات وكيفية تحقيقها، المنصورة، عروس النيل، 1992.
31- فريد كامل أبو زينة: أساسيات القياس والتقويم فى التربية، الكويت، مكتبة الفلاح، 1992.
32- فرنسيس عبد النور: التربية والمناهج، ط4، القاهرة، نهضة مصر.
33- فؤاد سليمان قلادة: الأهداف التربوية والتقويم، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1982.
34- محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام، الجزء الأول، ط2، القاهرة، دار ثابت للنشر والتوزيع، 1983.
35- محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية، ط7، القاهرة، دار التراث، 1976.
36- محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، ط4، بيروت، دار الفكر، 1981.
37- محمد عزت عبد الموجود وآخرون: أساسيات المنهج وتنظيماته، ط، القاهرة، دار الثقافة والطباعة والنشر، 1979.
38- محمد عمر القصار: المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية، دعوة الحق، العدد (30) يونيو 1984.
39- محمود أبو زيد إبراهيم: المنهج الدراسى بين التبعية والتطوير، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، 1991.
40- محمود أحمد شوق: الاتجاهات الحديثة فى تخطيط المناهج الدراسية، ط1، القاهرة، دار الفكر العربى، 1998.
41- مناع القطان: مباحث فى علوم القرآن، ط7، القاهرة، مكتبة وهبة، 1990.
42- نادية محمد مصطفى وآخرون: العلاقات الدولية فى الإسلام، القاهرة، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، 1996.

43- وليـد محمـود عبـد الناصـر: حـوار الحضـارات، القـاهرة، مركـز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 2002.
44- وهيب سمعان، رشدى لبيب: دراسات فى المناهج، القاهرة، مكتبـة الأنجلو المصرية، 1982.
45- يحيى هندام، وجابر عبد الحميد جابر: المنـاهج، أسسـها، تخطيطهـا، تقويمها، ط4، القاهرة، دار النهضة العربية، 1980.